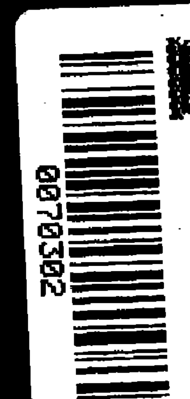
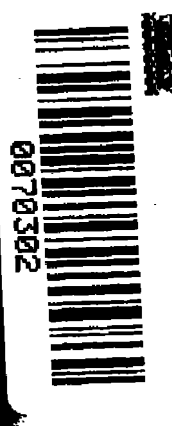
الألف كتاب
الثاني
٢٧٠

يانيس ريتسوس

البعيد

مختارات شعرية شاملة

ترجمة : رفعت سلام



الهيئة المصرية العامة للكتاب



البعيدُ

مختارات شعرية شاملة

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

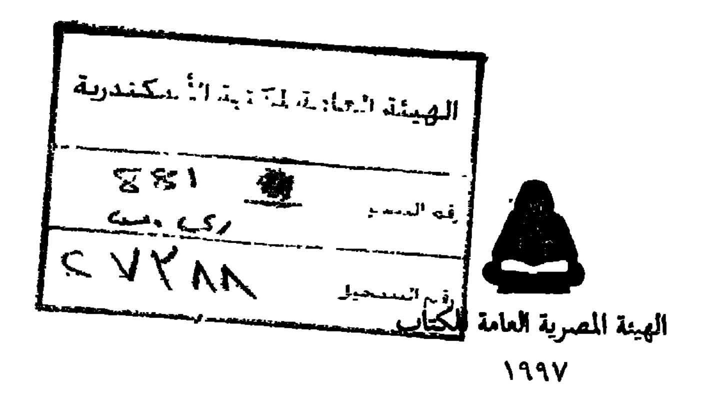
لمياء محرم

يانيس ريتسوس

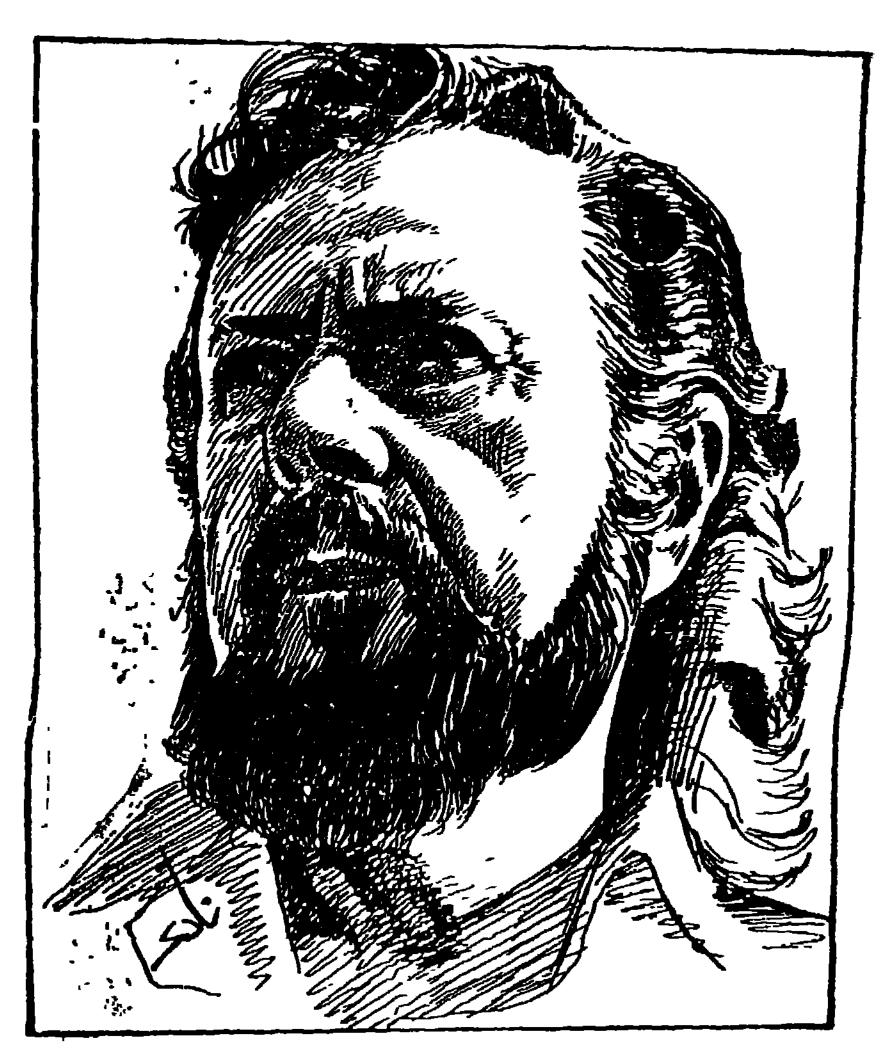
البعيد

مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقديم
رفعت سلام



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧



الصورة من رسم الأستاذ محمد نادى

الفهـــرس



فـكل مـا أحببت

أخذه مني الجنون

والمــــوت •



سيد البساطة الماكرة

فى اللحظة التى كدت أن أمسك به انقطع الخيط ، وانفلت الى الناحية المستحيلة • وبدأت المطاردة • كان الخيط لم ينقطع ، أو كأنه استبدل بخيط سرى ، ان شده أرخيته ، وان أرخاه شددته ، فلا أحدنا يفلت الخيط ، أو ينسى •

كان ما يشبه النزوة أن كتبت اليه • نزوة لا تأمل فى اكتمال الدائرة • حسبها الانفلات من الكبح الذاتي الى فضاء ما ، مكتفية بذاتها ، فى ذاتها • انفتحت دائرة الى نصفها ، وتعلقت قوسا مضيئا فى الفضاء المراوغ • واستدرت الى اليومى ، ونسيت • كأننى اكتفيت • كأننى •

هل كنت أتناسى أن الدائرة منقوصة ، معلقة فى قلبى بين بين ؟ هل كنت أهرب من عجزى عن اكمال الدائرة التى فتحتها بنفسى ؟ أم كنت أراوغ الاعتراف بالهزيمة القادمة ، اذا ما تجاهل السيد البعيد دعوتى — أنا الحد المجهول لديه — فلم ير قوسا ولا دائرة ؟

لكنه — قبل أن أنسى تماما — أدركنى بالرسالة التى أملاها على « كاثرين ماكرينيكولا » ، بدار « كيدروس » صاحبة حقوق نشر أعماله باليونانية : « لقد سعد بأن يعرف باهتمامك بقصائده ، وبنيتك أن تنشر مجموعة منها بالعربية • وهو يمنحك حق القيام بهذا النشر حينما تكون مستعدا » • واكتملت الدائرة • ومرة أخرى ، نسيت ، كأننى اكتفيت • كأننى •

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 M. Koraka Street,
Athens 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

لم يكن « حق النشر » شاغلا لى ، أو حافز الكتابة اليه · بل كانت الكتابة فى ذاتها اليه ، نعم الكتابة فى ذاتها · لا آكثر ، ربما · وها هى دائرة الكتابة قد اكتملت ، أى انغلقت ، فماذا بعد ؟

هكذا امتد بيننا خيط · واليونان ـ آنذاك ـ بعيدة بغيدة على · وهو ـ فى تلك البعيدة البعيدة ـ بعيد بعيد · مسافة عصية ، وزمن مراوغ ، والحلم لا يخرج من أبجديته الداخلية الى الامكانية · فيا أيتها المسافة العصية ، المستعصية على اليد القصيرة ، من أين أمسك بك ؟ وكيف ؟

فهل كنت سيد الأبدية ، ليكون لى أن أنسى ما يديره الزمن من ضربة قادمة ؟ هل كنت سيد المصير ، ليكون لى أن أستند على جدار من هواء ؟

ما كنت هذا ولا ذاك ، لكننى نسيت ، واستندت ·

وفى اللحظة التى كدت أن أمسك بالخيط ، انقطع ·

وانفلت ـ دون أن يقول لى ـ الى الناحية المستحيلة من الأبدية ·

(١)

ظل أبى كان شاهقا ، كان يظلل المنزل كله ، ويسد الأبواب والنوافذ من أعلى لأسفل ·

هو « اليفثيريوس ريتسوس » الأب المولع بالقمار حتى تبديد الأرض ، كأحد كبار ملاك الأراضى فى مدينة « مونيمفاسيا » ، بالجنوب الشرقى من « البلوبونيز » ·

وحينما ولد « يانيس » ـ فى ١ مايو ١٩٠٩ ـ كان الصوت المرعب للأب المقامر يحتل فراغات المنزل ، وظله يسد الأبواب والنوافذ المفتوحة على البحر · حالة أقرب الى الجنون الذى يعقب الخراب فالسقوط ·

جنون يمارس تجلياته على طفلين وطفلتين ينطلقون ـ بلا وعى ـ الى مصائرهم المجهولة ٠

كان ظل الأب ظلا للخراب الراهن والقادم ٠ فالعام الذى أنهى فيه ريتسوس دراسته الابتدائية (١٩٢١) هو عام موت الشقيق الأكبر بالسل ٠ وبعد شهور ، تدرك الأم ابنها الراحل ، وهى فى الثانية والأربعين ٠

هى الأم التى ستأتى فى « **أغنية أختى** » (١٩٣٧) :

ملاكا أبيض فى الليالى البيضاء ٠

نسمع صوتها البعيد والخفيف الناعس لجولتها

فينما نغمض عيوننا فى نوم ملىء بالنجوم ٠

ويكون رحيلها رحيلا لطفولته ٠ تكسرت البراءة الطفولية شظايا انغرست ـ جارحة ـ فى القلب الصغير ٠ لابهجة ، ولا حنان ٠ لا طمأنينة، ولا فرح ٠ بل هو الانزواء فى الأركان المعتمة ، فى ظل الأشياء ، بعيدا عن عين الأب السامة ٠

وحيدا مع أشياء المنزل ساعات من التأمل والكلام الصامت الداخلى٠ هى التى تؤويه ، وتتواطأ على وجوده ، وتمنحه ظلالها والسكينة : الغرفة، والمقاعد ، والستائر ، المنضدة ، والنافذة ، والملاءة ، والسرير ، والكوب ، والجدار ٠ هى التى تحنو عليه ، وترتضيه ٠ هى الملجأ الحانى ، والأسرة البديلة ٠ وسيكون له ـ فيما بعد ـ أن يبيح لها قصائده لتصبح محورا أساسيا من محاورها ومحاور العالم ، باعتبارها شهودا صامتين على الوجود ، وشارة على حضور الآخرين الغائبين ٠٠ هى حضور الغياب ، الحضور الوديع المكتفى بذاته ، بلا صوت أو عنف ٠

ويصبح المنزل المشرع على البحر نصبا تذكاريا للخراب واللعنة ٠ ومع الفرصة الأولى للهرب ؛ يدير له ريتسوس ظهره ، الى « جيثيون » ومدرستها الاعدادية ، صبيا فى الثانية عشرة من عمره ٠ بعد الاعدادية ،

يفر الى الأبعد : أثينا ، وهو فى السادسة عشرة • صبى قروى ضال يرمى بنفسه ـ وحيدا ـ فى متاهات العالم ، هربا من لعنة المنزل القديم ، وكوابيس الليل والنهار •

لكن اللعنة لا تفلته ، فتحل به على نحو آخر • انه نفس المرض الذى أودى بشقيقه وأمه : السل • فلا مفر من العودة الى المنطلق « مونيمفاسيا » • لكن رعبه الكابوسى من المنزل يدفع به بعيدا عنه ، الى فندق المدينة البائس مخفورا بأشباح الموت ونعيب البوم • وسيكون عليه أن يكبت مشاعره هذه لتنفجر ـ متأخرة ـ فى « **البيت الميت** » ، بعد أكثر من ثلاثين عاما : فانتازيا الرعب والجنون فى ذلك الحد الفاصل بين الوجود والعدم ، بين الوهم والحقيقة •

عام واحد فى « مونيمفاسيا » ، فالعودة الى أثينا فى خريف ١٩٢٦ ، ليعمل فى نسخ شهادات الأعضاء الجدد بنقابة المحامين • وبعد شهور قليلة ، يدخل مستشفى « باباديميتريو » ، فمصحة « سوتيريا » ، لثلاثة أعوام تحت العلاج الذى لن ينتهى بخروجه منها • سيطارده لأعوام طويلة قادمة ، يتأرجح فيها بين النقاهة والانتكاس •

ويكتشف الشعر • كتابة تأخذ شكل الزخرفة البيزنطية ، والصفحات البيضاء تمتلىء بكتابة لن تجد طريقها الى النشر : قصائد تبحث عن الشعر ، عن الشعرى ، فتضرب ـ فى بحثها ـ فى كل الاتجاهات ، مرتبكة ، مترددة ، متهورة ، متعثرة • لكنها الكتابة التى ترأب ـ الى حد ما ـ الصدع الذى انشق بينه وبين العالم ، تعيد اليه ـ الى حد ما ـ التوازن والقبول والتعويض الروحى •

فى ديوانيه الأولين ـ « **تراكتوريات** » (١٩٣٤) و « **أهرامات** » (١٩٣٥) ـ يمنح الفرصة للأصوات الكبرى أن تحتله بلا مقاومة • انها سطوة « بالاماس » و « فارناليز » و « كاريوتاكيس » ، التى حاصرته فى « سوتيريا » ، فى أجواء المرض والحمى والزحف الواهن نحو مستقبل غامض ، ضبابى • لم يكن صوته الشعرى تماما ، ولم يكن ـ بالطبع ـ

صوتهم تماما • كانت الغنائية تختلط بالخطابية ، والتحريض بالمأساة • ديوانان ينتميان ــ بصورة واضحة ــ الى الشعر السياسى • ورغم ذلك ، فعندما ظهرا لم يستقبلهما نقاد اليسار استقبالا طيبا ، اذ اتهموا الشاعر بكونه مثاليا ومشغولا ــ أكثر من اللازم ــ بالشكل الفنى • وانتقدوا ــ على وجه الخصوص ــ لغته الشعرية ، باعتبارها لغة « زخرفية » ، وأكثر تعقيدا من أن تستوعبها الجماهير •

يبدأ « **تراكتورات** » بنداء الى الأم / الشعر كى تستقبله ، لينتهى بسيل جارف ضد المجتمع المتعفن المتدهور • وما بين البداية والنهاية قصائد أليمة عن اذلاله على يد « جماعات من البرابرة » التى تحيط به ، ووالده المحجوز فى مصحة للأمراض العقلية ، بينما يحادثه ابنه المريض من مصحة سوتيريا • ويضم الديوان ــ فى نفس الوقت ــ أناشيد الى ماركس وانجلز وروسيا ، ودعوة من أجل عالم واحد ، يكون فيه الجميع أخوة متساوين •

ويستمر هذا التوجه المزدوج ــ الذاتى / السياسى ــ فى « **أهرامات** » : رثاء عاطفى لأخته يمتزج برثاء صباه التعيس :

آه ، لا أذكر أبدا أننى كنت ذات يوم صغيرا
مثل عجوز مشلول كنت أختبىء بالداخل
أقرأ الكتب العتيقة •

وينتهى الديوان برؤى عن نفسه ، كجندى بسيط بين صفوف العمال ، يحارب من أجلهم ب « قيثارة ومعرفة » •

وفى مايو ١٩٣٦ ، يقوم عمال مصنع التبغ ــ فى مدينة سالونيك ــ بالاضراب احتجاجا على تدنى الأجور • وحينما يستدعى رجال البوليس ، يطلقون النار على المضربين العزل ، فيقتلون اثنى عشر شخصا ويجرحون المئات • وفى اليوم التالى ، نشرت الصحف صورة أم متشحة بالسواد ، تبكى ابنها القتيل فى أحد شوارع المدينة • التقط ريتسوس الصورة ، وبعد يومين من العمل الخلاق ، كانت « **ابيتافيوس** » (تراتيل الدفن التى

تؤدى فى الكنائس اليونانية الأرثوذكسية يوم الجمعة الحزينة) • انها
ـ من جديد ـ مأسـاة صلب المسيح ، بل تتعدى الصلب الى القيامة •
والعويل فاتحة القصيدة :

تركتني ذات يوم من مايو ،
وذات يوم من مايو فقدتك •

عويل أم لا تستطيع ادراك سبب موته ، كما لا تستطيع فهم أفكاره السياسية • لكنها ـ عبر القصيدة ـ تصل ، فى منتهاها الى :

لقد حملت بندقيتك ، فنم الآن ، نم ، يا بنى •

وأصبحت القصـيدة النشيـد الوطنى ـ غير الرسمى ـ لليسـار اليونـانى ، وخاصـة بعد أن قـام « ثيودراكيس » بتلحينها فى أواخر الخمسينيات • ففى مايو آخر ـ عام ١٩٦٣ ـ وفى مدينة سالونيك أيضا انطلقت الحشود المرابطة خارج المستشفى الذى يرقد فيه النائب البرلمانى اليسارى « لامبراكيس » ـ اثر الاعتداء عليه من قبل مأجورين سياسيين ـ فى انشاد « ابيتافيوس » وبينهم ريتسوس وثيودراكيس ، رثاء للشهيد ، لينتقل النشيد الى أثينـا أثناء تشييع جنازتـه • وخلال حكم الجنرالات القادم ـ الذى سيعتقل ريتسوس ـ كانت القصيدة شعار كل احتجاج على الديكتاتورية •

وفى أعماله التالية مبـاشرة ـ التى تبدأ بقصيدة « **أغنية أختى** » ـ واصل ريتسوس استخدامه المطور للغـة ، بل وذهب الى أبعد مما تحتمل متطلبات الفن « المناضل » • انها مفاهيم جمالية جديدة لا علاقة ذات بال بينها وبين مفاهيم اليسار • وبدءا من ذلك الحين ، سيكون حافز ريتسوس هو البحث عن « بعد رابـع » فى الشعر ، ربما لأنه اكتشف محدوديـة الاطار الفنى الذى تتخذ فيه جميع الظواهر الاجتماعية دلالة اجتماعية • لا يعنى ذلك أنه لم يعد « واقعيا » ، أو أنه قد تخلى عن « اشتراكيته » ، بل يعنى أنه قد تخلى عن استهداف « الواقعية الاشتراكية » •

وقبل وفاته بحوالى أربعة أعوام ، سيكون لريتسوس أن يرى :

«ان المضمون الاجتماعي للشعر ليس ـ بالطبع ـ المقياس الأول لقيمة الشعر ، لكنه ـ بلا شك ـ المقياس الأخير ، المحدد • فعندما يخرج الشعر من أطر الاعتراف الذاتى للشـاعر ، فانه يصبح بالضرورة ـ تعبيرا عن حاجة الناس ، كل الناس ، للعدالة والحرية والبهجة ، الحاجة الى التغلب على العزلة المرهقة ، وتعفن الموت • ان الفن الأصيل والشعر الأصيل يجب أن يصل حتما الى ذلك • لكن هناك مسألة أخرى ، اذ اننا أحيانا ما نكون ـ فى الشعر ـ اجتماعيين أكثر مما يجب ، وأحيانـا ما نصـنع ـ باسم السياسة ـ سياسة رديئة فى الفن • ان الجانب الاجتماعى والجانب الجمالى فى الشعر يجب أن يكونا متجانسين ومتكاملين ومتوحدين بشكل لا يمكن ـ معه ـ فصمهما •

ولا أحد ـ بالطبع ـ يمتلك الحق فى أن يفرض على الفنان أن يجعل من فنه « فنا اجتماعيا » • فلابد أن يكون ذلك مطلبـا ينبعث من أعماق الفنان نفسه • ان متطلبات وحاجات الشـاعر الحقيقى والفنان الأصيـل تتطابق حتما ودائما مع متطلبات الشعب وحاجاته ، وهى المتطلبـات التى يكشفها الشاعر ويبلورها جماليا فى ابداعاته الفنية• وعلى هذا الأساس ، يشارك الشاعر ـ بشـكل مبـاشر ـ فى العملية العامة لتغيير العـالم • ويناضل الفنان طوال حياته ضد الظلم والاسـتغلال ، وضد كل أشكال الموت الاجتماعى ، حتى وان كان هذا النضـال يبـدو ـ للوهلة الأولى ـ وكأنه نضال خاص ومنعزل ، الا أنه ـ فى الواقع ـ نضال عام وجماهيرى، اذ ان هذا النضال يستجيب لشىء مهم جدا عند الفنان ، وهو الحاجة الى التعبير عن مكنونات ذاته ، الحاجة للاعتراف بالحرية ، الحرية التى تزيل الأطر الضيقة لاغتراب الشخصية الانسـانية • ان هذا النضـال تأكيد لأهمية الحياة الانسانية •

واذا ما كانت ثمة قيمة ما فى عملنا ، نحن الشعراء ، فانها تكمن فى أننـا قد تجاسرنـا بالتغلغل فى أعماق الألم الانسـانى ، واسـتطعنا أن نستخرج الأمل من كل الآلام الانسانية، وأن نساند الضياء وسط الظلام »

« **أغنية أختى** » هي النموذج الأول للشكل المفضل عند ريتسوس ٠ القصيدة الطويلة التى توصف بأنها « سيمفونية » أو « تركيبية » ٠ كتبت القصيدة عام ١٩٣٧ ، لكنها تعكس التجارب المريرة التى مر بها ريتسوس وأخته « لولا » عندما رحلا الى أثينا ، بعد خسارة الأسرة لثروتها ، وهما يجاهدان من أجل البقاء وسط الغليان الاقتصادى والسياسى الذى أعقب كارثة آسيا الصغرى ، وما واجهاه من مصاعب مروعة ٠ هو الحزن الشخصى ملتحما بالوعى التاريخى ٠ وهى أحد أطراف الثلاثية التى تضم ـ معها ـ « **سيمفونية الربيع** » (١٩٣٨) و « **مسيرة المحيط** » (١٩٤٠) ، والتى تمثل ـ بصورة غير مباشرة ـ روح المقاومة ضد ديكتاتورية ميتاكساس فى اليونان ، وصعود الفاشية فى أوربا ٠ والشمس ـ التى تحتل أفق القصيدة ـ هى رمز الايمان الراسخ لدى ريتسوس بالقدرة المخلصة للشعر ، والمقدرة الانسانية ـ مهما كانت الظروف ـ على الاستجابة لنداء الحياة الذى لايقاوم ٠ ولا يتحقق انتصاره على اليأس بسهولة ، بل بعد رحلة مريرة نحو الضوء وسط الظلام ٠

(٢)

سمعنا أغنية البحر
فلم نعد قادرين على النوم

أعوام من الرعب تجىء ، مع النقاهة ٠

فى مقابل الديكتاتورية الحاكمة ، تصعد الفاشية الى عرش أوربا ٠ وتقتحم القوات الألمانية الحدود ، فالاحتلال ٠ وتدرك المجاعة الشاملة الشاعر ـ مجاعة ١٩٤١/١٩٤٢ ـ فيتهدده خطر الموت ، بعد أن أصبح أرضا خصبة بفعل المرض ٠ ويكتشف وضعيته أحد أصدقائه الصحفيين ، فيطلق صرخة تحذير فى جريدته واسعة الانتشار ٠ وتم فتح اكتتاب عام لانقاذ الشاعر ، فاذا به يرفض استلام النقود ، ويطلب توزيعها على الأدباء الشبان ٠

البقاء على قيد الحياة : كان الشعار المرفوع في وجه المجاعة ٠

وجبهة التحرير الوطنى : كانت تنظيم المقـاومة الشـعبية ضـد الاحتلال٠ والتحق ريتسوس بالقسم الثقافى للجبهة مع الكتاب والفنانين، يلقون القصائد ، يعرضون المسرحيات الحماسية ومن بينها « أثينا تحت السلاح » لريتسوس ٠ هو العمل الذى سيعيد صياغته ــ بعد سنوات ــ ليتحول الى « قصيدة حوارية » تحمل عنوانا آخر : «**أبعد من ظلال السرو**»٠

كأنه « **القرن الأخير قبـل الانسـانية** » : القصـيدة التى كتبها ريتسوس فى صيف ١٩٤٢ ، أملا فى عهد جديد شبيه بالعهد الذى بدأه المسيح ، وهو الشـاعر الذى سيكون حلقة وصـل بين العهدين القديم والجديد ٠ وهى احتفـال بأبطال الموقعـة الألبانية الذين صـدوا جيش موسولينى ، وبكاء للمجاعة والغزو الألمانى ، وتمجيد لجبهة التحرير ٠ وهى الأمل الكبير فى مستقبل يمشى فيه الرجال تحت الشمس بحريـة كاملة ٠ قصيدة تستخدم رموزا مسيحية لتأكيد ايمان ريتسوس النهائى ، لا بالمسـيح ولا بأية قوة ميتافيزيقية ، وانما بأسمى غرائز الانسـان ، فى الوقت الذى تطفو على السـطح ــ مؤقتا ــ أسوأ تلك الغرائز وأكثرهـا انحطاطا٠ وتنتهى القصيدة بلافتة على مفترق الطرق : « **من هنا الطريق الى الشمس** » ٠ وعندما يتساءل أحدهـم عمن رسم تلك اللافتة « **بحروفها الغليظة تلك** » ، يجيب آخر : « **انه يانيس ريتسوس ، شاعر القرن الأخير قبل الانسانية** » ٠

كان الجميع يأملون فى بعث وحدتهم من جديد عند انسحاب الألمان٠ لكن النتيجة كانت حربا أهلية جاءت مباشرة بعد التحرير ، حيث انهزمت المقاومة التى كان يقودها اليسار ، فى ديسمبر ١٩٤٤ ، بمساعدة الدبابات البريطانية ٠ وهو ما عمق الفجوة بين الطرفـين المتقاتلين ٠ وما ان حلت المرحلة النهائية للحرب الأهليـة ، حتى استقبلت المعتقـلات اليونانية فى الجزر ما يزيد على عشرين ألف معتقل ، حكم على ثلاثة آلاف منهم بالاعدام، الذى تم تنفيذه فى ألف معتقل بصورة عاجلة ٠

معهم ، تم القبض على ريتسوس عـام ١٩٤٨ ، الى معتقـل جزيرة « ليمنوس » ، وبعدها الى « مؤسسة اعـادة التثقيف الوطنى » فى جزيرة

« ماكرونيسوس » ، حيث مارس عليه حراسه كافة أشكال التعذيب الجسدى والنفسى كسياسة عامة ، لتحويل الشيوعيين الى « هيلينيين صالحين » · بعدها نقل الى « آى ستراتس » (أجيوس افستراتيوس) · ولم يصمت طوال السنوات الأربع التى قضاها فى المعتقلات · فقد واصل الكتابة فى أحلك الظروف ، ليضع قصائده داخل زجاجة يدفنها فى أرض المعتقل الحجرية · وأولا بأول ، كان يلقى قصائده على زملائه المعتقلين · ذلك ما يفسر استخدامه للأسلوب المباشر فى قصائد تلك الفترة ، ومن بينها « **رسالة الى جوليوت كورى** » (نوفمبر ١٩٥٠) :

عزيزى جوليوت ، أكتب لك من آى ستراتيس
حوالى ثلاثة آلاف منا هنا ،
أناس بسطاء · عمال أشداء ، كتاب أدباء ،
تغطى ظهورنا جميعا بطانية واحدة مهترئة ،
بصلة ، وخمس زيتونات وكسرة جافة من ضوء فى
أكياسنا ،

أناس بسطاء كالأشجار فى ضوء الشمس ،
جريمتهم الوحيدة المدونة فى سجلاتهم :
هى ــ فقط ــ أننا ، مثلك ، نحب السلام والحرية ·

حقبة أعاد فيها ريتسوس النظر فى رؤيته للعالم واليونان والتواريخ ، بحثا عن ذاته التاريخية الشعرية ، وعن صوته الشعرى الذى يختصر الذاكرة اليونانية، ليجد بين يديه « **روميوسيني** » : قصيدة ملحمية تستمد لغتها وايقاعها من التراث الشفاهى الذى يرجع الى الأناشيد البطولية للفدائيين فى حرب الاستقلال (١٨٢١ ــ ١٨٢٧) ، والقصائد **الأكريتية البيزنطية خلال الحكم التركى** ، رجوعا الى الأغانى الهومرية ، حيث الشاعر منشد الجماهير ، راوى الحكايات الذى يمجد ويحتفل بمن يعشقون التراب اليونانى ، الموتى منهم والأحياء · عشق يجعل المشهد الطبيعى ــ فى القصيدة ــ يتخذ نفس نسيج الوعى الحى للعاشق ، فيما يتخذ العاشق ووعيه نفس نسيج المشهد الطبيعي الحي ·

وليست « رومبوسيني » مكانا فحسب ، بل هى ــ أيضا ــ زمان •
فالطبيعة اليونـانية هى محور التشكيل الشعرى للقصيدة ، لكن هنـاك
ــ أيضا ، وبصورة متزامنـة ــ الوعى الحاد بالانفصـامات المرعبـة فى
التاريخ اليونانى • هى تجربة الحقبة المأساوية والفاصلة بين الاحتـلال
الألمانى والحرب الأهلية، والتى تعنى ــ من وجهة نظره ــ خيانة للمقاومة •

قصيدة ملحمية ، لكنها لا تتطور خطيـا وفقـا لبنيـة سرديـة
أو أيديولوجية • فالشكل الزمنى ليس تعاقبيا ، يتحرك أفقيا من بدايـة
ــ عبر وسط ــ الى نهاية ، ولا جدليا ، من فكرة الى نقيضها الى مركبهما •
بل تتمحور القصيدة ــ على نحو مكثف ــ على موقف تاريخى معاصر ينفتح
رأسيا حتى أقصى حدود الماضى اليونانى• فخيال ريتسوس الشعبى واللغة
المفعمة بالحيويـة التى تعبر عنه يكتشفان ، أو ــ تحديدا ــ يفتحان زمن
الذاكرة الذى يتحقق فيه حضور كل الأزمان اليونانية ، زمن تلتئم فيـه
الشظايا الزمنية وأطلال التاريخ اليونانى ــ صورة مطاريد الحكم التركى
والثورة اليونانية ، حراس الحدود المدنيين ، والمقاتلين الهومريين ــ تنبثق
من البنية العرقية لما تحت الوعى ، لتحقق الهوية والتواصل مع الصورة
المعاصرة (رجال الميليشيات الجبلية) • فالخيال العامى لريتسوس ــ بمعنى
آخر ــ يحول سلســلة من المواضى الميتة الى حاضر حى لابد من ادراكه
ــ بالطبع ــ بصورة متزامنة •

بذلك ــ على سبيل المثال ــ يحتسى البحار (المعاصر) البحر المرير
من كأس أوديسيوس ، ويلتقى رجال حرب العصابـات مع « ديجينيس »
فى نفس تلك الطوابـق التحتية على الحدود البيزنطية حيث تصـارع مع
الموت ، والمرأة العجوز تصعد الى مواقع المراقبة حين تبلى الرسوم الجصية
المينوية للغروب فى البعيد ، والشـاعر يحفز الريـح كى تدفـع « دب
الليل » الى رقص « التساميكو » فى الميدان ، بينما يقرع القمر الدف الى
أن تهتز شرفات الجزيرة •

واستعادة الماضى ــ هنـا ــ ليست استحضارا رومانسيا ، ولا بحثا
عن الزمن الضائع ، ولا هي ــ حتي ــ استعادة اليوتية (نسبة الي اليوت)

لـ « الحس التاريخي » ، حيث يبحث الشاعر ـ بوعي ـ عن تواصل الماضى مع الحاضر • فبالنسبة لريتسوس، فانه لا يتخلى أبدا عن الوضع الراهن، واحتمالاته فى مستقبل حقيقي • فالراهن المفتوح يبقى فى الخلفية منـذ البداية حتى النهايـة التى ما تزال فى طور البداية • وتواصـل الماضى اليونانى متحقق ـ لديه ـ كمعرفة مبـاشرة فى ذاكرته العرقيـة ، أو فى ايقاع دمه اليونانى ، ويحيا ضمن امكانيـات لغته الدارجة الديموطيقية ، الشفاهيـة •

انه التزامن سمة أساسية ، والمعرفة الوجودية المباشرة محور أساسى للرؤية • وتلتحـم الاحالات ـ المتعلقة بكائنات بشريـة ، أو أشـياء من الطبيعة ـ فى شخص اليونـان الأم ، التى تتخذ ـ فى قفزات سيرياليـة خاطفة ـ تشـكيلة مدهشة من الهويـات الأنثويـة التى تنتمى الى الماضى اليونانى المتشظى والكثيف : حورية الماء ، ربة الأرض الأم الأورفية التى تنجب ايروس وسط الهيولى ، وليدا التى تثمر تاريـخ اليونان القديمة ، وأثينا الربة المقاتلة ، وأخيرا برسفون (بالاحالة الى ابنة الحداد) ، وأمها ديميتر التى توزع عليهم خصب الأرض والنشور •

استدعاء للتواصل التاريخى أو ـ بالأحرى ـ الاكتمال التاريخى ، دون أن يتحقق على حساب الحاضر • فهو يكتشف ـ من ناحية ـ التوحيد بين ابنة الحداد المعاصرة والأم النائحة ، و ـ من ناحية أخرى ـ بين الأرض الأم وحورية البحر والعذراء وديميتر وبرسفون • لكن موضوعه الدائـم الملح هو الأنصـار اليونـانيون المعـاصرون • فالاستدعـاءات من الماضى اليونـانى لاتستهدف ـ كما عند اليوت وييتس وجويس ـ اجتـذاب البانوراما الهائلة للاجدوى والفوضى « المرادفـة للتاريخ الانسـانى » الى علاقة متوازية من أجل ضبط وتنظيم وتشكيل ومنح المعنى لها• فهى ليست أداة لتشكيل عالم جمالى أو روحى متعال من الخيال ، يترفع على الحاضر الخشن • انها حاضرة من أجل الاحتفال بالخيال المعاصر الواقعى لليونانى، الذى يعرف أن « هذه الأرض لهم (للموتى) ولنـا ، ولا يمكن لأحـد أن ينتزعها منـا » • ذلك هو السبب فى أن ريتسوس ـ باعتبـاره مغنى الجماعة ـ يقدم الصورة التاريخية والأسطورية والشـعبية عن الماضى من

منظور الاحساس اليوناني البيولوجي أو الطقسي (أكثر من الذهني) بالزمن والتاريخ ·

وصورة هذا العالم الذي يكتشفه ريتسوس ــ العالم الذي تندمج فيه كل الأزمان والفضاءات ، كل الأحداث والأشياء في انسجام خالص ــ تصبح ، بذلك ، مقياسا حيا للتهديد الذي يوجهه ال « هم » الغزاة في القصيدة · وفي ذلك يكمن السبب في قدرة ريتسوس على أن ينطق ــ في المقطع السابع ــ بكلمات الحب في سياق يستدعي الكراهية والمرارة ، وأن يؤكد الأمل في سياق يستدعي اليأس ·

هكذا ، تقدم القصيدة الزمن اليوناني ، دون أن يهم كم هو مشتت ظاهريا ، كراهن أبدي · انه حضور حي في وعي « الشعب » المعاصر :

★★★

« الشعر ظاهرة معقدة للغاية ، لأنها تتحدد بتأثير عوامل عديدة ، اجتماعية وتاريخية وأخلاقية وبيولوجية · وأنا واثق أن آلاف الصفحات من النصوص التوضيحية ، وآلاف الخطب ، لا تستطيع ــ بشكل كامل ــ أن تعبر عن الشيء الذي تتضمنه هذه القصيدة أو تلك · بل أقول ما هو أكثر : ان قيمة القصيدة لا تكمن ــ فقط ــ فيما تتحدث عنه ، وانما ــ بالأساس ــ فيما يجعل القصيدة نتاجا فنيا · وبعبارة أخرى ، فان القصيدة فعل جمالي متكامل · ولهذا ، فان اخضاع القصيدة للتأويل والتفسير مسألة خطيرة للغاية ··· فلا يمكن تفسير الشعر حتى النهاية ، وروعة الشعر وسحره المتفرد يكمن في ذلك بالذات · انه التعبير عن أدق حركات روح الشاعر وفكره ·

ومهمة النقد هي تقسيم الصورة النسيجية التي يكمن فيها جوهر الشعر نفسه الى أفكار منفصلة وأحاسيس وصور فنية وايقاعات ، ثم يجرد ارتباطات كل هذه العناصر ، ويكتشف فيها آلية تأثيراتها ، ومن ثم الموقف الوجداني المحدد للشاعر في علاقته بالواقع الاجتماعي والخلفية الفكرية لتلك العلاقة · لكن ذلك يجب ألا يفضي بالنقد الى وضع متطلبات

وشروط قسرية ازاء الانتاج الأدبى قد تؤدى الى ابتعاد القارىء نتيجة لتلك الآراء والادعاءات ·

وأسوأ ما فى الأمر أن نرى الناقد يؤدى دور المراقب أو المعلم تجاه الشاعر · ان هذا الموقف هو خرق للأخلاق وظلم للشعر والشعراء· يجب أن يتخلص النقـد من نبرة الحاكم أو الرقيب ، ويجب أن يتفـاعل مع أخلاقيـة الفن ، وهو ما سيؤدى بالنقاد (والقراء أيضـا) الى اكتشافات واستخلاصات كثيرة وجديدة · يجب على النقد أن يقرب الشعر للقارىء ، وهى مهمة عظيمة ، اذ ان الشـعر هو منبـع التقنية الجماليـة للروح الانسانية ، انه يعلم الانسان أن يحس بعمق ورقة ، ويغنيه روحيا، ويعمق عالمه الوجدانى · ان الشعر يربى فى الانسان الأوليات الجمالية ، والتى هى – فى جوهرها – اجتماعية بلاشك، اجتماعية بأوسع مفهوم للكلمة » ·

(٣)

لا يستطيع أحـد أن يسكت غنـاءنا ·

سنواصـل الغنـاء ·

فالعـالم جميـل – نحن نؤكد –

جميل ، جميل ، جميل – وسنواصـل الغناء ·

لم يكن ممكنا نشر « روميوسينى » عند كتابتها · وكان لها أن تنتظر ست سنوات كى تنشر عام ١٩٥٤ للمرة الأولى · وللمرة الثانيـة ، يقوم « ثيودراكيس » بتلحين احدى قصائد ريتسوس ، ليقدمها الاثنان معا الى الجماهير الحاشدة قبل فترة وجيزة من منع النظام لأعمال الاثنين ·

لا يستطيع أحـد أن يسكت غناءنـا ·

كأنه يكتبها وأسنانه مطبقة ، وشفتاه مزمومتان · لمحة من السخرية والمرارة بدأت تظلل قصائده الأخيرة، دون أن تقمع الأمل الكامن فى قلبها· وبعد اطلاق سراحه ، جمع القصائـد المكتوبة فى ظلمات الحقبـة الماضية

(١٩٤١ ـ ١٩٥٣) فى مجموعة بعنوان شامل : « **سهر** » ، تحت عبارة اقتبسها من فترة حالكة أخرى فى تاريخ اليونان ، من « ديونيسيوس سولوموس » : « أعين روحى مفتوحة دائما ، لترقب دائما » • انه السهر على جثة الميت فى مواجهة انحطاط وظلم الحياة ، بلا يأس أو انكسار ، بل بالأمل والعنفوان •

تزوج عام ١٩٥٤ ، وفى العام التالى احتفل بطفلته القادمة بديوان « **نجمة الصباح** » ، الديوان الأول الذى لا تشوبه لمحة مرارة أو حزن • لكن الفرح بنجمة الصباح الوليدة لا يلغى الاحساس بضياع ما • كما أن الوضع اليونانى ـ بالرغم من تحسنه الجزئى ـ لم يكن ليرضى شاعرا بقامة وأفكار ريتسوس •

كانت الحقبة التالية ـ وحتى اعتقاله الجديد عام ١٩٦٧ ـ فترة خصوبة انتاجية هائلة : ما لا يقل عن ثمانية وعشرين ديوانا من الأعمال الجديدة ، وثلاثة مجلدات لقصائد ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠ ، وتسعة مجلدات لترجماته الى اليونانية • ويتكشف الاهتمام بتعميق التجربة الشعرية ، والتجاوب مع المتناقضات والتعقيدات الصارخة التى مر بها • نزوع الى الحوار الذاتى الدرامى ، كشكل طيع لتقديم رؤية للعالم يمتزج فيها الأسطورى بالآنى ، والصفاء والبساطة يتعايشان مع الغموض والكوابيس، واليومى يمتزج بالفانتازى •

هكذا ، يستعيد « **أوريست** » من الذاكرة الأسطورية فى مونولوج درامى يطرح الصراع بين « الفعل » و « الفكر » • وتقود القصيدة بطلها الأسطورى فى طريق تأمل يفضى به ـ فى نهايته ـ الى الرغبة فى الفعل ، برغم ادراكه لأعمق تعقيدات الحياة • وبمعنى ما ـ اذن ـ يقدم ريتسوس مراجعته لـ « هاملت » • فهناك :

•• الوعى جعلنا جميعا جبناء •
ولهذا فالمظهر الأصيل للقرار
قد علاه شحوب الفكر •

أما بالنسبة لأوريست ، فالقرار ليس مقموعا بفعل الفكر، بل يقوى به • انه مشلول ــ بصورة مؤقتة ــ بفعل تأملاته ، لكنه ــ فى النهاية ــ يذبـــح « كليتمينسترا » ، ويقدم على ذلك لا برغـم ادراكه الأعمق ، بل بســـببه •

انها الوحدة التناقضية للتعارضـــات • فليس غريبـــا ــ اذن ــ أن يكون الأسلوب البلاغى المهيمن فى القصيدة هو « المفارقـــة » : (« حركة بلا حركة » ، « ضبابى ، لكنه محدد » ، « صرخة صامتة » ، « ما لا يعزى، •• يعزى ») • ولا يمثل ذلك تلاعبـــا ماهرا بالألفاظ ، بل تحقق لغوى لمادة الموضـــوع • وهو ما لابد أن يوجـــه انتباهنا الى الطبيعة الثنائيـــة والتناقضية للصور التى تنقسم ــ فى عمقها ــ الى نمطين • ثنائية محددة و / أو مدمرة ، فى النمط الأول تتجلى فى تشبيه لسان الجرس والجرس ، الذى يصف اغتراب اليكترا عن صوت عويلها :

وهى تتـــدلى هنـــاك داخل صورتها
كلسان جرس ، وهو يقرع ويقرع الجرس •

وصوتها هو صوت الانتقام ، أو هكذا تظن • لكن أوريست ــ وهو يمضى تدريجيا الى المعنى الأعمق للأشياء ــ يدرك أنها « سجينة عدالتها الضيقة » • انها مفارقـــة أن الدوافـــع الطبيعية للفعـــل الانتقامى تسجن الذات ، وتحد منها • ولهذا ، فاليكترا الشابة انما هى عجوز ، وحزامها « يشبه شريانا بلا دماء حول بطنها » •

ويرفض « أوريست » أن ينحصر فى نفس الطريق • واذ يبحث عن « مخرج وأيضا مدخل » ، فانه يتوصل الى ذلك عن طريق النمط الثانى للرؤية الثنائية ، حيث الذات الفردية الراغبة فى الفعل (اللسان) تكف عن التصادم مع المحيط الضيق ، الفظ ــ (الجرس) ــ ويتم استيعابها فى لانهائية ما غامضة وحافزة • وما ان يدرك أن النضال الانسانى كله ــ حتى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » ــ « يحفز الحياة » ، فانـــه يقوم ــ راضيا ــ بالفعل •

والصور ــ فى هذا النمط الثانى ــ تجمع المتعارضات معا : السكينة والغليان ، الحركة والسكون ، والمتناهى واللانهائى ، والموت والبعث • فالليلة الساكنة ــ التى تكسرها صرخات « اليكترا » ــ تشبه نهرا مظلما :

ينساب نحو البحر بقفزات لا مرئيـــة
(ربما كان أحدهم يرمى أحجارا فى النهر)
وفلاح يسير على حافـــة حقـــل
وهو يحمل تحت ذراعه الظل الذى رمته غيمة ــ
ظل يرسم مشهدا طبيعيا بعيدا للانهاية)
(فأر يهوى فى الآبـار ويغرق ،
لكن الآبار نفسها تعكس الكواكب
وهى تتحرك ببطء عبر السماء)

وفى جميع هذه الحالات ، يرتبط شىء ما صغير ، محدود ، ومدمر فى الغـــالب ، بشىء كبير ، غامض ، بـلا ايذاء : نجوم ، غيوم ، النهر ، الظلال ، مربوطين معا ضمن :

ايقـــاع الحيـــاة المتكرر •

فى هذا السياق من السكينة والايقاع الأبدى ، والصمت الكامن فى النسـق الذى ينتظـم البـــذور والنجوم ، نلتقى ــ لأول مرة ــ بالبقرة الصابرة المتحملة ، التى تساعد عيناها الكبيرتان الأرض على التآلف مع الأبديـــة •

وعندما نلتقى بالبقرة مرة ثانية ، فاننا ندرك أنها ــ أيضا ــ وأكثر حضورا من أى رمز آخر ، تتوج التعارضـــات المتصارعـة • فهى لم تعد مربوطة ــ فى كسل ــ كما السابق ، بالأوراق والسماء الزرقاء والتربـة الدافئة • وما ان تتحرر من النير حتى نكتشف أنها :

مجروحـــة فى ضلوعها وظهرهـــا • • •

فهى ــ بذلك ــ مشاركة فى كل من الايقاعات الخلاقـة للأبديـة ، والمعاناة المدمرة للحياة الأرضية •

أما ذلك النهر الآخر ـ النهر المظلم الذى ينساب نحو البحر مضطربا بفعل الصخور التى ربما ألقاها أحدهم فيه ـ فقد تصعدت أحجاره الى دماء ، ترتبط بالسيف الدامى الذى سيستخدمه « أوريست » فى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » • وفيما كان التقابل ـ فى الثنائية السابقة ـ قائما بين الأشياء الصافية وغير الصافية ، فان الايقاع المتكرر للحياة يفتقد ـ الآن ـ صفاءه ، بل انه ـ الآن ـ جرح كونى • مفارقة تتراكم فوق أخرى، فما كان ـ فى البداية ـ متناقضا لأنه جمع التعارضات الظاهرية معا ، يصبح ـ الآن ـ مزدوج التناقض • ورغم ذلك ، فالنهر المعتكر للحياة المنسابة أبدا ما يزال يستبقى خصائصه الشفافية • والدم النازف من شفتى البقرة قد تلاشى ـ بالتدريج ـ فى ذلك الجرح العظيم ، كأنه ينساب :

متحررا ، بلا ألـم ؛
خلال شريـان خفى للعـالم ••

وهذا الشريـان الخافز للحياة هو المقابـل لذلك الشريان الآخر ، الذاوى بـلا دماء حول بطن « اليكترا » • وبينما تظل « اليكترا » ـ فى عماها السجان ـ عدوا للمفارقة ، لأى شىء « غير منطقى » ، فان البقرة ـ بحكمتها ـ تبدو وقد تعلمت ، تبدو قادرة على القبول فى سكينة :

بـأن دمنا لم يهدر ، أن لا شىء قد أهـدر ،
لا شىء مطلقا قد أهدر فى هذا الهباء العظيم •

وهذه الحكمة يتبناها الآن « أوريست » ، ثمرة لتأمله الطويل أمام بوابة الأسد • يدرك أنه يحمل هذه البقرة فى ظله (نذكر ذلك الفلاح الذى يحمل ظل غيمة تحت ذراعه) ، يدرك ـ أيضا ـ أن الظلال اللينة ، اللامحسوسة لقرنى البقرة يمكن أن تتحول الى أجنحة مسنونـة يتمكن بها من عبور الباب المغلق (فلنتذكر « اليكترا » ـ فى المقابل ـ وهى معلقة فى واجهة جرسها الفظ) •

لقد اكتشف أننا نشـارك فى الحقيقة الكونية (للاشىء العظيم) بأن نسمح لأنفسـنا ـ من خلال التـأمل ـ بأن نتعلم المفارقـة أن كل

المغتصبين أبرياء ، « لأننا جميعا مغتصبون على نحو ما » • اننا نشارك في حقيقة كونية بالعمل في توافق معها • ذلك هو قدرنا • وقد يبدو أوريست وكأنه يفعل باسم تبريرات « اليكترا » غير المقنعة ــ العقاب ، العدالة ، الانتقام والكراهية ــ لكن تلك التبريرات لا تزيد عن أقنعة يرتديها كي تغطي ذاته الحقيقية • وحين يشارك في الموت ، فانه يختار ــ بحرية ــ « المعرفة وفعل الموت الذي يولد الحياة » •

ولهذا ، فالأفعال التي تشارك في كلية تتضمن التدميرية هي ــ الى حد ما ــ ايجابية • ولا يستطيع « أوريست » أن يقوم بالفعل بناء على أسباب غير مقنعة تقترحها « اليكترا » ، لكنه ربما يستطيع الفعل من أجل هذه الـ « نعم » اللامنطقية ، التي تشرق غامضة ومنيعة فيما هو أبعد من كل فرد ، أو « ربما من أجل انتصار ما بلا فائدة على أول وآخر مخاوفنا » •

تلك هي الكيفية التي يحل بها ريتسوس الصراع بين « الفكر » و « الفعل » • فهو ــ من ناحية ــ يرفض القبول بالفعل الطائش ، فيما يرفض ــ من ناحية أخرى ــ السماح للمعرفة العميقة ــ المعرفة المتحققة بفعل التأمل ــ أن تشل بطله • وعلى النقيض من « هاملت » ، يقهر « أوريست » تردده بفعل الحكمة المأساوية، ويقوم بالفعل ، بينما صرخات « كليتمنيسترا » و « أيجيثيوس » تذوب في الايقاع المتكرر للحياة ، الايقاع الذي يتضمن ــ الآن ــ لا أصوات الطيور المغردة فحسب ، بل ــ أيضا ــ أصوات الصيادين المدمرين • ولهذا ، ففي نهاية المونولوج ، تستقر البقرة ــ وهي الصورة الأساسية في القصيدة عن المفارقة المحلولة ــ في منتصف بوابة الأسد ، وتحدق بعينين سوداوين في ضوء الصباح •

(٤)

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا علي ،
فان لم تعثروا علي ، فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدي ،
فتمتزج بصمات أيدينا •

وكأن سدا ما قد انفتح فى هذه الحقبة من السلام النسبى ، التى تشبه هدنـة ما ، أو استراحة المحارب ، قبـل أن يعود الى الجحيم • فيضان من الأعمال المنشورة ـ التى أجلتها المطاردات والمصادرات وظلمات الاعتقال • وفيضان آخر من الكتابة الجديدة التى أنضجتها المحن ونيران المواجهة والتصادمات •

كتابة تخترق كل الاتجاهـات بلا حدود ، وكل الأشـكال والأزمان التاريخية والأسطورية • أعمال مونولوجية درامية تستمد من الأسـاطير الاغريقية شخوصها المعذبة ، الأليمة ، ومناخاتها الكابوسية ، الفانتازية ، المشحونـة بالصراخ والجنون وحكمة الزمن • وذاكرة متخمة بالتواريـخ والرموز الحية التى تتزاحم بحثا عن مخرج شعرى الى الضوء ، دون أن تسـتغرق البصيرة ـ أو تسـتلب ـ فى الوراء • انه الراهن ، الآنى ، والبصيرة المعاصرة ، والعين التى تدور حول محورها ـ أفقيا ورأسيا ، فى آن ـ بزاوية ٣٦٠ درجة ، فترى ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون •

ولا بحث عن أفعال بطولية خارقـة ، ولا عن أبطال يتسامون على البشرى • فالبطولة ـ فى ذاتها ـ كامنة فى البشرى ، اليومى ، الاعتيادى فى مواجهة الكارثة ، ومواجهة الحياة المأزومة• لا رومانتيكية ولا تجريد ، لا عدمية ولا ذهنيـة • احتفال دائم بالحيـاة كلها ، بشهواتها الانسانيـة العارمة ، بمكنوناتها التى تضج بالرغبات والأحلام والتشوفـات ، دون تواطؤ على شىء • اضاءة ـ فى نفس الوقت ـ للحظات الانكسار ، للعجز عن التواصل ، للأحلام المحبطة ، للبكاء الليلى فى الوحدة الباهظة •

هنا ـ بالتحديد ـ تبـدأ « **الأقواس** » ، تلك القصائـد التى كتب ريتسوس مجموعتها الأولى عام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ، ولن تعرف طريقها الى النشر ـ أول مرة ـ الا عام ١٩٦١ ، والمجموعة الثانية التى كتبت بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ • أما ديوان « **البعيـد** » ، فكتب عام ١٩٧٥ ، ونشر فى مارس ١٩٧٧ •

ما يجمع المجموعات الثلاث هو وحدة الرؤية الرمزية والحساسية، سواء في قصائد المجموعة الواحدة أو قصائد المجموعات الثلاث معا ٠ رؤية شاسعة الفضاء داخل القوسين ٠ هما قوسان يشبهان يدين متواجهتين عبر مسافة ما ، تجاهدان من أجل التحامهما معا والغاء المسافة، من أجل اللقاء الذي يعيد تأكيد التواصل الانساني بين الذوات المعزولة ٠ لكن ، بالرغم من أن هناك اشارات واضحة نحو انغلاق الفجوة بين اليدين، فان الاشارات تبدو محكومة ــ بصورة حتمية ــ بالفشل ٠

والقصيدة الافتتاحية في الأقواس الأولى ــ « معنى البساطة » ــ تصلح تقديما للانشغالات الأساسية للشاعر ٠ انه الاقرار بمسافة مفترضة بين الأنا والآخر ــ قد تكون المسافة بين القوسين ــ واحتمال الفشل في اللقاء ٠ لكنه الالحاح ــ في نفس الوقت ــ على ضرورة المحاولة ٠ وهي قصيدة يتم تأويلها ــ غالبا ــ باعتبارها عقيدة :

« مثل كافافي ، لا يمكن فهمي الا من خلال الأشياء المختبئة ، لكن الأشياء التي أختبىء وراءها بسيطة ، وهناك مدخل لها عبر الكلمات عندما تكون الكلمات صادقة : أيها القارىء حاول أن تعثر علي من خلال كلماتي، لأنني أريد اللقاء ، ولا يهم مدى الصعوبة التي تواجهنا من أجل أن يصل كل منا الى الآخر ــ في الحقيقة ، انني أصر على اللقاء » ٠

انها احدى قصائد ريتسوس القليلة التي تحمل خطابا شخصيا ٠ ولن يظهر صوت « الأنا » ــ مرة أخرى ، في الأقواس الأولى ــ حتى القصيدة الأخيرة ٠ وبين الأولى والأخيرة ، سنجد القصائد تستخدم ضمير المخاطب ، وضمير الغائب ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير المخاطب الجمع، وأية صيغة نحوية أخرى من أجل تفادي « أنا » الشائعة في الخطاب الغنائي أو الذاتي ، وهو ما يمثل شاهدا اضافيا على اصرار الشاعر على التخفي في هذا المثال وراء موقف موضوعي ٠

وليست القصائد بسيطة ــ بالمعنى الشائع ــ رغم تركيز بؤرتها الظاهرة على الأشياء البسيطة ، نسبيا ٠ فالأشياء البسيطة ــ في

« نسخة مصغرة » ، على سبيل المثال ـ تكمن فى امرأة بلا هوية ، وضابط بلا هوية ، وبعض شرائح الليمون النحيلة ، ومقعد قديم ، وكبريت وسيجارة وكوب شاى • ويكمن الفعل فى غياب الفعل : زيارة قد تفضى الى تلاق من نوع ما ، التقاء لا يحدث فى النهاية • وشرائح الليمون البسيطة تلك تصبح مجازا مركبا يمثل قلب القصيدة • وتواجه المرأة والضابط بعضهما عبر قطع الأثاث المحدودة ، مع أمل ما فى علاقتهما غير المحددة ، أمل يكفى ـ على أية حال ـ لمنع الزائر من النظر الى المرأة ، ولبث الرعشة فى يده التى تمسك بالكبريت • أهو احتمال شهوانى ، لقاء محتمل لعاشقين عند أكثر المستويات جوهرية ؟ بالكاد يبدو كذلك ، عندما تشكل شرائح الليمون ـ تلك التى أعدتها اليدان الحزينتان للمرأة من أجل الشاى ـ عربة صغيرة تستعيد عالم الطفولة بحكاياته الخرافية البعيدة ، بقدر ما تستعيد بعد المرأة / الابن فى هذا اللقاء بين امرأة غير محددة العمر وضابط محدد ـ بوجه خاص ـ كشاب « له ذقن رقيقة » • وقبل ادراك هذا التوقع بالحب ، توقف الساعة دقاتها لبرهة ، وتوقف الوقت • بعدها ، تأجل اللقاء أيا ما كان مستواه ، ولحظة التلامس المحتمل ، سواء كان جسديا أم عاطفيا أم الاثنين معا ، تمر وتنقضى • وفى مرورها ، تستبدل عربة شرائح الليمون الخاصة بحكاية الطفل الخرافية بعربة لا مرئية تحمل الموت • أهو موت امكانيات تلك اللحظة ؟ موت تلك التوقعات الغامضة ؟ أم انه نذير بموت الضابط فى معركة ما ، والقضاء على أى مستقبل له ؟ (كتبت هذه القصائد فيما بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ، لتعطى ـ أحيانا ـ تلميحات قوية الى السياق التاريخى الأكبر ، الحرب الأهلية القاسية) •

والأسئلة العديدة المطروحة تتخطى الأشياء البسيطة ، دون أن تقدم القصيدة اجابة محددة على أى منها ، فلا نعرف سوى أن العربة التى تحمل الموت قد جاءت ومضت فى لحظة الغموض التى توقفت فيها الساعة عن دقاتها ، وأن الأمل فيما هو أكثر من مجرد لقاء على شاى قد تأجل ، وأن الوقت الآن قد فات على اكمال هذا اللقاء المرتعش بين رجل وامرأة يؤديان أحيانـا ـ دورى الأم والابن • ولا مجال الآن لتبجدى الموت العـارض

أو الدائم • ويعود انتباههما الى مائدة الشاى ، المنسية بالعربة ذات العجلات الليمون المتوقفة فى الجانب المظلم من الشارع ـ شارع الآمال الضائعة ، والتوقعات المستحيلة ، ربما •

والقصيدة التالية ـ« امرأة » ـ تمثل ما يعتبر المجرى العام لشعر ريتسوس ، ذلك الانشغال بالفقراء وهمومهم • لكن ما تحت السطح ينطوى على استراتيجيات وتوجهات تربط هذه القصيدة بالسابقة وبالقصائد الأخرى ، فتضىء الايماءات التى فشلت فى تأسيس تواصل ما بين أشخاص منعزلين، والمحاولات الفاشلة لاختراق العزلة أو الوحدة ، أو تقصير المسافة التى تفصل بين اليدين اللتين تتواجهان فى شكل قوسين • وعنوان القصيدة ـ المتضمن حذف أداة التعريف ـ يؤسس مسافة ما ، وانتفاء للشخصية ، على نحو ما يفعل الضمير المقابل (نحن) فى السطر الثانى ، لندخل ـ بذلك ـ فى متاهة الايماءات ، حيث تفترض الايماءة الأولى الصادرة من العنوان ـ الدلالة على « النساء » عامة ، اللائى يعنين ب « **تصبح على خير** » ادارة الظهر • لكن ايماءة أخرى سرعان ما تتقدم كمحاولة لملء الفجوة بين « هن » و « نحن » : « **يضعن الخبز على المائدة** » كى يصبح حضورهن أقل ايلاما لنا • ونستجيب بايماءة مشابهة ، بأن نعرض اضاءة المصباح ، لأننا ندرك دورنا فى خلق هذه المسافة : « **كان ذلك خطأنا** » • وبينما نشعل الكبريت ، تصبح النساء عامة ـ فجأة ـ مفردا ، « هى » شخصية ، لتبتعد عن ايماءتنا بعبء موت على ظهرها ، يشمل « موتك » •

وعند نهاية المقطع الثانى ، لا تحدث ـ فحسب ـ نقلة نحوية من الجمع الى المفرد ، فى حالة النساء ، لكن ضمير المتكلم الجمع ـ المطابق للأنا المذكور العام ـ يتقلص الى ضمير المخاطب المفرد ، كاشارة نحوية الى حميمية أكبر ، وهو ما يمتد الى مخاطبة القارىء أيضا ، « القارىء المنافق hypcorite lecture » ، ان صح التعبير • واذ تستدير النساء ويبتعدن الى عالمهن الحزين حيث تصرخ الأطباق فى الرفوف ، فانك ـ أنت ، وأنا ، وشخص الشاعر ـ نرى أن حزنها ربما لم يكن شخصيا كما كنا نظن •

انه نتيجة لدورنا فى حياتها ، وايماءاتنا الفاشلة ، أو حتى بفعل موتى العائلة وموتنا نحن الذى تحمله داخلها ، مثل هؤلاء الذين يمضون الى جبهة القتال ، وبفعل الدور الرمزى للمرأة كعاشقة وزوجة وأم تندبهم جميعا • وقد حولت الاشارة الى الجنود الذاهبين الى المعركة من ايقاع الدراما فى اتجاه السياق العام الذى بدأت منه ، والذى بدا التأثير النحوى ــ فى المقطع الثانى ــ وكأنه ينقذنا منه • وبالرغم من جسور الايماءات الوقتية ، تبدو المسافة الفاصلة محتومة ومنيعة ، حينما نصل الى السطر الأخير ، على نحو ما كان الشاعر قد افترض فى السطر الأول •

هكذا يؤسس ريتسوس خطابا كليا عبر تكرار جزئيات مترابطة من قصيدة لأخرى ، وهو نمط أصبح أكثر وضوحا ودرامية ــ فى تأثيره ــ فى مجموعاته الأخيرة • وسوف تكشف لنا سطور قليلة من قصائد أخرى الملمح الكلى لاحدى الأفكار المركزية التى سبق استكشافها، فكرة الشخص الوحيد الطامح ــ والذى يفشل دائما ــ الى الالتقاء بالآخر المعزول • ومع الفشل ، فانه أحيانا ما يتوصل الى نوع من الاكتفاء الذاتى • من قصيدة « ربما ، ذات يوم » : « **لكننى أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ، / لأنك ان لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر ــ / سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك ــ/وربما ذات يوم،من اتجاه مختلف، سوف نلتقى** »، ومن قصيدة « اكتفاء ذاتى ؟ » : « **تحت الأشجار كرسيان • لماذا هما اثنان ؟ / آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك** » ، ومن « فهم » : « **كى تستطيع النظر خارج نفسك ــ دفء وسكينة • / لا أن يكون « انت وحدك »** ، **بل « أنت أيضا »** • ومن « نفس النجمة » : « **ذلك الرجل يشك فى أن كل مرآة / بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة فى عريها ــ / تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ • / تستغرق فى النوم وهى تتشمم نجمة • / ويستلقى يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة** » •

***

وفى **الأقواس الثانية** (١٩٥٠ ــ ١٩٦١) ، ثمة انشغالات واستراتيجيات ترتبط بالسابقة ، على نحو ما يؤكده اختيار الشاعر

للعنوان المشترك • فالفشل فى التواصل ، والنكوص الى اكتفاء ذاتى ، حاضران — مرة أخرى — فى احدى القصـائد القليلة التى تستخدم ضمير المتكلم — « اكليل » — حيث يقرر الشخص المنعزل أن يتوج نفسه بالاكليل المجدول من الغـار ، والذى ظل محتفظا به من أجل الآخر الذى يحـاول — سدى — العثور عليه • وهناك — أيضا — فشلنا فى التآلف مع حقائق كل من الحضارة والطبيعة ، وضياعنا فى محيط لا يستوعب مقاصدنـا الطائشة والخرقاء أحيانا •

لكن الفكرة الأكثر الحاحا فى هذه المجموعـة تكمن فى عجزنـا عن الفعل ، أو فى هواجسنا ازاء الأشياء التى لا تحدث ، والأماكن الخاوية والمغلقة • ففى « الوحيد » ، لا يكفى أن ما تم انتظاره زمنا لا يحدث — وهو ما لا يتم تحديده — لكن هؤلاء الذين انتظروا شيئا ما أن يحدث يجـدون — وهم يخفضون الأعلام — أنهم متروكون وليس معهم سند وحيد،أو بديل وحيد لما كان متوقعا ، مع افتقاد الحل البربرى فى هذا العالم الكافافى الجديد ، افتقاد التبرير • واذا كانت الجدران — فى « الوحيد » — «**تفوح — بقوة — بالغربة** »، ففى « تعبير الخريف »، تفوح الأشياء المحيطة بالخواء، بالغيـاب ، بالموسـم الخطـأ ، لأن « **الرطوبـة الهائـلة بدأت • ورحـل المصطافون** »• ونعرف من « تقويم مكتبى » أن « **الجميع ذهبوا الى الخارج** » فى منتصف الشتاء ، ليتركونا الى « **ملامح اليأس من الريـح / فى واجهة الباب الزجاجى للفندق المغلق** » •

ولا يحدد ريتسوس مصادر أو أسبابا بعينها للاحساس بالهجران والغياب ، بالجمود والصمت الذى يسود المشهد لديه فى الأقواس الثانية، ولا يقدم اشارة واضحة لما يمكن أن يكون سببا فى تغيير الاحتمالات المرجأة والتوقعات المجهضة • والمدخل الوحيد الذى يتيح لنا التوصل الى رؤيته للمستقبل ، وللكيفية التى يمكن أن تتحول بها الأشياء ، يتحقق من خلال قصيدتين من أهم قصائده فى « الأقواس الثانية » • وكل منهما تقترح آلهة جديدة تحل محل القديمة •

فى القصيدة الأولى — « فى أطلال معبد قديـم » — يضع ريتسوس الآلهة القديمة والجديدة فى تقابل مبـاشر : « **حارس المتحف كان يدخن**

أمام حظيرة الغنم ۰/ كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية » ۰ ويبدى الراعى والحارس القبول بالأطلال الرخامية القديمة كأشـياء حياتيـة ، عادية ، كأن الأطـلال قد استنزفها الزمن من أية وشائـج الهية ، لتصبح ـ الآن ـ جزءا من هذا العالم كنفس تلك الشياه التى ترعى بينها۰ والواقع أنه لا يمكن الفصل بين الشياه والأطلال : « جرت الغنم اليه كأن الأطلال الرخامية كانت تجرى » ۰ وتبدو المرأة ـ مع الثياب المغسولة ـ طارئـة على الآلهة القـديمة ، وهى تعلق سراويـل زوجها الداخليـة على أكتاف « هيرا » ۰ وبدلا من موكب تمجيد الآلهة ، نجد صيادين بسـلال مليئة بأسماك وامضة ، متعددة الألوان ـ بل الأسوأ أن وشاح الربة المطرز فى أبهة قد تم تمزيقه لصـنع ستائر ومفـارش الموائد ۰ وبدلا من الاحساس بالسخرية ، يتملك المرء الاحساس بمنطقة ومناخ تم تنظيفهما من أجـل بدايات جديدة ۰ ففى التعامل مع الآلهة القديمة بهذه الصورة العارضة ، بهذه الألفة ، فى تحويلهم من أدوات غموض الى أشياء منزلية نافعة تتطلبها الضرورة ، يبدو أهل العالم الرعوى الحديث لا وكأنهم قد كيفوا ماضيهم القديم ، بل وقد فرضوا عليه الحياد ، كأنهم يهيئون لقدوم آلهة جديدة ۰

وسـيجد هذا التفسير ما يدعمه فى قصيدة تاليـة ـ « بخور » ـ وخاصة فى سطورها الأخيرة ، حيث يبدو اشعال سيجارة كنوع جديـد من طقس الهى ، من بخور جديد من أجـل اله مجهول ، لا يبلغـه أحد ، مرصود باعتباره « **الههم تماما** » (كى نميزه عن آلهة الآخرين ، عن آلهة التراث ، وآلهة الأعداء ، الخ) ، اله بلا اسم ، ولا تحديد ۰ وعلى العتبة يتذكره الرجال ، وهم فى غمار الانبثاق من الأحياء المغلقة ، الزجاجيـة ـ فى المقطع الأول ـ الى الهواء الطلق ، فى طريقهم الى عملهم ، مفترضين ـ ربما ـ أنه اله جديد ما يشير اليه دخانهم ۰

★ ★ ★

ونصل الى « **البعيد** » الذى كتبت قصائده بعد خمسة عشر عاما من آخر قصيدة من « الأقواس » ۰ ويتخـذ المشهد الذى يطرحـه ريتسوس خشونة وكآبة تتخطى تجليات أعماله السابقة ، غير أن هناك قوة جديدة

تنطوى عليها هذه المرحلة من رؤيته . فالقوة العليا المهيمنة ــ على نحو ما يفترض العنوان ــ هى المسافة، والصمت، وما يتعذر بلوغه ، والبطالة، أى كل ما تضمنته الأقواس الأخيرة، لكنه يصل ــ هنا ــ حدوده القصوى. ورغم أن قصيدة العنوان هى الأخيرة فى الديوان ، فانها تنطوى على نغمة الابتهال ، كصلاة ما الى اله يرفرف بأجنحة من أقواس ريتسوس ، وقد احتل ــ هنا ــ منصة مركزية ليتلقى التراتيل مباشرة : «أيها البعيد...». وتبدو الفجوة الفاصلة بين اليدين المجازيتين للأقواس وقد اتسعت الى ما لا نهاية ، اذ ان الخطر الأكثر حقيقية انما يأتى من « **القريبين ، من القرب ذاته** » ، واذ ان ما يستند اليه العالم انما هو شيء ما لا يمكن التسليم به ، شيء ما بلا ضمان ، يعيش خفيا فى عالم البطالة حيث تهيمن الموسيقى .

ومعظم العناصر التى تؤسس للمشهد الجديد فى « البعيد » مألوفة منذ القصائد المبكرة ، لكنه يقدمها ــ فى هذا الديوان ــ بأسلوب متخلص من كل زخرفة ، ليحقق قوته فى نوع جديد من البساطة والاقتصاد ، لا عاطفية مباشرة، لا استعارات واضحة ، والتركيب الأساسى للعبارات ، والألوان الأولية ، والتفاصيل مركزة ــ فى تدقيق ــ من أجل خلق صورة بلد ينتابه عنف سرى :

الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق .

فالفعل ــ فى قصيدة « فى اتجاه السبت » ــ قد تمت معالجته باقتصاد ، محض الحقائق العارية ، ولا تعليق . مشهد تم تصويره ــ بقوة ــ لأحلام رديئة ، لرعب تستعيده الذاكرة مع المخاطر والتهديدات التى تظل بلا حل . وربما كان الشخص المحورى ــ فى هذا المشهد الكابوسى ــ يمثل ضحية فى شرك ، يحاول أن يتخفى من قوى وأعداء غير واضحين ، ولا تحديد لهم سوى ب « هم » .

وتهديد الاعتقال والاذلال يطارد ضحية الكابوس ، حتى فى تلك اللحظات المنذورة للبهجة ، مثلما فى « الاعداد للاحتفال » ، حيث الشخص

الذى يحتفلون به فى اجتماع عام فى قاعة كبيرة ، لا يكتشف فحسب أنه ضائع فجأة ، بل يدرك أيضا أنه اذا ما استعاد نفسه ، واستطاع أن يحرك قدميه كى يمضى ، فان الحاجب سيقبض عليه ٠

وافتقاد الضحية للتواصل مع نفسه يتوازى مع افتقاد كلى للتواصل مع الآخرين فى هذه القصائد التى تلتقط فكرة اثنين يواجه كل منهما الآخر فى محاولة للتحاور ٠ لكن الحوار الجوهرى قد مضى لما هو أبعد من اللقاء عبر الكلمات ، على نحو ما يؤكد عنوان احدى القصائد : « حوار موجز » ٠ فحتى السرير الذى تواصل فيه الحوار ، تراه المرأة ك « **حيوان صامت ، متوحش يتاهب للرحيل** » ٠ والبعد الفاصل بين « هو » و «هى» — فى هذا الديوان — يبدو غير قابل للعبور ٠ انهما ميتان بالنسبة لبعضهما البعض ٠ ذلك ما يبدو — حرفيا — فى « اكتمال تقريبا » ، حتى لو كان حوارهما يجاهد فى انكار ذلك ٠ وفى أفضل الأحوال ، فهما يتواجهان كمشلولين ، مستريبين ، يرى كل منهما الآخر بعينه الزجاجية٠

والقصيدة التى تقدم — بالفعل — صورة للاتصال الجسدى — « شروق شمس الشتاء » — تخبرنا بأن الشخص الثالث فى المنتصف ليس سوى تمثال،ويرى الثلاثة يتمشون فى « **اللامبالاة المضيئة للموت** »٠ وهذه الفكرة — فكرة موت اللقاء حينما يبدو ممكنا وضروريا — تجد خلاصتها المنطقية فى « مع ما يتعذر بلوغه » ، حيث ال « هو » يصل الى ما يبدو وعدا أقصى بالاكتفاء الذاتى ٠

ان رحلة الثلاثين عاما من « **اقواس ١٩٤٦ — ١٩٤٧** » الى « **البعيد** » هى رحلة تطهير مريرة ، من تركيزه على ما يسمى بالأشياء البسيطة والايماءات المجهضة الى التركيز على الأساسيات العارية — لا الجرداء — والطقوس البدائية ٠ لاخطابة أو انشائية ، لا غنائية ذاتية ، بل المجازى الذى يضىء — فى غموضه — مأساة الحضور الانسانى ٠

(٥)

أيها الألـــم اللانهائى
أيها الفرح باتســـاع العالم .

كأنه كان يسابق الزمن ونفسه ، دون اطمئنان الى حريته ، أو كأنه — بحدس الشاعر العميق — كان يدرك أنها حرية موقوتة كالقنبلة التى لم يحن موعد انفجارها . وقبل أن تنفجر كان قد نشر ديوانه « **شهادات** » على جزءين ، عامى ١٩٦٣ و ١٩٦٦ . تجربة جديدة من قصائده القصيرة المكثفة ، التى يعيد فيها اكتشاف أركان العالم المختبئة، ولحظاته الهاربة ، وايماءاته السرية . وللمرة الأولى ، ينشر تقديما ل « الشهادات » كان قد كتبه بطلب من اذاعة براغ لبرنامج خاص عن الديوان :

« ان مهمة الشاعر، فيما أعتقد ، تكمن فى أن يتحدث لا **عن** الشعر ، بل **من خــلال** الشعر ، حتى لو كان هو الأكثر ملاءمة والمرشـــح الأكثر مسئولية عن تقديم خيط « ارياذنى » لنا ، الذى يمكن أن يقودنا الى السر العميق لكيفية فعاليــة الشعر . مسئول ، نعـم ، لكنه لابد أن يتحدث بطريقته ولغته الخاصتين — ولغة الشعر لغة للتركيب ، فيما لغــة النقد لغة للتحليل : لغتان مختلفتان كليا . ولهذا ، فعندما نطلب من الشاعر أن يحدثنا عن عمله الشعرى وليس **من خلال** عمله ، فاننا نطلب منه تغيير الوظيفة . وفضـــلا عن ذلك ، كما قلت كثيرا من قبل ، فان « الشعر ، كشعر ، يقول لنا الكثير والكثير وعلى نحو أفضل بكثير مما يمكن لنا أن نقول عنــــه .

كيف — اذن — **ولماذا** يتوجب على الكتابة عن ال « شهادات » ، طالما أنك تستطيع التواصل معها مباشرة ؟ وحتى لو أردت سحب تحفظاتى على المنهج التحليلى للنقد ، الذى يفرغ القصيدة على نحو يصعب اصلاحـــه ، وقررت أن أستخدمه ، فاننى سأحتاج — غالبا — دستة صفحات للاشارة الى العناصر التى تنطوى عليها ثمانية سطور أو عشرة فى هذه القصائـــد القصيرة — مهمة مستحيلة بوضوح ، فضلا عن عبثيتها ، طالما أن التجربة

الجماليــة غير قابلة ـ عمليــا ـ للنقل : فهى تتطلب ـ ابتداء ـ ادراكها الخاص من قبل كل قارىء ، من خلال تجارب الحياة اللانهائية ، والمعرفة ، والممارسات ، و ـ قبل كل شيء ـ التوجهات الخصوصية .

بحكم الضرورة ـ اذن ـ فالسبيل الوحيد المتاح لنا هو اللجوء الى التبسيطات والتعميمات ، والتى ليست أكثر فائدة فى المقاربة الحقيقية للفن ، أو يمكننا اللجوء الى تفسير تاريخي موجز لكتابة القصائد . وهو ما يمكنني القيام به استجابة لطلبكم الكريم .

لقد بدأت كتابتى ل « شهادات » تقريبا منذ الوقت الذى بدأت فيه الكتابة ، أى عندما كنت فى الثامنة من العمر . أعنى بذلك أن أساسها قد أرسى منذ ذلك الحين ، بل وقبــل ذلك بكثير . لكن شــكلها الأكثر تحديدا بدأ فى التشــكل عام ١٩٣٨ ، فى سلسلة من القصائــد القصيرة التى تحمل عنوانا كاشفا « ملاحظات على هوامش الزمن » . واستمرت هذه القصائد ـ فيما بعد ـ فى « أقواس » وفى سلسلة كبيرة تالية «تدريبات»، الى أن تكثفت واتخذت شكلها النهائى ، وحملت عنوانها العام «شهادات». وقد ظهرت ـ خلال هذه الفترة ـ مجموعــات أخرى من القصائــد تحمل عناوين مختلفة .

ولا أستطيع ـ بالتحديد ـ أن أقول **كيف ولماذا** حدث أننى ـ أنــا الذى انكببت فى البدايــة على القصائد الطويــلة التركيبية بحكم الميــل والتوجه ـ قد ارتبطت لسنوات عديدة باصرار وحب بال « شهادات » ، ومأزال مشغولا بها بصورة مستمرة ، جنبــا الى جنب ما أعمل فيه أيــا ما كان ـ مقدما لها اهتماما متميزا ومســتقلا ، ولا يمكننى أن أقول لماذا أواصل كتابة هذه القصائد **المقتضبة** ، الابيجرامية . ربما يكمن السبب فى أننى مقتضب بحكم الســلالة (وليس ذلك مجرد تلاعب بالألفاظ) ، وربما يكمن السبب فى نزوعى الى أن أثبت لنفسى وللآخرين أننى قــادر على التعبير عن ذاتى بكلمة مكثفــة ، محكمة ، وربما نتيجــة للرغبــة فى الاستراحة بعد التوتر العالى المؤرق ، لفترات ابداعية طويلة ، ربما كان نتيجة لاحتياج ما لممارسة يومية فى احكام شحن قدرتى الفنية الى الحد

الذى يمكننى معه أن أستخدم ـ مباشرة ، وبلا أخطاء ـ التجارب المتجددة أبدا للحياة فى الفن ، وربما يأتى من محاولة تكثيف تعبيرى ، كرد فعل على خطر الاسهاب والخطابية الذى يتوارى خلف القصائد الطويلة ، وربما كان نتيجة للاحتياج لتقديم استجابة بسرعة البرق للمشاكل الحيوية الملحة لعصرنا ، ولعله يأتى ـ حتى ـ من رغبة فى التوقف المفاجىء ، ورصد لحظة منفردة قد تسمح بالتأمل العميق ، الميكروسكوبى لذاتها ، والكشف عن جميع عناصر الزمن التى ربما تلاشت فى مدى محدود ـ ادراك للمخفى بمعنى آخر ، من خلال الرؤيا ، ادراك للحركة الدائبة خلال الثبات .

والقصائد ـ على أية حال ، وبرغم ما قد تمثله ، الى حد بعيد ، من مفارقة (وهى كذلك ، عن عمد) ـ انما هى **شهادات** حقيقية لتجربة عامة بقدر ما هى معينة . عامة ، حينما تتعلق بسؤال أصل الانسان ومصيره ، وموقعه فى العالم ، حتى وهو يواجه الموت ، والعلاقات الانسانية فى سياق الزمن والمكان الاجتماعيين والتاريخيين ، ومعينة حينما تتعلق بالفن وتقنيته ، كأن هناك مكانا متماثلا ، وان يكن خاصا أيضا ، للبحث والتعبير الاجتماعيين والوجوديين .

وكثيرا ما سوف نلتقى لا فحسب باتجاه للاقرار والتسامح المجرد باسم الادراك والوعى العميق بعناصر الحياة الغامضة ، المعقدة ، العصية على الفهم ، المستعصية على التفسير واللامسئولة ، ولا فحسب باتجاه للكشف المكتفى بذاته لعمق قد ينطوى على تبريره الذاتى ضمن جذوره الغامضة (والذى قد لا يحتاج ـ أصلا ـ لأى تبرير من أى نوع) ، بل سنلتقى ـ أيضا ـ باتجاه للموازنة الاجتماعية والأخلاقية ، للنقد والنقد الذاتى ، وباتجاه للمسئولية الجزئية والكلية عن اللحظة التاريخية الراهنة ، عن تاريخ الجنس البشرى كله ، وخصوصا ـ بالطبع ـ تاريخ اليونان .

ولا تتردد القصائد فى التعالى على الملاحظة والوعى الحيادى ، والسحر المريح للصمت والضبابية ، وأيضا الدائرة السحرية (أو اللولب السحرى) لتقديمهم من خلال « روابط ذاتية الحركة » . ولا تتردد فى

الميل الى تحديد وتعيين الحديث ، والمحادثة ، وحتى ـ أحيانا ـ الى التحقق من الأسباب ، والشرح بل والاقتراح المحدد ، الحافز ، والتحذير ، والحل ، والاستنتاج، أو النصيحة ، وبالطبع ـ ليس دائما، وانما كثيرا ـ فوضوح الفن يمكن أن يسمح بالاسراف في البوح ، أو بالحذلقة في التعليم ، والحيادى ـ الذى مارس واكتسب تواضع الشعر ـ يمنح الشاعر الحق في اتخاذ موقف ومزاج المعترف والكاهن ، والأخلاقي وحتى المعلم ٠

أما بالنسبة لنغمة « شهادات » ، فانها (عن عمد ، وبالغريزة) لا شخصية ، لا مبالية غالبا ، وليست ـ في الحد الأدنى ـ عاطفية ٠ ليست ـ في الحد الأدنى ـ خطابية ، فيما تخفى أى عنصر مأساوى خلف تعبير حيادى لاأعرف ـ على وجه التحديد ـ ما اذا كان على أن أسميه تواضعا أم عجرفة ، أدبا أم وقاحة ، حنوا أم ازدراء (حيث الحنو ـ كما الازدراء ـ جبن في الأغلب) ، جرأة أم خوفا من سوء الفهم ونهجا في الفهم ، اخلاصا مطلقا ومتواضعا أم قناعا مطلقا للامبالاة مدهشة وقولبة يتعذر مقاربتها ، وراءها يمزق الهدوء الداخلي الانسانى نفسه بين وجهى الحياة والموت ، دون أن يتخلى أبدا عن نضاله من أجل الوجود ، واكتشاف ذاته ، والتعبير عنها واستدامتها ، ومشاركتها وتبريرها (حتى ولو كان ذلك من خلال كلمة مساوية للفعل) في العالم ٠

لا أدرى ٠ ربما كانت كل هذه الأشياء تحدث بالتبادل أو ـ حتى ـ على التوالى ، جنبا الى جنب معاونة الأشياء البسيطة ، الواقعية ، المستعصية على الادراك والمهدئة (تلك المولدات الصغيرة للطاقة الانسانية النافعة ، تلك الأساطير اليومية البسيطة) ، التى تساهم وتشارك ـ لا اراديا ـ في الأدوار الرئيسية في دراما لا تخصها ٠ لقد استدعيت لتؤدى دور « لا شيء يحدث » بالتحديد عندما يحدث كل شيء ، ويصاب المشاهدون بالذعر من كل ما يجرى ، ليرحلوا دون أن يروها ، دون معرفتها ، ليتركوا الشاعر متهما في عزلة مطبقة ، فيما يغرقون ـ هم أنفسهم ـ في عزلة أكثر سوءا ، عزلة بلا ومضة حل ممكن لها ٠

هكذا ، فالأشياء البريئة قد استدعيت كما لو كانت غير منحازة ، ومتسامحة ، أو كوسائط نزيهة (برغم أن حضورها يظل مؤثرا الى حد

بعيد ، على نحو غامض فى النهاية ، ورسالتها الخفية هى ــ على أية حال ــ رسالة قبول وتسامح) • وفى مواجهة الأشياء ، لا انحيازات لنا ، ولا اهتمام ذاتيا أو معارضات ، ولا نكن لها عداء أو احتراما (كما نفعل تجاه المبادىء والمشاعر) • فى ذلك ، يكمن سبب قدرتنا على احترامها ، والاعتراف بها ، والثقة فيها •

ذلك ما يتحقق ــ اذن ــ حينما يهبط الفن من التجارب العظيمة الى مستوى المكر والحيلة (كعنصر ضرورى فى تقنيته) ، والتى لا تزيد ــ فى النهاية ــ عن « ابتسامة بعيدة » ، عن طيبة ما ، وفهم ، واحتياج انسانى وعنيد الى المشاركة ومحاولتها ، والصداقة المشتركة ، والاخوة •

وبودى أن أنتهز هذه الفرصة لألاحظ (رغم يقينى من أنكم قد لاحظتم) كم أننى كثيرا ما أستخدم ــ فى ال « شهادات » (وفى هذه المقالة أيضا) ــ بل وأغالى فى استخدام كلمة « ربما » وحرف العطف « أو » • وأنا متأكد ــ أيضا ــ من أنكم تعرفون الآن ــ سواء ما اذا أحببتم ذلك أم لا ــ أن ذلك لا يحدث بالمصادفة : انه أمر مدروس على نحو مطلق ، والزامى غالبا • لا أعنى ــ هنا ــ افتراض أن الضرورة الشخصية تتجاوب، بأية حال ، مع التبرير الموضوعى الجمالى (اذا ما كان مثل ذلك التبرير موجودا) • ولا أنا طامع فى تبريرات : لا حاجة اليها ، وهى ليست بذات أهمية • فالموضوعية الشخصية تكفى ، وهى الموضوعية الوحيدة ــ فيما أعتقد • اننى أفسر ــ فحسب ــ بقدر ما أستطيع ، بعض ايماءات الشعر التى لا تتصل ــ كلية ــ بالقصيدة (وبالتالى،فهى ليست ــ كلها ــ تافهة) ، مدركا ــ مع ذلك ــ أنها تظل عصية على التفسير (هل ذلك الذى يظل ــ فى النهاية ــ عصيا على التفسير ، حتى بالنسبة للمبدع ذاته ، هو ــ تحديدا ــ ما ينتمى الى الشعر ، ويحفز القارىء تجاه الابداع ، أى تجاه اكتشافه الخاص ، أو ــ فى الحد الأدنى ــ بحثه الخاص ؟) •

ان الاستخدام المتكرر ل « ربما » ــ اذن ــ فى كتاباتى ، وخاصة خلال هذه الأعوام الأخيرة ، ليس حيلة أو مجرد صنعة • انه أيضا تشككى الخاص ، تساؤلى ، واحتياجى الى اجابة • هو نوع من أداة حفر متاحة

من أجل بحثنا المشترك (بقدر ما هو ممكن) ، حتى عندما تنبع هذه ال « ربما » من يقين أو ترفع شخصي ، أو من ثم يتخفى في شكل تجاهل ، أو سذاجة ، أو تواضع ، أو كرم .

وعلى نفس النحو ، فالاستخدام المتكرر لحرف العطف « أو » ليس — ببساطة — تأكيدا على تعددية أبعاد الحياة والفن ، ولا مجرد نصيحة بالاختيار بين بدائل مختلفة . فالأكثر أهمية أنها كشف لنظرات قابلة للادراك ، ومقبولة على نحو عام، وأنها تحذف وعيا أساسيا (أسيء تشكيله على نحو متسق ، أو تم تجاهله كلية) . وهذا الحذف الصامت — على وجه التحديد، فيما أعتقد — هو الذى يجعل مثل هذا الوعى قابلا للادراك، حاضرا ، ومرئيا حتى بعده الأول والأخير اللامرئى ، اللامحدد ، اللانهائى . وهو ما ينطبق — بلا فشل — على أولئك الذين أهلوا أنفسهم إلى حد ما ، والأكثر على أولئك الذين تأهلوا تماما .

مع الجميع قلت اننى أخشى أن أكون قد جعلت « شهادات » الغامضة بالفعل ، كما يقولون ، أكثر غموضا — هى غامضة ، بالتأكيد ، نتيجة للوضوح الزائد ، والتحديد ، والحميمية .

والطعم الأخير الذى يتبقى فى أفواهنا من ال « شهادات » ربما هو العرفان الصامت تجاه الفن والفكر والفعل والحياة الانسانية ، رغم أنف كل المحن ، ورغم الموت — وربما بسببهم حقا . وربما كان ذلك — أيضا — عكسا أو تحويلا جديدا للأشياء ، يجلب العزاء (أود القول : تغييرا أو تحريفا) ، على نحو ما يحدث دائما فى كل كشف ، أى فى كل ابداع ، حيث كل لحظاته المجيدة العارضة بالاحساس بالعنفوان، وبهجته الساحرة اللحظية (من قبيل الاحساس المباشر بالأبدية والمسئولية المشتركة عن الكون) لا تخفى — بشكل كامل — شعورا ما باللاجدوى والجهد الضائع ، مهما كانت رغبته (أو عدم رغبته) كبيرة فى تحييده أو — على الأقل — عكسه ، لتحويل خصائصه السلبية الى خصائص ايجابية ، ولتحويل النفى المطلق الى تأكيد غير نهائى ، كلى . وهو — فيما أعتقد — ما تشهد عليه « شهادات » فيما يتخطى مزاج أو سيماء السخرية والسخرية

الذاتية . وربما سيكون ذلك ـ أخيرا ـ شهادة كل انسان ، فى كل زمان ومكان ، يحس بالشعر ويعمل فى مجاله » .

(٦)

أيتها الرحلة بـلا متاع
نـــار بـــلا فحـــم
جـــوع بـــلا خبز
عطش ونشوة بـــلا نبيذ .
فات الآن أوان الرجوع .

وفى ليلة ٢١ أبريل ١٩٦٧ ، ينقض الكولونيلات على الحكم . ومع آلاف المعتقلين من السياسيين والنقـابيين والمثقفين ، يعتقل ريتسوس . ثلاثة أيام محتجزا لدى البوليس ، ثم الى ستاد « هيبودروم » ، أحد مراكز تجميع المعتقلين قبل نقلهم الى الجزر التى تلعب دورا مزدوجا فى التاريخ القمعى فى اليونان : دور المعتقل السياسى ودور المنفى .

أما ريتسوس ، فالى « ياروس : جزيرة الشيطان » . جزيرة جرداء صخرية ، وبضعـة أبنية متنـــاثرة ، مهجورة ، لن يأوى اليها المعتقلون المنفيون، بل الى خيام تنتظر أكثر من ستة آلاف وخمسمائة معتقل منفى .

ومن « ياروس » الى « ليروس » فى سبتمبر من نفس العام ، حيث وقع عنه تحريم الكتابـة . مفكرة يدون فيها مسوداتـه الشعريـة التى ستؤسس قصائده القـادمة . مسودات مكثفة وخاطفـة لايماءات الرعب والهذيان ، والكلمات المتقاطعة ، أفعال بلا وعى ، ووعى كابوسى ، لكنه ما يزال قادرا على تحويل المأساوى الى كاريكاتيرى ، ليمكن احتماله .

ومع اعتقاله ، نظم « لوى أراجون » حملة واسعة للمطالبة بالافراج عنه ، ضمت « موروا » و « ناتالى ســاروت » و « موريـاك » و « جينو » و« سوبو » و « سولير » ، الى ايطاليـا وألمانيـا وسكنديناڤيـا والبــلاد الأنجلوسكسونية .

ويعاوده التدهور الصحي ، فينتاب الكولونيلات الرعب : « لسنا بحاجة الى لوركا يوناني » • وفي أحد أيام ديسمبر ١٩٦٨ ، يسمح له بالعودة الى منزله في « ساموس » ، دون أن يكون من حقه لقاء أحد ، أو الاتصال بأثينا أو الخارج ، لا خطابات ، ولا مغادرة • نوع آخر من الاعتقال يحتفظ بجوهره الأساسي ، في شكل نقيض • ولن يتمكن من الذهاب الى أثينا قبل مرور عام من الافراج الشكلي عنه •

كانت الرقابة سيدة الثقافة في تلك السنوات • وقائمة الممنوعات لا تغفل شيئا • وقرر الجميع الصمت الثقافي وعدم النشر ، ومن بينهم « سيفيريس » و « ايليتيس » • وفي أوائل ١٩٧٠، رفعت الرقابة السابقة على النشر الى رقابة لاحقة عليه ، ليتحمل الكتاب تبعات النشر بعد صدور المطبوع • واتفق الكتاب على كسر الصمت بالمواجهة الجماعية : انه كتاب « ثمانية عشر نصا » للأدباء والمثقفين الذين رفضوا أن يخضعوا كتاباتهم للرقابة ، في صيف ١٩٧٠، عن دار نشر « كيدروس »• وفي شتاء ١٩٧١، صدر « **نصوص جديدة** » عن نفس الدار اليسارية ، صاحبة حقوق نشر أعمال ريتسوس في اليونان•وقد اعتبر استكمالا ل « ثمانية عشر نصا » : ٢٦٣ صفحة من المقالات والقصائد والأعمال الدرامية القصيرة التي كتبها معتقلون سياسيون وضحايا لنظام الكولونيلات • وفي موقع افتتاحية « نصوص جديدة » ، نشر ريتسوس ـ لأول مرة ـ « **دمار ميلوس** » •

عمل شعري حواري عن تدمير « ميلوس » على أيدي الأثينيين عام ٤١٦ ق•م ، فيما يمثل مجازا رمزيا عن نتائج الديكتاتورية العسكرية في اليونان • ففي زمن العنف والارهاب الذي أشاعه النظام ، كان اليونانيون كأنهم أسرى في وطنهم ، كنسوة ميلوس • ورغم أن المساحة الغالبة من العمل تستعيد الذكريات الأليمة للضحايا ، الا أنه ليس عملا عن اليأس ، اذ تدرك نساء ميلوس ـ في نهاية العمل ـ أن « وطنهن » انما يكمن داخلهن ، وأن « حريتهن » انما تتحقق داخلهن • وبالرغم من السبعين والثمانين عاما ، فان النسوة يشعرن بالحمل ، يشعرن باستعادة الشباب ، وأنهن على استعداد للانجاب مرة أخرى• ولسوف تعود هذه الفكرة ـ فكرة

العجائز القابلات للحمل والولادة ـ فى « الجسد والدم » التى كتبت عن انتفاضة طلاب جامعة العلوم التطبيقية فى أثينا فى نوفمبر ١٩٧٣ ، ضد النظام العسكرى ٠

وربما كان مشهد السفن التى تنقل المعتقلين السياسيين من أثينـا الى الجزر ـ عبر بحر ايجه ، هو ما أيقظ فى ذهن الشاعر نهب ميلوس على أيدى الأثينيين فى حرب البلوبونيز ٠ فوفقـا لثيوسيديديس ، أرسـل الأثينيون وفدا الى جزيرة ميلوس المحايدة سياسيا عام ٤١٦ ق٠م، ودخلوا فى حوار مع سكانها ، فى محاولـة لاقنـاعهم بأن يصبحوا عضـوا فى الامبراطورية الأثينية يدفعون الجزية، فيكون من حقهم ـ بذلك ـ الاحتفاظ بحريتهم فى التمتع بثرواتهم ٠ وأوضـح الأثينيون ـ لأهل الجزيرة ـ حماقتهم فى الظن أن باستطاعتهم مقاومة أثينا القوية ، وأن الآلهة سوف تحميهم ، طـالما أنهم يدافعون عن الصواب ضد الخطأ ٠ وقرر الأثينيون ـ فى غطرسة ـ أن السلوك الحصيف يكمن فى التخلى عن الشعور الزائف بـ « الشرف الذى يجلب على الناس الدمار » ، وطالبوهم باللجوء الى الجانب الأقوى ٠ ورد أهل ميلوس بـ « لا » متحدية : « لسنا مستعدين للتخـلى لحظة واحدة عن الحرية التى تمتعت بها مدينتنـا منذ تأسيسها وطوال ٧٠٠ سنة ٠٠ ان ثقتنا فى القدر الذى سترسله لنا الآلهة ، والذى حفظنا حتى الآن » ٠ ويقيم ريتسوس « حوارا ميلوسيا » بين ثلاث نسوة عجائز، قتل أزواجهن وأبناؤهن فى الحملة الأثينية ، وهن ـ الآن ـ مسبيات فى أرض أجنبية ٠

وبرغم استلهام أحداث تاريخية، فان « **دمار ميلوس** » ـ شأن الكثير من قصائـد ريتسوس ـ لا تطرح السياسى بصورة مباشرة ٠ فبـدلا من الحديث ـ بصورة محددة ـ عن الاعتقـال والاقتـلاع الجزافيين اللذين عانـاهما ريتسوس ـ مع غيره ـ على أيدى النظام ، فانـه يطرح فكرتين شموليتين لا تنفصلان : الوجود والاندماج ٠ فاذ تستيقظ نسوة القصيدة فى بطء ، يتساءلن عما اذا كانت جزيرتهن موجودة ، وعما اذا كن ـ هن أنفسهن ـ موجودات ، أم أنهن قد متن ، ويشهدن الآن مرحلة البعث ؟ لكن هل يتذكر الموتى ويتكلمون ، أم كن نائمات لسنوات ، ويتذكرن الآن

الحلم الفارغ للحياة ؟ وفى مجرى الحوار ، ينتهى الى أنهن الآن موجودات ، وأن ميلوس لم تكن حلما بل مكانا واقعيا • واذ ينظرن الى البحر ، يلمحن جزرا صغيرة تنبثق وهى تومض مثل الجواهر ، وتذوب الى رماد • ويعلقن على المشهد : « لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ، / وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ، / وأننا لم نكن وحدنا » •

انها الحقيقة البسيطة ـ أنهن لم يكن وحدهن ـ هى التى تدفع النسوة الى الايمان بوجودهن • وخلال مناقشة حياتهن ـ فيما قبل الغزو ـ يتذكرن القحط القاسى ، والعمل الذى يقصم الظهر فى جمع الزيتون ، وقطف الكروم ، وصنع النبيذ • لكن هذه الحياة ـ بعملها الشاق ـ كان لها مباهجها • تتذكر النسوة الاحساس العميق بالرضاء والأمان الذى كان يلفهن بعد تسديد الحساب الأسبوعى للبقال ، وهن مازلن يجدن زيتا يكفى لأسبوع آخر فى الجرة • يتذكرن الفخر السرى بالانتهاء من الغسيل، اذ تضوع رائحة الثياب المعطرة بالشمس والصابون والجهد • وما يستقر فى الذاكرة ـ بشكل خاص ـ انما هى أعمال المنزل الروتينية ، والاحساس بالنظام والانتماء الذى يتحقق من القيام بها : فى تلك الأوقات يتصالح كل شىء بالمنزل ويصبح واحدا : « المكنسة، والقمر، والكلب ، والعندليب ـ الكل واحد » • يتمتعن باحساس واحد بالانتماء الى بعضهن البعض، يتمشين الى ما وراء الحدائق، يدركن الروائح المتمايزة لكل عشبة وزهرة • هذا الاندماج فى العالم المحيط بهن يقدم شيئا ما أكثر عمقا من بهجة عابرة : انه يجعلهن واثقات من وجودهن ذاته • ادراك العادى والمألوف هو ما يؤكد لهن أنهن وجدن ، ومازلن موجودات • فالوجود والاندماج شىء واحد ، وهما نفس الشىء •

لكن الغازى يقتلع ضحيته،لينتزع الانسان المندمج من العالم المألوف، ليصبح الجوهر العميق لوجود الضحية مهددا بالزوال • فالآن ، وهن فى أرض أجنبية، تعجز نسوة ميلوس عن تمييز الروائح القادمة من الحدائق ، حتى البحر بلا رائحة • وأيديهن لا تتعرف على يد المكنسة ، أو مقبض الباب : كل شىء غريب ، أجنبى • لذلك ، فلسن بحاجة الى مرآة ، ذلك أنهن لن يبصرن ولن يتعرفن على أنفسهن • وحده الوجه القبيح للموت

سوف يعاود التحديق ・في ميلوس ، لم يستخدمن المرايا أيضـا ، لكنها كانت ـ هنـاك ـ مسألة بسيطة من مسائل الخيـلاء ・ كن يأكلن نفس الحبوب التي يطعمن بها دواجنهن ، فلم يكن لديهن أى دافع لتمرير مشط في شـعرهن : « لم نهتم ـ هـل ينظر الحمام والدجاج فى المرآة ؟ » ・ وعبودية الحياة ـ هنا ـ مشابهة ، بصورة فادحة ، لعبوديـة الحياة فى ميلوس ، عمل شـاق فى الحالتـين ・ لكن فى ميلوس ، كان البيت ، والاحساس بالانتماء الذى أنقذهن من السقوط فى بئر النسيان ・

ومع تقدم القصيدة ، تأخذ نسوة ميلوس فى التحول ・ فبعد العويل على المنـاخ القـاسى وسنوات القحط فى الجزيرة ، يهدأن تدريجيـا ، ويستدعين عذوبة الحياة التى عرفنها ・ وعند نهاية القصيدة ، يستعدن خصوبتهن من جديد ، ويلقين تحية الصباح على المارة ・ بذلك ، ينتهى العمل بشارة أمل ورؤية لمستقبل أفضل ・

« **دمـار ميلوس** » : أول صـوت لريتسوس بعد ظلمـات « جزيرة الشيطان » ، فى مواجهة ظلمات الكولونيلات ・ لكنها لم تكن أول كتابة شـعرية وسط الاعتقـال ・ فعقب تلقيه لرسالـة من « ثيودراكيس » ـ يطلب منه فيها احدى قصائده غير المنشورة ليقوم بتلحينها ـ قام بكتابة ست عشرة قصيدة فى يوم واحد (١٦ سبتمبر ١٩٦٨) فى معتقله بجزيرة « ليروس » ستكون صلب ديوانه « ثمانى عشرة أغنية قصيرة عن الوطن المرير » ・ لكنه لن يسمح بنشره وترجمته الا فيما بعد (١٩٧٣) ・ وما ان قام « ثيودراكيس » بتلحينها ، حتى أصبحت عملا شعبيا جماهيريـا فى اليونان ، ثم عبر العالم الخارجى ・

لا هتاف ولا عويل ・ لا شـعارات ولا خطب رنـانة ・ انها « وردة بخور مريم » الصغيرة التى تشق الصخر ، والفجر الرهيف للربيع ، وتل منسوج من أجراس الماشية وثغائها ، وشراع أبيض ، والفتاة تنسج أشياء المهر ، والشاب يجدل السلال ・

تتألف كل أغنية من أربعة أبيات طويلة ، حسب التقليد الشعرى للأغانى الدارجة ذات الخمسة عشر مقطعا وزنيا فى السطر ・ وهناك الكثير

من الملامح المشتركة مع تلك الأغانى، لا فى الشكل فحسب، بل ـ أيضا ـ فى الروح • وأقرب مثيل غنائى لها هى ال « كلفتيكا Kleftica ، تلك الأغانى الشعبية التى تحكى بطولة المقاتلين من أجل الحرية فى حرب الاستقلال الوطنية اليونانية • تشترك أيضـا فى الروح ـ بالرغـم من الاختلاف فى الشكل ـ مع « روميوسينى » الملحمية • وليس من قبيـل المصادفة أن الأغنية الأخيرة من الثمانى عشر تتضمن « روميوسينى » فى عنوانها « من أجل روميوسينى ، لا تبكوا » •

(٧)

رحلت السـفن وتركتنـا
بلا خبز أو نبيذ أو فحـم
فى منتصـف البحـر •

وفى ربيع ١٩٧١ ، يكتب « حجرة البواب » • وللعنوان دلالته على موقع ومنظور الرؤية والملاحظة ، بما يسمح باستقلال ما عن المشهد ذاته • فكل قصيدة ـ من قصائد الديوان القصيرة ـ مشهد مكتمل • وكل مشهد استعارة أو رمز أو مجاز • لا مجانية فى الألفاظ ، ولا تسجيلية فى رصد التفاصيل اليومية • كثافة مثقلة بالدلالات • وبين كل سطر وآخر فضاء تتقاطع فيه التأويلات • يختلط التفصيلى اليومى بالفانتازى بالسيريالى ، بذلك العصى على التفسير• وغموض ضبابى شفيف يتخلل سماء القصيدة، لعله غموض السماء اليونانية فى ظل الديكتاتورية •

فما الذى رآه ذلك « البواب » الذى يحرس النوم واليقظة ، الحلم والكابوس ، والايماءة والاشارة ؟ وكيف رأى ما رأى ؟

بلد يشبه البقالة الفارغة ، التى مات صاحبها فى مؤخرة الدكان • والهبوط يتم فى الظلام ، فى مكان بلا جدران ، بلا سقف ، بلا سلالم ، بلا أثاث ، كأنه انحدار مدرك فى هاوية من هيولى ، حيث « هناك تكمن النقطة الوحيدة الثـابتة » ، أو هروب مما هو أفدح من الهاويـة • وفى الخارج : لا أحد ، « لا شىء آخر ، لا شىء آخر » •

ذرائع ، والتواءات ، وأقنعة • والموت خلاص من نوع ما ، حل ما في مواجهة الغثيان والقرف • ولا اجابة للسؤال الجارح : « كيف كبرنا بين أيدي غرباء ؟ » • نوم ينقسم نصفين ، وحياة توزع أوقاتها ــ كالشظايا ــ بين الأماكن الغريبة • والوقت يتهشم الى فتات بفعل الصراخ والرنين ، وبرقة خضراء ، لزجة تأتي الآن « لتـأكل المنزل ، والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف » • والوهم بالقفز من شرفة الى أخرى دون تحريك سوى يد واحدة • فهل يكون متأخرا اكتشاف الفرق بين الورق والحديد ؟ وهل ينقسم العالم ــ بالفعل ــ الى اثنين لن يتوحدا ؟

والتعامل ــ برفق ــ مع الدب الأسود سينتهي بالسلاسل التي تتدلى من الجدران ، والسلاسل حول الرقبة • فهل يشبه المنديل الأبيض الذي تنساه العجوز ورقة بيضاء نسيها الشاعر بلا قصيدة ؟ وهل يساوي العثور على « شيء ما بلا أهمية » اللامبالاة باعلان الحرب ؟ هروب الى أعمق أعماق الذات ، وبحث ــ في النفايات المهجورة ــ لا يمنح سوى قشرة برتقال جافة وكسرة مرآة • انها الأشياء التافهة مدار البحث ، كأنها السبيل الى مخرج ما أو مهرب ، « أشياء كنا نعرفها تماما، فأصبحت مجهولة وبعيدة » ، لن يفضي العثور عليها الى شيء ، انه البحث في ذاته • أما النباح ، فلا يحمي أحدا « من القمر ، والزمن ، واللصوص » •

انهم يترددون برهة ، ثم ينحنون لالتقاط ما يرمى اليهم من أعلى • أما الوحيد الذي لا يمد يده ، فيخفيها في قميصه ، ليداري أنها مبتورة • والمشروع المبرمج المعقد (هل هو النظام الديكتاتوري) محكوم عليه بالفشل • ويظل ممكنا ــ في « البرودة المظلمة للأعماق » ــ تحديد موقف وموقع « داخل العالم المعلق » •

« كل شيء قد استنفد » • لكن ــ وسط البقايا القديمة ــ يمكن العثور على « الجمجمة المقدسة لأحد حصاني أخيل » و«صولجان البطريرك» • بهما معا ، كمجازين ، تتحقق المعجزة : أن يسمع الناس المحتشدون الأخرس الواقف على منصة الخطابة •

ومن بعد ، سيضيء ريتسوس بعض أبعاد هذه التجربة :

« بمرور الزمن ، أتكشف ــ بوضوح أكبر فأكبر ــ أن عملي ، في تطوره ووظيفته ، يميل الى التحول (بلا قصدية، بلا تخطيط) الى سخرية وحط من قدر كل كابوس واستغلاله (سواء كان ليليا أم نهاريا) ومن الموت على نحو أعم • واذا ما كان ثمة عامل تحريري هنا ، فهو الراحة من كثافة الألم والخوف (الجسدي ، والأخلاقي ، والاجتماعي) ، الناجمة عن النزعة التهكمية المحكومة تجاه هلوساتنا « التاريخية » ضمن وحدة الشعور بمشاركة أو تورط حقيقي أو خيالي ــ ضمن وحدة المصير المشترك •

ويبدو أن الشخص المغلوب يستمد القوة ــ مهما كانت موضع سؤال ــ من غالب ما ، خلال هذا الميدان الغامض غير المضبوط ، قوة « التثبيت البصري » للكابوس ، أو تحديده في مفهوم ، أو حتى تحويله ــ شيء ما يشبه خلاصا أو تحريرا • بذلك ، يتحول « المأساوي » الحتمي الى كاريكاتير (أو الى شيء ما مفارق ــ أي بعيد موضوعيا) ــ أعمق مأساوية ربما، الا أنه ينطوي على حل المأساوي في تكشيرة باسمة، أخيرة، ارادية ، تتحول أحيانا (خلال الشعر) الى ابتسامة حقيقية ، الى مزاح ،

الى قرار أو حتى الى قوة لبداية جديدة ، ولفعل جديد• وليس ذلك فحسب نتيجة لتأثير الفعل الجمالي على القارىء أو المستمع ، بل ومن خلال واقع الفعل ذاته •

ويتحقق ذلك ــ بوضوح في قصائد عديدة مبكرة من « شهادات » ، و « تدريبات » ، و « الحائط في المرآة » ، و « ايماءات » ، و « الممر والسلالم » ، والأكثر في « حجرة البواب » •

ففيها ، تذوب ــ بسلاسة ــ « الفردية » التي لا تطاق لما هو شخصي في الكوني الخلاصي الذي يشمل كل شخص وكل شيء • فالافتقار الى التواصل والفهم ينتهي الى حنو وغفران ، ان لم يكن الى قبول وتوافق

بما يسمح بمزحة أو حتى سخرية الأصدقاء ـ كشىء ما يشبه أخوة سامية تمتد فيما وراء الاختلافات والاتهامات المتبادلة (انها كأننا نتكلم عن أخلاقيات للجماليات) • فأمام أناس حميمين لنا ، فقط (أم ربما أيضا أمام غرباء عنا تماما ؟) يمكننا أن نفصل أنفسنا عن أى ادعاء دفاعى أو تهجمى بالجدية أو الأهمية ، وأن « نمزح » معهم • أمامهم ـ وحدهم ـ يمكننا أن نقنع أنفسنا (كممثلين فى نفس المأساة أو الملهاة)، أو ـ حتى ـ أن نتعرى ، فنخلع ثيابنا واحدا واحدا ، والشعر المستعار ، واللحى ، وقبعات الريش ، وحذاء التراجيديات ، والأقنعة ، وسيوف المقنعين الخشبية ـ ممثلين فى دراما حقيقية لم تكتب ، ممثلين يتظاهرون بازالة ماكياجهم وخلع ثيابهم بعد العرض ، لينتهوا بنا الى الفكرة المعزية بأن « الدراما الحياتية » السابقة كانت ـ ببساطة ـ « دراما مسرحية » انتهت ، ولا يمكن تكرارها على الخشبة ، بل لا يمكننا اعادتها على نحو أفضل •

ف « الواقعى » (و « واقع » الخيال والحلم) قد تحول الى «التخيلى»، والاستبدادى الى محاكاة تهكمية ، « مسلية » • ليس دائما بالطبع • ومع ذلك ، فلدى المرء انطباع بأن اعادة التمثيل البسيطة لصور الكابوس المحرقة والمحرقة ، وصور الوجود الانسانى المستعصى على التفسير (وتحولها ومسخها وتحريفها) يمنح (لا الفنان وحده) اشباعا فاتنا معينا ، قد يعنى القدرة وامكانية التحكم والتحكم الذاتى ، بل والشعور الخالص بما لا يستنفد ، بالقدرة على الاحتمال ، بل وبالنجاح » •



ويعود التدفق الشعرى الى مجراه المنشور • فللقصائد القصيرة دواوين « أحجار وتكرارات وقضبان » و « ايماءات » و « الممر والسلالم »، فقصائده التراجيدية الطويلة ، ذات الطابع الأسطورى : « هيلين » و « اسمين » و « عودة ايفيجينى » و « كريسوثيميس » و « أجاممنون »•

وفى يوليو ١٩٧٤ ، تنقشع الظلمات ، مع سقوط النظام العسكرى ، بعد أن تكون قد انغرست فى الذاكرة أبدا • وسيكون له أن

يعود ـ عام ١٩٧٨ ـ اليها ، ليكتب قصيدته « الجسد والدم » ، مهداة الى الانتفاضة الطلابية ضد الديكتاتورية العسكرية. ففى ١٧ توفمبر ١٩٧٣، احتل الطلبة حرم جامعة العلوم التطبيقية بوسط أثينا ، ودعوا أهل العاصمة ـ من خلال محطة اذاعة أنشأوها بأنفسهم ـ الى الثورة ضد الطغيان ، والقتال من أجل الحرية . وأصبح ذلك الفعل الأول ـ واسع النطاق ـ فى التحدى العلنى للنظام نقطة البداية فى المقاومة . وأرسل الكولونيلات دباباتهم الى الطلبة العزل . وبعد أن كانت الديكتاتورية تنكر كل الممارسات الوحشية التى ارتكبتها فى السر ، فان الطريقة المروعة التى سفك بها دم الأولاد والبنات ـ فى تلك الليلة ـ قد عرت الوجه الحقيقى للنظام .

ومنذ طبعتها الأولى عام ١٩٧٨ ، أعيد نشر « الجسد والدم » فى أكثر من خمس عشرة طبعة . انه نفس العام الذى شهد صدور سبعة دواوين أخرى : « عسكرى المرور » و « البوابة » و « امرأة مونيمفاسيا » و « الرائعة الرهيبة » و « فيدرا » و « اذن ؟ » و « مطرقة الباب ».

وحتى عام ١٩٨٠ ، سيكون قد صدر له ثمانون عملا شعريا ، وسيكون قد ترجم الى اليونانية أعمالا لألكسندر بلوك وأتيلا جوزيف وماياكوفسكى وناظم حكمت واهرنبورج ونيقولا جيين وغيرهم .

وحينما يطرق الموت بابه فى ١١ نوفمبر ١٩٩٠ ـ عن ٨١ عاما ـ سيجده مثقلا بالزمن والنياشين : « كم من الآباد أحمل فوق أكتافى وفى جسدى وروحى . لقد عبرت ميتات كثيرة ، وهاأنذا أموت أخيرا وأنا أحمل بعض الأبدية » .

القاهرة

الثلاثاء ١٦ يوليو ١٩٩٦

أغنيـــة أختي

الى أختى لولا

في المرايا المشوهـة للدموع
تهشم وجـه الأبديـة السـاكن
لكننا ما نزال نسمع بداخلنـا
همهمة السـكينة .

أخـــتى ،

على أن أقف منتصبا في مواجهة الشمس
وأرفع أعمدة شعرى نحو الفضاء الأزرق
فلعلك تتمشين في الأمسيات
مبتسمة بجوار « ايوريديس »
تحت سماوات مترعة بالنجوم
في أصـــياف لا تنتهي .
لكنني ، يا أختى ، لا أستطيع فعل المزيد .
فاللانهاية حطمت قوسها الساطع على حاجبى
وأنا أدور حول نفسى في اللحظة الأبدية
مبعثرا وحســيا .
صوتي انهار .
وفكرى قطف زهوره الأخيرة .

بالنشيج وحده أنطق أغنيتك •
فلا الألم ولا النشوة يجرؤان بشفاه دامية
على التفوه باسمك •

على نضارة السماء تركع الرحمة
للتوسـل على قدميـك •
وحمام أحلام الطفولة الأبيض
يحلق خفيضا فى سهول ابتسامتك •
وتأملات الحكماء ما بلغت أبدا
حواف عظمتـك الجليـلة •
والشعراء الذين ذابوا فى الضوء
يعترفون ــ فى ضياء وجهك ــ بخواء القصائد •
وحده الصمت العظيم ، بزنبقة فى يده ،
يلمس فى رفق ظهرك المحنى
الذى رفع الى سدة الرب صرخات الرجال
فيما الليالى الزرقاء القاتمة ، بنجومها المنتحبة ،
كفت ــ من الندم ــ عن الحركة •

أخـــتى ،
هـا أنـا أنشر جنـاحى
أنحنى وأقبل أطراف قدميك الحافيتين •
لعـل عقـلى أن يعرف السـكينة
لعلى أغنى الترنيمة المناسبة لك ، يا أختى ،
يا أخت كل العالـم •

يداك البيضاوان اللتان غطتا جراحنا بالمر
تلتويان الآن مربوطتين خلف ظهرك
فى تقاطع مع جسدك كأنهما ، يا أختى ، يدا لص •

وجسدك النحيل مجدول فى العباءة الرمادية للسعار ،
وعيناك قلعتان من زجاج خاويتان
حيث تهيم — ضائعة — أشباح الماضى ٠
أختى ، كيف تتخلى عنى فى منتصف الليـل
لتبحثى دون مصبـاح
وتعثرى على آثار خطواتك الضائعة ؟
فلتغمرينى أيضا فى نفس الظلام
لعلى لا أسمع بوق صرخاتك
التى لا تحصى المقابر التى لا تحصى ٠
فجرى فى اللانهايـة عينى
لعلى لا أرى يديك المربوطتين ٠
فأينما أستدير لا أرى سواك ٠
أستجدى رحمة الجمال أن تهبنى قطرة ندى ٠
لكن ما من مجيب لتوسلات المقهورين ٠
غبار أصفر من ورود ميتـة
تساقط ثلجيا على الحدائـق ٠
والشاطىء الصامت انسحب فى الغسق
والربيع نام ووجهه المضىء مخفى فى يديه ٠
أين الصمت الآن بنومه الصافى
بنشوته الثلجية ووروده الذاوية ؟

أخـتى ،

لم أعـد شـاعرا
لا أتنازل بأن أصبح شـاعرا ٠
أنا نملة شوهاء ضلت طريقها فى ليل لا ينتهى ٠
أنفخ فى جمرات أبريل الخامد
فلا أجد شرارة تشعل النـار القديمة ٠
لقد وزنت كنوز القرون فى راحة يدك النحيلة ٠

وجررت الجبال الى حيث استرخي الشعراء •
وأنــا لم أعــد شــاعرا •
أعرف أن الشــعراء
لا يلوثون الأبراج العاجية للمدن بدموعهم •
انهم يمعنون النظر ،
ونظرتهم المجدقة موجهة بلاشبيهة ،
حتى ليمكن أن يحصوا ومضات الضوء ونبضات الكون •
لكنني ، يــا أختي ،
أمعن النظر وأنا أعد دقات قلبك وأنفاسك •
أقف ، كبرج معتم ، وسط القذائف المدمرة الوامضة
وألمس ــ بلا تردد ــ حــد السـيف •
أقواس الضوء خبت تحت رموشك •
وما من شيء آخر يحيا خارج الدائرة الجنائزية
التي ترسمها عينــاك على العالــم •
لا أريد طبول الانتصار
لاعلان مجدى فى غابــات الربيــع •
فابتســامتك تكفــينى •
ونبع عينيك يستطيع أن يطفىء عطشى
ويدفع حياتى الى الازهـــار •

كانت لدى سترة جميلة تدفىء ساعاتى •
كانت لدى صحبة من قصائد تكلمنى
فى ليـــالى الحملات الظـافرة •
وأنا أجلس صامتا ووحيدا فى هذه الصباحات الضائعة ،
مهيبا أنصب خيمتى
على حلم بالترحيب اللازوردى
الذى يعده لى أصدقائى المجهولون
وسوف أحـدق فى سهول الفجـر
من السطح الطحلبى لبرج الجرس المغطى باللقالق البيضاء •

أطفال شقر في عيونهم ذهول رائــع
سوف يفتحون العهود المخطوطة لأغنياتي .
(كم من ابتسامات استدعيتها في وحدتي المزيرة
من أجــل بهجة الآخرين !)
آه ، للحاشية التي انتظرت دخولي الى القدس .
كمسيح صامت أسمع أبواق السماوات
التي تنبأت للشوارع المغطاة بالسعف
والصبر الذي لم يخذلني في عذابي الحارق .
لكنني ، يا أختي ، لم أعــد أعرف
كيف أنتظر وأتوسل
أنصتي ، فهذا المســاء
الذي ينسج غلالة وردية فوق الحدائق
يعيد الى روحي القديمة .
تغريد الطيور ينتهك حدادي اللائــق .
أختي ، فلتطمئني ،
فشلالات الصداح لا تسعد حزني .
وأنا مقيم على الوفــاء في ذراعي حبك
لم أعد شاعرا ، وأنا موجـــوع .
فلتغفري لي ، يــا أختي ،
حزني هذا الذي يحيا خارج حزنك .

أخـــتي ،

دائما ما كانت غيمة تظلل رموشك .
وأنت تنحنين على الشرفـــة
ـ حتى وأنت طفـــلة ـ
كنت تحدقــين في البحر
فتنشرين الحلم بعزلة لا نهائيـــة .
وكنت تطعمين قلبك بأوراق الخريف .

لغز ظـل الأم انعكس فى عينيـك ٠
والضوء الشاحب لوجهك
ظـل باقيـا على الأرض فى بيتنـا ٠
لم نرك أبـدا تبـكين ٠
على صفحتى وجهك وخـدهما
ألمحت الشرايين الرهيفـة
ـ خطوط من ضوء لازوردى ـ
الى حمى شفتيك الموصدتين ٠
(كم من مرة ـ وأنت نائمـة ـ
انحنيت عليهما لأقرأ سرك) ٠
مفعمة بالحب والحنـو
كنت تضمدين جراحنـا فى صمت ٠
صمتك قال كل شىء ٠
وفى أمسيات الشـتاء
كنت تتمشين وحيدة فى الغابـات
لترعى العصافير العاريـة ،
لتدفئى الحشرات المثلجـة ٠
قطرة قطرة ، لململمت داخلك
دموع الفقراء والمقهورين ٠
وعندما انهار بيتنا ظللت منتصبة ساكنة
ـ كظـل للسيدة العـذراء ـ
لترينى النجوم عبر ثقوب السقف ٠
الآن ، انكسر صمتك
وفى الرعشة الصغيرة التى أخفيتها
سمعت صراخ المحيط ٠
أختى ، ما من حجر ظـل لى لأنحنى عليـه ٠

مازلت أمشى فى ثغر الزحــام
فى شوارع بلا شبهات .
لا أحــد .
الأطفال يلعبون دون حدس بالأجراس
التى تدق بعيدا فتوقف دمهم .
والناس يمكن أن يواصلوا الضحك
ويمكن لى أن أسمع حديثا يدور عن أشياء أخرى
– مراكب التجارة تمر بالقرب من الفنار الوحيد فى البحر .
ومن واجهات القصور ترن الساعات :

لا شىء ، لا شىء ، لا شىء .
البعض يقعون فى الحب بالمصادفـة ،
البعض يفسرون الأحــداث ،
والبعض يحتفظ بالكتب ، يحكون عن النساك المهزولين .
القطارات تحمل ضبابا وأشباحا من محطات مهجورة .
الزنابق تنفض بقايا داكنة الزرقـــة
لحلم غارب عن جبهات حجريـــة .
لاشــــىء .
وهذا الأريج الواهى لذكرى الطفولـة
ذوى ســدى – بلا صــدى .
لا أحــد يــرى .
غشاوات من رماد تغطى الأرض .
يارب ، فلتغلق عينى ،
فلتعقــد ذراعى
ولتطرحنى فى رحى الريــاح .
متعب حتى النخاع وأنا أهوى فى الهاويـــة ،
وسرعة السقوط تصفر فى أذنى أغنيـة الارتيـاح .
أغلقوا النوافــذ .

فوقاحة الضوء تعشى عيونى ٠
كفى حديثا ورديا لا يفيـد ٠
صمت الأم يأتى بيدك الى صفحتى وجهى ٠
وعلى رأسى العارية تلقى غابات الخريف بظلالها ٠
أختى ، أنا نعسان ٠ فأين يمكن أن أستريح ؟
أين يمكن أن أنام ، وأنا بلا سرير ؟
الفجر المريض يعثر على مصباح سهرى
مشـتعلا مرة أخـرى ٠

وساعة المساء فاجأتنى مبتعدا عنك ، يا أختى ٠
جمال جليل نقر على كتفى بيد حانيـة ٠
وعلى فجر الأفـق شعلة وردة منسية ٠
والذرى الناعمة تحمل سلال البنفسـج
الى الأقدام الشفافـة للراحـة ٠
وأنا أمسك فى مريلتى بمصباح وليـد
وأغمر روحى فى عينيـه الواهنتين ٠
أحـدق فى السهول
مستشفا ـ فى هدوء ـ سكون المسـاء
وأحيى أرواح الأشـياء ٠
وخلف أشـجار الكمثرى المزهرة
يرقبنى ظلك الأسـيان ٠

لم أنسك ، يـاأختى ٠
أعى الطيبـة من رحمتك ٠
أوزع الابتسامات على الخطوط والأشـكال
المنيرة بضوئك القـدسى ٠

لكن ، وأنا أجمع لك باقة من زهر الربيع ، فانك يا أختى ،
بعينين مسعورتين كسيف يومض
تنيرين القبــة الزرقـــاء ،
لكنك لا تدرين أن الأشياء الحية التى ترينها منعكسة هناك
تســـتعيد صورتك اليــك
خلال طبقات من الصمت والذكرى •

أختى ، وعدتك بأن أجىء لك بالماء الأبــدى •
وعدت بأن أرمى بالشمس عند قدميك •
الآن تصرخين : « أخى ، عطشانــة •
فأين الماء الأبدى الذى أطفىء به عطشى ؟
أخى ، بردانــــة ،
فأين الشمس التى أدفىء بها يـــدى ؟ » •
وأبقى بــلا حراك ، بــلا حيـــلة •
أنا الذى طفت بالسماوات
لا أستطيع تغطية شبر واحــد من الأرض •
وتحت الثلوج أسمع جذور حديقتنـــا العجوز
توثقنى الى الأرض •
نسيت كيف أمشى •
أنحنى على هيولى روحك ، مفعما بالرهــبــة •
تتصادم النجوم فى أعماق عينيــك
وتدمى قلبك معارك الأربـــاب •
فكيف يمكن تشـــكيل احتراقـــك
فى ســكون منحوت بــارد ؟
لقد آمنت ذات مرة بالســماء
لكنك كشفت لى أعماق البحر ، بمدائنها الميتـــة
بغاباتها المنسية ، وأصواتها الغريقـــة •
والآن ، غاصت السماء ــ كنورس جريح ــ فى البحر •

ويدى ـ التى ابتنت لك جسرا على الهاوية ـ تداعت .
انظرى الى
بأى عرى وبراءة أستلقى أمامك .
بردان ، يـــا أختى .

فمن سيأتى لنا الآن بالشمس لتدفىء أيدينا ؟
أنصت ، صامتـــا .
لا أحـد يعبر طريـق الليـــل .
والنجوم غرقت فى العينين الصدئتين
للنسر المتحول الذى يتأرجح على حافة معارك الظلام .
يداك المقيدتـان تسـدان طريقى .
وصوتك يتمشى وحيـدا فى ممرات الليـــل
وسيفه الطويل يرتطم بالقرميـــد .
فـــات الأوان .
لا الحياة تتقبلنى ولا الموت .
فالى أين أمضى ؟

مخطىء يا أختى . فلست ربـا .
لا أحــدد أى شىء .
ونارك بخرت قوتى حتى الخمود .
ومثلما تنفضين الغبار الذهبى للضوء عن رموش الكون
حدقت فى صلبان الانسان العظيمة
التى تنتصب فى أفقك المســائى
وأحـببت الحـزانى
الذين يعبرون صامتين ـ كقطعان بيضاء مختومة على الجبين .
مختومة على الجبين بخاتـم أحمر .

قرأت تاريخ العـالم فى قطرة من دمك .
آه ، يا شعبى ، آه ، يا أخوتى وأخواتى ،
يا أخوة وأخوات أختى ،

فى البحر اللانهائى لقلبكم
تغرق الأحلام بكل أشرعتها ،
مع جرأة الأفكار والتأملات اللامبالية للأربـاب .
كم من رحـلة قمتـم بها !
ولم تحضروا معكم صورة واحـدة للازدهـار
لتزينوا بها بيوتكـم ،
صـدفة بحريـة واحـدة
من تلك التى تطيح بها العواصف على الأرض
تذكارا لامعـا ومفتاحـا موثوقـا
ليوصـد أبوابكم عندما تهب الرياح فى الليـل .

تظل عيونكم أبدا محبوسة وبريئـة ـ
كقطرات مطر ملونة بالصمت والشك .
لا ملجـأ لكـم .
تموتـون بـلا بعث
بلا شفاه ورديـة لطفل تنطق باسمكم من جديـد
تحت السماء الوديعة لمايو الجديـد .
لكننى رأيت ذكراكم ترفرف كحمامـة مهيبة
على كتف أختى .
أخوتى وأخواتى .
فلتستقبلوا الآبـق فى صـدركم الواسـع .
فبـالدموع أغسـل أقدامكم الجريحـة .
بالدموع أنظف يـدى من تراب التعالى
لعلى أكون جديرا بتقبيـل شـعركم .

أختى ، تعالى لنتكىء كطفلين عليلين
على الحديقـة الروحيـة التي غرقت داخلنـــا ،
لنلتفت الى الشذى المتلاشى
الذى ظـل منسيا فى ركن معتم من قلوبنـا •
••• وفى ليـــالى الصيف
سوف نرى ـ مفعمين بالبهجـــة ـ
البدر يشرق على شاطىء مسـقط رأسـنا •
والطريـق الفضى سوف يحملنـا
الى الحفيف اللازوردى للكون •
وستكون أمنـــا بجانبنـــا
ملاكا أبيض فى الليـــالى البيضـــاء •
نسمع صوتها البعيـــد
والحفيف النـــاعس لجونلتها
ونحن نغمض عيوننـا فى نوم ملىء بالنجوم •
آه ، أيتها الحماية العذبـة التى سهرت بجانبنـا
وهى تدفىء طيور أحلامنا العاريـة •
لفنـــا ازدهـــار الضوء
وهربنـا ، يـا أختى ، بين السماء والبحر •
••• وبعد ذلك ، الأبواب المغلقة والنوافذ الجامدة
كل ســـابق تغير •
صـوت الأم ميـــت •
وحيدان ، اليد فى اليد ، فى مدائن مجهولة ـ

متسولين صغيرين ، مع حلمنا الدافىء ، تحت سماء متكسرة •
لم يعـد لدينـــا مأوى ولا عكاز •
لكننا ما نزال نعرف كيف نكون محبوبين ، وكيف نحب •
عنـدما أتعب أستند عليـــك •

وتثبتين نظرك فى نظرى
تأتين لى بشقائـق نعمان ذهبيـــة
من شـــقائك الى حلمى ٠
أختى ، تعـالى مرة أخرى
وقبلى جبينى المشـــتعل ٠
انظرى ، هـا أنـا أفتح لك كوة ضوء صغيرة وشعاع مائل
يرســـم الخط الخارجى لظـل وجهك ٠
فلتدفعى عنـك الليـــل ، ولتـأتى الى
وسيأخذ كل منـا الآخر ـ كآنذاك ـ يدا بيـــد
ونطوف خـلال مدائـن بـــاردة
ـ متسولـين صغيرين بحلمنا القديـــم ،
ـ أميرين عظيمين للحب ٠

هـــل تـذكرين ؟
ذات مرة أعطتك أمنـا ثوبـا قرنفليـــا
ومظلة قرنفليـة صغيرة ٠
وكنت تتسلقين منحدر التـــل المزهر
فى صـباح ربيـعى ، أثيريـة شـفافة ـ
غيمـة قرنفليـــة من ضـــوء ٠
وكنت تحـدقين فى الســـماء
كأن شـيئا ما من أعلى كان ينـــادى عليـك ٠
الضفائر الحزينـــة لشعرك الفاحـــم
تنســـدل وحيـدة ثقيـلة على ظهرك النحيـــل ٠
كنت خائفـا من أنك ـ فى وقت ما ـ ستتلاشـين
مع الضـوء الوردى فى الغروب ٠
آنئـذ ، كنت أجمع أصدافـا لامعـــة
وحصى ملونـــا على شاطىء جزيرتنـا

كى أرى عينيــك تبتســمان
وأفتن قلبك الذى كان يذوب ـ صمتا ـ فى حزن العالم •
لكنك لم تعرفى كيف تضحكين •
وكنت أصنع أجنحــة من دموعــك
لأمضى بعيدا كى أجىء لك بلقــاح سماوى
لأحــرر صمتــك •

لكنك لم تعرفى كيف تأخــذين •
كنت تعطين • فقط تعطين •
كل مواهبــك •• كنت توزعينها
لتبــقى يــداك خاويتــين •
أحنيت رأسك ـ طائرا أسيانــا ، فى جناحــك المعتم
وغنيت الغنوة المدهشــة لكل العــالم الجريـــح •

أختى ، فلترفعى رأســك •
أنحنى بجوارك وأجىء لك بفجر طفولتنــا
لعلك تستنشقين ملوحــة جزيرتنــا ، ورفيف المســاء
وترســين بجانبى ،
عابرة سديــم الاشتياق الى البيت •

عودى ، يــا أختى ، الى بتليهيم الصغير
الذى حملنا جميــلا ومتواضعــا
ولسوف ترين أننى سأريق أحلام القديس
التى أخــذتنى بعيــدا عنــك
وسأظــل بجوارك الى الأبد ـ زيزا بسيطا
لأغنى لك فى أمســيات الربيـــع •
ألا تســـمعيننى ؟

رفضنى الجميع ، ورفضت كل شىء •
ولا عزاء لى حتى فى الفــكر •
فــكل مــا أحببت

أخــذه الموت مني والجنــون ٠
وبقيت وحدى ، تحت أنقاض سمائى ، أحصى الموتى
جرفت الريح من طريقى آثار خطى الرب الطاهرة ٠
لا يمكننى العثور على الموت من جـديد
فأحبائى الموتى أعادونى الى الحياة لأبكيهم ٠
والآن ، ما تزال الطاحونة المكسورة تدير أجنحتها
فوق السهول المحصودة ، فى سكون سماوات المساء ٠
آه ، هذه الأجنحة التى تمس رموشى بالحركة الواهنة ل
الصفحـات ٠
وأتبع أمرها الغريب ، بلا ارادة ولا نسيان ٠
فلتنم ـ فى النهاية ـ تلك الأجنحـة
التى تشكل الملامح المتعبـة لطيور جريحـة
فى غيوم الخريف الأبـدى الكابيـة ٠

يا لها من برودة تستقبلنى بها
الأصـوات والألوان هذا المسـاء ٠
يجرجر الغروب تحيتـه الذهبيـة على أكتاف الأشياء
فما الذى يريـده هذا الضـوء الوردى ؟
لم هذا التبرج فى الاحتفال اللامبـالى ؟
لم هذا الاسـتفزاز لى ؟
الأشـجار والصمت اتخذوا سـمتا مغرورا
لخطباء يتحدثون أمام تماثيـل عميـاء ٠
آه ، كم أكره الغيوم النـاعمة
التى تتعلق ساكنة مخادعة فى الضوء الراضى ٠
ألا يعرفنى أصدقـائى القدامى ؟
لا ، لاحاجـة بى لشىء ٠
لا تليـق الشـفقة على بى ٠
أقضـم شـفتي وأشرب دمي ٠

اننى أحتقر جمـالهم الميت •
ـ أيتها السماء ، ما الذى تتباهين به ؟
أنا الذى انسحقت تحت أقدامك
سأتخطى جمالك البارد بأغنيتى الدافئـــة •
أختى ، لقد تركتنى لتستندى على قلبـك
وتنصتى الى نبض النـــاس •
وحياتى تواصلت تحت سماء عينيـــك •
وكنت تجيئين ـ محبـة رقيقـة ـ
فى الأمسيات التى كتبت فيها ـ وأنا أنحنى صامتا ـ
قصائدى الغاضبة عن حروب الضوء والدم التى لا تنتهى •
أحسست بحضورك خلف الليـــل •
وغطت سطحى البارد شجرة الساعـات الحانيـة
عنـدما سمعت وقـــع أقدامك •
كنت تبتسـمين
فتـأتى كل السماوات الى غرفتى •
وانعكاسات لازوردية ترتعش على الجدران
وذكرى بيتنـا تستثير قلبى
عندما أعود مثقـلا بتجوالات الليـــل
والمرارة الأبديـة للوحـــدة ،

...

كنت أجد عشاء الحب ينفث البخار على المائدة
وذكرى الطفولة ـ فراشة واهية تلعب حول مصباحك •
وتظلين واقفـــة فى انتظار عودتى •
وعندما أغرق ـ أنـــا عاشـق اللانهايـــة ـ
فى ظـــلال شـكوك غامضـة ،
فـانك ـ باصبعـك الدافىء ـ
تريننى آثـار الأقـدام على الأرض ،
وتعيدين تشـكيل رمادى من جديـد فى شـكل انسانى •

تقاسمت معك مقعدك
فاحتفظت بمكان لى على الأرض •
قست الزمن بنبضك •
أصغيت الى قطرات البرودة عن قرب
وهى تسقط من نبع خفى •
وجف النبع •
رحلت •
فجرجرت السماء ـ غبارا أزرق وراء خطواتك •
انها تهطل الثلوج •
أيتها الحياة ، الحياة ،
أخذت مني الكسرة الدنيوية الأخيرة •
ما من دموع أخرى لدى •
ولا خوف عندى •
فما من شيء آخر لدى كى يسلبوه منى •
فقيرا ، عاريا ، مهجورا ـ
انها ثرواتى التى لا يستطيع أحد أن يسلبها منى •
لن أطرق أى باب •
لن أنطق بأى رجاء •
بلا خبز ، بلا جربندية ، بلا رباط
أتخذ الطريق الى الغرب بخطوات ثابتة طويلة ،
عاريا ومطلقا ، جديرا بأن ألمس الرب •

غيمة بيضاء من قمر سهران
تذوب وئيدا فى زرقة الفجر •
وزجاج النوافذ على جبهة البحر
ـ كسلسلة من عيون باكية ـ
يعيد فى تصوير شبحى
الأفول الشاحب للقمر •

آه ، هذا الشحوب الذى يرمى بظلال الشك
على الليـل والنهار ، ويرفرف بلا وزن .
وفى الأسـفل ، البحر الرمـادى
يعكس الرعشـة ذات اللون السماوى
التى تتوانى على ظهور النوارس الهشـة .
والصوارى الظليلة تخط الأفـق فى سـكون
متـأهبة للحركـة .
لرحلـة جديـدة ؟
لعودة جديـدة ؟
والضبـاب يؤخر برهـان الشمس .
لا شىء يتكرر دائمـا .
الربـح والخسارة يتركان آثـارهما على القمر الأبيض
الذى يتـلاشى تدريجيا فى الفجر .
النوارس تجىء من بعيد ، تحيى القوارب الراسية ،
تحيط ـ كعنقود من الزنابق ـ بالمراسى الصدئـة .
أختى ، شاطئك يتقهقر .
ورحلة الاكتشاف تبـدأ .
ومضة ضوء منقوشة على الجفن الناعس للسماء والبحر .

أختى ، هناك خط مضىء يرتسم حول بابنا المغلق .
صحوة تغمر الهواء البالى مع صخب البحر .
احدى خنافس مايو تزعج زجاج النوافذ الموصـد .
والشمس تنسكب فى فوضى الغرفـة
ورجفتها المرفوضـة تتملكنـا .
أى يـد للرحمة تسحب ظلها
على الجـدران البـاردة ؟
هـا هو تذكار الحيـاة فوق الركوع .
هـا هى رايـة الربيـع فوق المقـابر .

الأشرعـة البـالية تنهض ـ تبحر فوق المراكب ·
السريـر يتحـرك ·
نســـمة ·
براح يســـلب العقـــل ·
أطيــع الأمر
أفتــح ذراعى وأتقبـــل ما لا يقـــاوم ·
الوجوه الفـــاتنة فى متنزه النســـاء
وموكبهم الوضىء فى جســـدى ·
يتراجـع الصبـاح ، مؤجـلا
يزيح أيدى الضباب بعيـدا عن جبينى ·
لا مزيـد عنـدى من البكاء ·
هزمنى الغنـــاء ·
منحنى الغنـــاء الانتصـــار ·
الشمس ، الشمس تذيب المشهد الثلجى فى عينى ·
والأغنيــة القويـة صعدت سقالات السماء
لتبنى بذراعـين عـاريتين بيتى ·
والضــوء يتماوج فى عضلات صوتى ·
أسمع حلقـات القيود تسـاقط وتنكسر
أسمع الفرســان البيض يمرون بالخارج
منشدين أنـاشيد الحرب ·
انفتحت النوافذ على مصاريعها فوق بحر الصباح ·
وعتبـة بابى تلتمع كعين مفتوحـــة ·
أختى ، لم تعـد لى طاقـة على البقـــاء ·
فغيابى سيجىء لك بالماء الأبـــدى ·
وأنـا ـ الذى عجزت عن انقـاذك من الحيـاة ـ
سوف أنقـذك من الموت ·
هناك الطرقات مشرقة واضحة فى ضوء الشمس ·
فلتتنحى ، يا أختى جانبا ، كى أمر بيديك المقيدتين ·

علقت على صــدرى التعويذة التى صنعتها لى
ذات مساء ربيعى ــ أتذكرين ؟ ــ عندما كنـا صغارا •
فيها قطعـة طين حمراء صغيرة
لتذكرنى ببيتنا الأخير ،
وورقـة ورد جافـة من حديقة منزلنـا
وقليل من غبار الجدار الذى حفرناه ذات ليلة بأظافرنا
الى المنفى الطويـــل الأخير ؛
وداعـا ، يـــا أختى •
فقبلى لى العصافير فى باحتنا والأطفال الأبرياء
والأمهات الحزانى اللائى يطرزن بجوار المصباح
والشبان الذين يؤسسون مكانا لهم ــ فى عناد ودون تردد ــ
على حـــدود الحيــاة والموت •

الآن ، أرد نفسى الى العــــالم •
فالطبيعة الفاتنة ــ بمروحة شاسعة من جريد النخيل ــ
تنعش أعضـــائى وتـذيب دموعى •
والمذاق المعـــافى للصحــة الأبـدية
يغنى فى فمى ويلذع لثتى كفاكهة نيئـــة •
أحـــدق فى السـماء
وأرمى ــ بمحبة ــ فى الأرض حفنة من بذور •
أختى ، فيما وراءك وورائى ، فيما وراء نظرتنا الكابية ،
فيما وراء الخط الكابى للأرض ،
هنـاك عنـد جذر الأشـياء
أنصتى الى موجـة النبض العلويـــة
ــ الخارجـة على السيطرة والتفسير ــ
التى خلقتنـا وتحكمنـا •
ماذا يمكن أن نقول ؟
أفتح البوابات ــ باندهاش مذعور ــ فى مواجهة الخالق

وأحـول الألم الى نشـوة
والصرخـة الى صـلاة ·
الضفائر البهيجة للآفاق تجفف قدمى الداميتين
وأقفز ــ خفيفا ، سعيدا ــ الى ذروة الابتسام ·
أيتها الشمس ، الشمس ،
أبى ، أيها الحامى لى ، تلقفنى الآن ·
لا قيـد يربط أجنحتى بالأرض ·
والضوء يشرق متوهجا ، أعلى من حبك ، يا أختى ،
أعلى من حبى ،

الوجـه السـاكن للأبديـة
يهشم المرايا المشوهة للدموع
وما نزال نسـمع بداخلنـا
عاصفة حقيقية من دمـوع ·

★★★

مسيرة المحيط

ميناء ليلى
الأضواء غريقة فى الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط
تضيئها الأنوار العابرة لسفن بعيدة
ثم تغرق في ظلال الرحلة
أشرعة مائلة مزينة بمصابيح الحلم
كأجنحة مكسورة للملائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليل ونيران الفحم
أيد جريحة كالاعتذار الذى جاء بعد الأوان .

سجناء مربوطون الى المرسى
سلسلة حول عنق الأفق
وسلاسل أخرى فى أقدام الأطفال
وفى أيدى الفجر التى تحمل باقة زهور

والصوارى مشابرة على عد النجوم
بمساعدة ذاكرة مطمئنة .
ـ باقة من نوارس فى الفجر الساكن

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

فهل سنظل ـ اذن ـ
نحمى جرح الشمس المفتوح
الذى يفيض ببذور الزهور
على نفس المسيرة
على نفس الهدف
فى شرايين الربيع الخصبة
عندما يستأنف السنونو دورانه
بحثا عن عدم عاشق
على القبة الزرقاء المنيعة ؟

أى جرح
لم يضمن لنا ـ حتى الآن ـ
أن نصل بجنة الرب الى الكمال ؟

كانت لدينا حديقة على حافة البحر .
وكانت السماء تنزلق اليها من خلال النوافذ
فيما الأم جالسة على المقعد الخفيض
تطرز حقول الربيع مع أبواب مفتوحة فى منازل بيضاء
مع أحلام بجذوع الأشجار على السطح القش
مرسومة على زرقة فاتحة ناصعة .

لم تأت بعد .
سأتطلع الى الغرب وأراك

ـ في شـعرك بريـق وردى
ـ فى عمق البحر طيف ابتسامة •

أمى تمسـك بيـدى •
لكننى وراء كتفها الحـانى
وراء شـعرها الشـاحب
الذى يلتمع بأريج الصبر والنبـل
أتطلع ـ فى وقـار ـ الى البحر •

هنـاك فى منحنى الجبـال الأزرق
ينادينى أحـد النوارس فى أعماق المنـاء

تهشمت المرآة التى رسمت حدود الفجر والحديقة •
وبالنايـات الحزينـة للزهور
دفنـا السنونو الأول ، أول أمس -
ثم جلس الأطفال وحيدين عند نافذة المساء
ليشهدوا الشمس المحتضرة •

وراء جدار الباحـة الأبيض كان الطريق يصحو
وحالما تلاشى الضوء الذهبى في البعيـد
صعـد الظـل الهائـل للجبـال
مع خطوة الموت الصامتـة الى أيدينـا البيضـاء
الى قلوبنـا
الى جبهاتنـا المحنيـة •

أمى ، من الذى يـدق
الجرس اللازوردي على الأفـق ؟

غيمة فضية بجوار القمر •
صيادون عجائز
لم يعد لديهم قوارب ، لم يعد لديهم شباك
يجلسون على الصخرة ويدخنون غلايينهم
يتأملون أحزان الترحال والظل •
لكننا لا نعرف شيئا
عن الرماد فى مذاق الرحلة •
نعرف الرحلة ونصف دائرة الأفق
الأزرق الفاتح مثل الحاجب المخيف لاله البحر •

نقفز فى القوارب
نرخى الحبال
ونغنى البحر
محدقين فى الغيمة الفضية
بجوار قمر ربيعى •
أية مدينة مرصعة بالجواهر
تنام وراء الجبال ؟
أية أضواء ترتجف فى أغوار الليل
تنادى علينا ؟

هناك قبور صغيرة بيضاء
لنوارس بريئة
بعيدا فى جزر مهجورة مجهولة
لم تعرف سوى الضوء القادم من المحيط الليلى •
هناك وضعنا أزهارنا الأولى •
شهقتنا الأولى والفكرة الأولى •

سمعنا أغنية البحر
فلم نعد بقادرين على النوم •

أمي
لا تمسكي بيدي .

البحر البحر
في عقولنا وأرواحنا وشراييننا البحر .

رأينا سفنا تحمل بلدانا أسطورية
هنا على الرمال الذهبية
حيث يتمشى عابرو المساء .
ألبسنا محبات طفولتنا طحالب مبلولة .
قدمنا الى آلهة الشاطىء حصى وأصدافا لامعة .

ألوان الصباح تذوب في الماء
ونيران الغروب على أكتاف النوارس
الصواري التي تشير الى اللانهاية
تفتح أبوابا عند حلول الليل
مرفرفة فوق نومنا الحجري
متألقة ، أبدية .
وأغنية البحر
تأتي عبر النوافذ الصغيره
فترسم حدائق وأحلاما مضيئة
على الجوانب الرطبة والجباه النائمة .

ايقاع مؤرق أليم .
على الصخور القاحلة في الخارج نبصر الجمال
نحن الأطفال المشردين الحفاة
وفيما نمشي بأقدام عارية في البحر
نسمع صوته الذي يرتجف بأصداء هادئة

مع الوميض الفوسفورى للنجوم
التى تزرع حكايات ذهبية فى الأعماق الخضراء .

قلب مهيب
قلب طفل بلا شبهة
لا تتبرأ منه أبدا .

مددنا أيدينا لنقطف زهورا من النجوم
لنقطف نجوما من دقات قلوبنا
التى ردت على نداء البحر لنا
بأن نعتصم بحبل الجمال
ونحن نسافر الى اللانهاية
على طريق قمر الصيف الهائل
المرسوم على البحر المباح .

عرايا ، تصارعنا على الرمال فى الظهيرة
بأجساد مبلولة لأطفال الثانية عشرة من العمر
من أجل العناق لا الصراع
من أجل الصراع لا الانتصار
الانتصار وحده .

شعر ملحى
أفخاذ أحرقتها الشمس
الموجة الملهوفة فى القبلة
البحر فيما وراء الفوران .

الظهيرة تنحدر صاخبة فى زوبعات من نار
تطوى بيوت الصيادين بلهيب أبيض
فتحرق القلوب التى لا تقاوم .

خارج النوافذ نسيم البحر الرهيف
الوجه المضيء للسكون
فى ذاكرة الصيف البيضاء
مع بصيص طيفى ، داكن الزرقة
منحرف على وجنته الملساء ٠

نفس ذهبى لماء لانهائى
شباك تتشمس على الصخور
قوارب مملوءة بفاكهة وزهور
وهناك بيوتنا
بيوتنا مكتوبة على البحر ٠

ايماء من الشاطىء
من الصخور الحمراء
من زهور الزنبق الصغيرة
والبنات ٠

من ينادى علينا
من شرفة بيتنا ؟
بنينا بيتنا فى البحر ٠
هناك لآلىء فى الأصداف
وغابات مرجان هائلة فى الأعماق المعزولة ٠

صنعنا نايينا من العظام التى أخرجها مساء أمس
فى باحتنا غناء العاصفة ٠

أنصتى الى أغنيتنا ، يا أمى ،
أغنية الرحلة الجديدة ٠

أنت يـا من تنوحين على الموت
لا تعرفيننــا ٠

البحر لا ينــوح ٠
بــل يغنى ٠

متحررة من طقوس الأحــد
باحـة مطلية بالأبيض
فيمواجهة البحر برج الكنيسة الصامت
الذى دق « يوم كل الأرواح » للبحارة
والآن يقهقه فى ضـوء الشمس ٠

فى أفواهنـا غليون أبينـا
تحت قبعـة المدرسـة ٠
وعلى صدورنـا مطرز الصليب الجنوبى
والعـذراء العجـوز ٠

بدلة بحار قاتمة مزررة حتى العنـق
وعندمـا ترانـا الفتيـات
نتخذ المشية المائلة لقباطنة جابوا العـالم ٠
ويرتعش فى نظرات الفتيـات
صوت غابة صباحيـة شاسـعة
موسـيقى حقيقيـة واضحـة ٠

لكن فيما المنازل السـاكنة تحيينا فى حنـان
بنبـات المسك المتدلى على الجدار الأبيض
فسوف يدخلنـا من جديد ، ليقهرنـا من جديد
الضوء البـاهر من المحيط العظيم ٠

هـا أنت هناك أيها القبطان
تأكل خبزك الجاف على عجـل
والزيتون الأسود المنقوع فى الملح والشمس ،
على قمة صخرة منحدرة •

انه وقت الاحتضـار
ونحن نلتقط أنفاسـنا
يرتفـع شراع الزفير الأزرق الفاتـح
وطياتـه المضيئة تتماوج .
وهى تتلاشى خلف الصـدور الساكنة للجبال النائية •

قلوبنـا التى عرفت البحر
لا تعرف الحـدود •

علم الصحة الراسخ مغروس فى الصخر
يحيى السماء ، يرفرف فوق الرجـال
وظلال باردة كبرى من بحر الصبـاح
مع جزر وأشرعـة بيضـاء
فى الازدهار الكامل لمنتصف مايـو •

القمر الفضى يعكس
جموعـا زاحفة فى عزلتها خلف الصخور
على وسائـد الطفولة أصـداف صقيلة
وفى المحيط الأزرق للنوم
أصوات السيرينات مع قياثرهن من عظام الأسماك •

آه ياربـة الجزيرة النائيـة
الرواسب الكلسية تتـدلى فى كهفك البحرى

كأنها ترتل نوم السكون الشاحب
كأن صدرك الناصع يتنافس مع دائرة البحر الزرقاء
المضاءة بالنجوم
وهناك باقة ذهبية من نحل
حول النبع حيث يمرق الضوء فى وهن
وهو يعطر ظل الأشجار الضخمة ـ
فأنت تعرف أن الماكر سوف يرحل .

« لا يرتيس » مع كلبه
سوف ينتظر فوق الصخرة سدى .

حين خرج عاريا من البحر
ذهبيا من ماء الفجر
فارتسمت عظام عانته فى اطار الشمس
هربت « ناوسيكا » مع العذارى الفاتنات المرعوبات
خلف الأشجار
وأقدامهن الحافية ترفرف فى الهواء كسرب حمام
وضوء أبيض ينعكس على العشب الأخضر .

... فى الخارج على الشرفة بجوار البحر
مائدتنا المسائية المتقشفة .
غمس الربيع الخبز القمحى فى النبيذ .
ورسم القمر فى السر
على أباريق خزفية يونانية
مشاهد من طروادة .
كنت تعرفين أننا سنمضى ، يا أمى
وملحت عشاءنا بدمعة
وأنت محنية وحزينة تحت النجوم

والفتيات ــ اللائى كن خطيبـات أوديسيوس ــ
تنهدن على عتبـات نافذة الجزيرة

سفحنا الدم والغلال مع الأشرعة العالية والغيوم
فوق المياه الناصعــة .
مع زوارق خشبية صغيرة فى خلجان زرقـاء
تفوح ــ فى رقـة ــ بالوداعـات
مع القبلات بجوار القوارب عند حاجز الأمواج القديم
وراء طاحونة الهواء الصيفية المهدومــة
متأهبين للرحلة الكبرى الى المجهول ·

وعندمـا عدنـا فى المسـاء
بأيد دامية وركبنـا مكسورة
حاملـين غنائـم التعب :
أيقونـات مائيـة تتنـكر للشـكل
أجراس مسـاء ورديـة اللون
نـدم الفـوران
خـواء الصراع ــ
هنـاك تحت ظـل المقبرة عنـد البحر
أدركت عيون طفولتنـا الصمت
سمعنا مجىء الليـل .
سمعنا نـاى الجمـال
الذى يمنـح العزاء للجبين الحزين ،
ويبـرر المصـير ·

من الذى يهشم روح الرب وفرحتنـا
من الذى يقسم الصمت الى آلاف الأسماء والنجوم
التى تضىء فى حركتها أيدينـا

وترسم دوائر من العزلة على نفس البحر ،
التى تستبقى نار الخلق
دون أن تبقى ؟

طيور البحر ترفرف عند كهوف الصخر الصامتة
رسوم لملائكة مطرزة بنجوم عند الحافة المتآكلة للماء
بالقرب من الحصى المقاوم
فى الظل الأخضر لحاجز الأمواج
تحت العيون المدهوشة لأولاد حالمين .

جرح يوم الفراق
الذى يخط فى الدم آفاقا وذكرى
يرسم نقيصة الرب
الايماءة الحلم الخلق .

معرفة صامتة
فى عيون الأطفال الواسعة
على الشفاه الحازمة للمراهقين
الذين لم يحصوا حطام السفن
معرفة تمجد النجوم المنفرطة من جرح الرب المفتوح
لتداوى جرح الانسان .

أغمضنا عيوننا
فى سريرنا الموروث الأبيض .

المصباح انطفأ .
وفى اطار النافذة يومض البحر فى السر .

خلف الأسيجة والأشـجار
سمعنا صوتـه العـالى ينـادى علينـا
فيملأ نومنـا بمشـاهد لازورديـة
مزهرة بأشرعـة فى بيـاض الثلج
بحدائـق من نوارس مستغرقة فى التفكير بلا صوت
جاثمة على الحافة الصخريـة للمجهول
فوق الهوة المظلمة الآسرة .

من هنـاك أسمتنا صيحة الريب
غـدا سنسبح من جديـد
غـدا سنرتحل من جديـد
غـدا سيطالبنـا الفجر بالصبر .
وسوف نرد على البحر

كتبنـا السطر الأول على الرمـال
والصوارى الصابرة ترقبنـا فى عبوس
والموج يهمس حنينـا لا ينتهى .

أقمنا على الصخر كأننـا منحوتون فى سرب طائر
وحدقنـا فى أقمار تخط دوائـر
تسألنـا سر سـفن تحمـل أشباحا بيضـاء
سر الرحلة التى لا تنتهى
والمرسى الذى لا يحتمل الماء
لمسنـا جرحنـا ووقتنـا
وهربنـا .

الرحلة دائما لنـا
والهدير الدائـم للبحر .

وصلت السفن عند الفجر
محملة بالقمح والفحم والنبيذ
من أجل القباطنة الحالمين
من أجل وقود النيران ·

طوحت بالخبز والنبيذ والفحم
وبقيت عاريا فى البحر
بلا رداء يغطى ضلوعك
أو حب يخبىء عينيك ·

كانت الساعة ملونة كلؤلؤة سرية
للتأمل العميق للفجر
وصوتها البعيد مترع بالخطر والاغراء ·

نظرت الى جسدك في الماء
فأحببت الماء ونسيت جسدك ·

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ ·

فات الآن أوان الرجوع ·

لو كانت الموجة أكثر دفئا من الحب
والسفينة أكثر دفئا من الميناء
أنت ـ نفسك ـ تعرف
أن الطيران يغنى فى شعرك

وأنت تواجه الأفق بنفير البحر
صاخبا بارتحال أبدى ٠

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
في منتصف البحر ٠

بكينا طوال الليل
انحنينا على نعش أبيض لنورس ٠
مصباح أمي يشرق من بيتنا
غصن نحيل من ضوء
فى الكف الرهيفة للعذراء ٠

نوم ثقيل عند الفجر
فى حكاية الأصداف
والشموع ذابت
فى الكنيسة المجاورة للبحر ٠

وكانت السفينة تنتظر
بمقدمة منحوتة فى ضوء الفجر
كسيف للريح ٠

النوم فى هذا المساء بقلب ممرور
يشبه خبز صيادين فى العاصفة ٠

غدا سنقتلع الصلبان من المقبرة المجاورة للبحر
ونصنع قوارب الأطفال

ونحت فى شواهد القبور
تماثيل صغيرة للجمال والبحر
لنملأ البيت المهجور
لنغوى الحياة وأنفسنا
رغم رب النكران
دون رب الرحمة .

ضاعت الصوارى
غاص الدخان
وراء المنحنى الصامت للماء
مثل ركبة أم تنام
والرحلة الساهرة فى صدورنا
ساهرة كالريح والبحر فى المساء الشتائى .

تلال ناعمة تسافر فى الضباب
والشمس المريضة ناعسة
على صخور المساء البليلة .

الكراكى فى الأعالى
مثلث للندم .

قداس صغير للعزلة فى مطر المساء
حامل أيقونات « سان ـ نيقولا » على الشاطىء
حيث يتوقف الخريف
ليلقى بعملة من الأسى المرير وورقة شجر صفراء
فيما هدير العاصفة يتلاشى على الرمال المظلمة
تحت ضوء النجوم الباكى فى سبتمبر صامت .

فلتلملم مرمراً أزرق من أيام اللعب والبكاء الطفولية
فقد تنحت تمثال المحيط
ملطخا يديك بالدم فى أصيل غائم
حينما يرسم الانعكاس الشاحب للبحر
دائرة من نسيم مضىء
عاليا فى الهواء الخاوى ٠

فى البيت الأخضر الصغير على الشاطىء
فاجأنا الشتاء وحيدا ٠

الشرفات هجرت
وعلى الشاطىء الشاحب
يخطو الضباب بلا صوت ٠

أوراق صفراء فانية
موت صامت للبرقات
طحالب تسد الأبواب والطرقات
ذاكرة مشجرة بأشجار السرو ٠

عند منحنى الطريق ظل الصمت ٠

من النافذة رأينا آخر زوار الصيف يرحلون
والزورق الصغير سلاله فارغة ٠

السفن تنام فى الميناء
وأعلام الريح الرمادية
ترفرف على الصوارى العارية ٠

عما قليـــل ســيأتى المطر المحزن
ليزيـل الأسماء الغنائيـــة
ورسوم الطفولـــة
ووميض البحر
من قوارب الصيف .

فى ومضـــة ضـــوء
ستقرأ المصير فى كفوفنـــا المفتوحـــة
ولن نملك كلمة واحـدة نطعم بها العزلة
أو كسرتين من خبز لنطعم العصافير القليـــلة
التى تموت على الطريـق المعزول .

الأشجار على جانب الرصيف محنية ومهجورة
ــ قشرة خشبية للصيف
فى الغسق المنهوب .

أين ذهب أوركسترا الفتيات الصغيرات فى الحديقة البحرية
هناك حيث سكر البحارة فى المساء وسط الأشــجار
وتقافزوا ــ راقصين فى الهواء
لأن عملة القمر الذهبية انعكست
فى شعر الفتـــاة خلف نباتات الريحان .

فى الليـــالى
يتمشى الانعكاس الأخضر الهائـل للبحر
وحيدا ، مهجورا ، على الصخور المنحدرة .

صـــامتين نمر خلال غرف مظلمة
أمام مرايـــا معتمة لم تعد تعرفنـــا .

ونسمع خطى الصمت
والريـــح والبحر
على حواسنـا الناعســـة .

شيء ما من أمان الفراغ ـ
بـاب موصـــد فى المسـاء
أو موكب من أشـجار السرو
مرسوم في الضباب الفضى لضوء النجوم الخريفى -

وعندما يهطل البـدر المعزول بالصبر والسلوى
نفتـح النافـــذة ونبتهـــل .

نحمدك يـــا رب
على أن تركتنا وحيدين هكذا محزونين هكذا
كى نستطيع التحديق بلا رهبة فى السماء
ونكون أنقياء وبلا حدود مثـل اللانهايـــة
منسيين ومجهولين مثـل المجهول .

ليـل . أقف فى البـاب المظلم
الجبـل المخفى يمتد بعيدا .
يتلو اسم الرب فى العاصفة الثلجية للنجوم
فى الظل الشفيف حيث ينام الرجال ويموتون
فى العزلة التى تعيد صوتى ألف صوت .

أين ذهبوا جميعــــا
ليتركونى أحـدق فى كفى الخاويتين
لأصـادق الصمت والمطر ؟

حزين حتى الموت ٠
أرى السماء الخاوية
وأحتفى بغيمة كبيرة
وأنا مثل حمل حزين ، مهجور ووحيد
فى منتصف واد مظلم

آه ، يارب ، لماذا رحلوا عني جميعا ؟

تحت ثيابي الممزقة
أمتلك قلب الطيور والأزهار الحانى ٠ ٠
(كم من ليلة بكيت فيها سرا
على جرح فراشة) ٠

فليذهب كله ٠ فليذهب كل شيء ٠
فسوف أبقى مرة أخرى فى مواجهة السماء الفسيحة
فى مواجهة البحر الشاسع
لأغنى بلا مرارة أو شكوى
فليذهب كل شيء ٠
فحينما أبقى وحيدا أقترب أكثر من الناس
فأقترب أكثر من الرب ٠

أسمع صوتى
مهجورا فى الريح
وأدفيء أيامى ٠
جوقة طفولة تتبع المساء
وهى تعرى الصمت

وهي تحيي الربيـــع .
لكنني ، يا أمي ، ما أزال بردانـــا .

حـــل المســـاء .
جداجد الخريف الأخير تتمازح في الظلام عند الأسيجة
بأصوات صغيرة واثقـــة .
فلتفتش قلبـــك
عن الشمس التي رحلت .

واذ يمتـــد الشفق الى أرواحنـــا
سيقطر أريج وردة قطرة ندى على الرموش ،
والضوء الأخير للمســاء
على يدين عاريتين معقودتين
على وجـــه تحول الى رخـــام
بفعـــل القوس الفضي للبحر .

أخذوا منـــا أغنيـــة البحر
قيـــدوا أقـــدام بحرنـــا .

أطفـــال مدهوشون وصـــامتون بأهداب ملحية
بعيون زرقـــاء واسعـــة
نمر ـ خائفين ـ عبر مدن كبيرة
تحت مستشفيات تفوح بالنوم والعرق
تحت بيوت بمصابيـــح حمراء
تحت أبنيـــة كبيرة
نبتعث ليـــل الدم والغنيمـــة .

أمي يـــا أمي
تتكرنـا لحكمة دموعك الحانيـــة
فأين يدك الغفورة باحتمالها الصبور
أين يــــدك
فلعلنـــا نســمع الفجر والبحر
وتدفيء عزلتنـــا ؟

أمي
السماء ماتت فى دموع البرىء ٠

نحن الذين سرنـا فى الليـــالى
فى غابـــات ناصعـــة كاللآلى
نحن الذين نحتنـــا فى الصخر
الشـــكل الصـــافى للحلـم
لا نعرف كيف نسير على طرقـــات
تتلطخ كل يوم بـدم المسيح العـــادل

خلف الجدران يتمددون فى انتظارنـا
ومن الأركان ، تنطلق ــ مرتاعـــة ــ
أسراب من حمام خشبى ٠

أبواب تتثاءب فى الليـــل ٠
ومضـــة ســيف ٠
قمر مقطوع الرأس ٠

بعظام آدميـــة يصنعون ســلالم
ليصعـــدوا ٠

سيدى المسيح ، سيدى
ونحن هنا ، فى منتصف الطرقات الكبيرة
مرتبكون ومحزونون
بحقائب خاوية فى أيدينا
بقفص عندليب على ظهرنا
بذكرى البحر الشاسع على جبيننا
بأيد بريئة مندهشة ، لا تستجدى .

لم يبق لنا شىء ، يا أمى :
أين سنأوى ؟
أين سننام ؟

هناك حيث الأيدى والبيوت خاويه
يحتل البحر مكانه الرئيسى فى غرف الليل السودا .
ثياب من ظلام
أقنعة من جبس
ابتسامة حب معسولة
صور لأطفال يكبرون
لم تعد تعلق على الجدران .

هناك ، منفردا يتماوج
شامخا باردا — بلا كلل — وحرا
المحيط الوامض .

طفل بنى البشرة بعينين زرقاوين
وشعر كثيف مشطه البحر
طفل لم تتشكك خطوته المبتهجة بالأرض أبدا
طفل أبى رفض طقوس الأحد

لقد صنعت مراكب وطائرات ورق من كتب التدريبات
هل تذكر القبطان العجوز
الذى نسى الميناء وهو يحدق فى النجوم
مغنيا للبحر كى يستعيد شبابه ؟

هكذا ، فى الساعة المقررة
رحلت عنا بسمة الليل الأخيرة
وما كان لدينا سفينة أخرى نبحر بها
وأرصفة الميناء بلا أضواء أو مسافرين
قابلنا ظلنا آه ياطفل البحر
قابلناك وقمر ربيعى فى يديك
تتمشى وحيدا على الشاطىء وسط الصخور
حيث الفقمات والسراطين تحلم فى سكينة ٠

شبعت العيون من صور الماء
لكنها تهفو ـ ما تزال ـ الى الماء
النجوم تتنزه فى ذكريات النوارس النائمة
انقضاض مفاجىء للدلافين المذعورة من كائنات البحر
وعلى مرايا الماء المكسورة
طيران المجرة الدائرى ٠

صمت مرعوب يرحل من جديد
الى الشاطىء النائم البعيد
ـ الابنة الجميلة للقباطنة الغرقى
تعيش فى أنقاض حاجز الأمواج
وكل ليلة حين يكتمل القمر
يطاردها البحارة السكارى ٠

رب السماء والأرض والبحر
الى متى سنظل نرقب وننتظر
الى متى سنـــظل عطاشى
الى متى ســـنظل لا نموت ؟

أن نصــل الى حيث توقف الضــوء
مهشما الى جراح وورود
ذلك ما سيوقف دوران السنونو المتعب
لابد أنك قد كدحت حتى السلمة الأخيرة من الغسق
وتقطعت أنفاسك حتى الموت ٠
فى أمســيات مكسورة
حين بكت المصابيــح فى البيوت
حين صلى الأطفال عند سرير العذراء المريضة
فى الثلوج حيث كان قمر كبير وحيد يموت
فى الريــح التى صلبت ريش الطيور العاشق
للمنـــا الدفء والضــوء
لنجعل من الزهــر ترنيمــة للربيـــع ٠

لكن الانتصار لم يجىء ، لم ينتـــه ٠

ونحن منعزلــون
الى حــد أن الموت لم يقــع فى غرامنــا
وظلنــا يتمشى على الشــاطىء الأبيض
مثــل طائر مســالم للمحيط
مترع بالبهاء والســكينة
منهك من الليـــل والعشــق ٠

لكن الساعــة التى تسبق الفجر لم تجىء ٠
فمن الآن ســيأتى لنـــا

برجوع السفن المنفية
المحملة بالصباحات والحمام
بابتسامات الطفولة ودموعها ؟
من سيعيد لنا الصحبة العظيمة للنجوم
التى انهارت في عيوننا المشرقة ؟

رب ، يا رب
أعد لى من جديد عباءة المصلى الألهية
هات لى القلب الذى يجهل المطر
والازدهار مع السنونو
امنحنى ارتحالات وعودات
لعلى أستطيع البكاء من أجل جرح فراشة
لعلى أستطيع الخطيئة
والندم
عندما يدوى جرس جزيرتنا فوق البحر
ببراءة يوم الأحد الطاهرة
ببراءتنا الضائعة
وصحتنا المفقودة ٠

فى العيون الرهيفة للطيور
سوف يبقى طيف السهول بخشخاشها القرمزى
والفيض الذهبى للشعير ٠

وفى نوافذ صغيرة على الشاطىء
سيزهر الحب والجيرانيوم من جديد
وسيأتى مسيح طفل ليأخذ بيدنا

ونلعب حتى المساء تحت الزنابق
مع اللقالق ونسيم البحر والشمس .

وعندما يحل الليل سنقفز الى زوارق بيضاء
وبشباك صيادين توارتيين محزونين
سوف نصيد القمر المائى
ونستلقى معه فى هدوء
فنبهج نومنا بملائكة صامتين
لم يتعلموا بعد الضحك والبكاء
بل الابتسام ــ وحده ــ فى حلم خلق لم يولد .

جزر ذات أشجار صامتة فى مساء الصلوات
حمامات السلام هناك ساكتة
ونحن صامتون أثناء جمع ورود النهار
فيما يسقط ظل المساء على الصفحة البيضاء
حيث نقتفى أثر الحياة بجوار الشاطىء .

لن نقرأ ما كتبناه
سنرفع عيوننا فى انتظار المجرة الساقطة
خلف شجرة لوز من غيم أبيض
يتمشى فوق البحر .

يأتى ــ من جديد ــ الموسم
الذى لا يعرف الزمن ولا الندم .
صوت صاف لماء ساكن
ضوء خطى الصيادين على الرمال
الأطفال نائمون فى القوارب
والملائكة يستحمون فى أحلامهم .

رائحة عشب ونكهة نجوم
سلاسل الجبال تذوب بعيدا فى السماء المتلألئة ٠

أيدينا المتعبة تنضح ندى عذبا
وشعرنا معطر بظل حزن الأمس ٠

العالم بلا حدود ، يا أمى

القيثار العظيم للشفق
رحل فى الغابة الكثيفة الظلال
غيمة وردية تشتعل فى حريق الغروب ٠

يقبض الرب هذا اللون
لعلنا نعرف عقلنا
ذلك الذى انهزم لكنه لا يعرف الخضوع ٠

سنحتاج الى ذلك التعاطف البعيد
الذى يقاسى من أجل ما فسد
محافظا على الحلم بالاستقامة ٠

يمر المساء على الشاطىء المهجور
وجرة الرماد على كتفه العارى ٠

على وجهها المتأمل أشرقت بسمة .
تغذى ضالتنا المنشودة ، تغذى سهرنا
وهى توجه الوحى المجيد لمصيرنا ٠

فى هذا المساء يستنشق الكون
أريج بذرة الرب اليقظان ٠

نروى الجذور من النبع الأبدى
الذى يتفجر من أعماق الليل
ويملأ جماجم الموتى بالورود ·

أضىء الأنوار على الأرصفة البعيدة
وطرز البحر النائم بالنجوم
ولترفع الأيدى السليبة ·

صمتها يتخذ صوتا ·
حيواتها دائما كل ما مضى ·
هنا لا طيران ولا فناء ·

أغنية المساء فوق البحار
مصحوبة بغياب الأشياء
التى تزهر فى الدائرة الأبدية
للصمت والحب ·

البحر يحدق فى وجهه
فى البحر ·

فلتأخذ المثل المقهورة
خذ المعرفة التى غضنت حواسنا الشابة ·

خذ الهدوء العقيم
الذى يبقى متعبا على الصخر
فيبنى معبده ومقبرته
بأخشاب سفننا القديمة

ولتدع لنا غبطة الليل وحدها
عندما تنتظر الأمهات على الباب المزهر
أطفالهن الغريبين الخارجين على الترويض

الذين أضاعوا وجبتهم المسائية
الذين يسبحون عرايا طوال اليوم
الذين يبحثون عن أعشاش النوارس
وينطقون طوال الليل بكلمات لا نعرفها
عن السفن والغيوم والملائكة
عن ملائكة مجانين يعيشون فى سلاسل مرجان قرمزى
عن ملائكة جميلات مخطوبات للبحر
والرب المنكر لذاته يعزف على أبواق مسحورة
مصنوعة من عظام شعراء محطومين ٠

دع لنا غبطة الليل وحدها
حينما يصيد الأطفال من أجل النجوم
فى زوارق بيضاء كالثلج
حينما يواجه المراهقون العرايا الجميلون
الجمال فى العيون بلا شكوك أو خوف ٠

أعد لنا قوارب الورق
لعلنا نرسو فى الميناء المعهود لبيتنا الأول ٠

وسوف نركع — برهة — على الرمال
وسوف نصلى أمام ظلنا الذى لا يركع
فيما عذراء البحر الحزينة
ستفتح — فى هدوء — باب الكنيسة
وتأتى لتقبل شعرنا المبلول بندى النجوم العذب
بندى الصمت والليل ٠

لكننـا سنرفض من جديـد
قبلـة الحب التى تسترضى وتأسر .

مجهولـين فى المجهـول
فاتنين لا نعرف الخضوع
سوف نرتحل ـ أبدا ـ فى غابـات القمر الفضيـة
فى الجزر الوحيـدة للنجوم
دون أن نعرف ربـا
دون أن نعثر على رب
مثل نبض الألوهية الذى ـ فى خلقه ـ يدمر ذاتـه .

مينـاء ليـلى
أضـواء غريقـة فى الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابـط تضاء بالتعاقب
من الأضـواء العابرة لسـفن بعيـدة
ثم تغوص فى ظـلال الرحلة الأبـدية
أشرعـة مزينـة بمصابيح الحلـم
مائلة مثـل أجنحـة مكسورة لملائـكة آثمين
جنود بخوذات بين الليـل ونيران الفحـم
أيد جريحـة كالاعتذار الذى جاء بعد الأوان .

نـار كبيرة على القمـة
تحرق قلب الظـلال .

سـجناء مربوطون الى المراسى
فى الوهـج الأحمر
سلسلة محكمة حول عنق الأفـق
وحول أيدى الفجر التى تجمل زهرة الربيـع .

اللون يرحـل عن وجـه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثـال
ليـدخـل ، فينـال المجد والسـكينة ٠

أخـوتى وأخـواتى
كيف يمكن أن أبقى بعيدا عنـكم ؟

البحر ، البحر
الكتب لا تجيب عن السـؤال
والسـؤال لا يـداوى الجـرح ٠
من جرحنـا يبـــدأ البحر ٠

أحـلام الرحـلة
عند منحنى الدمـوع الأخـير

من يطرد الشمس عن شـعر الأطفـال
عن قلبنـــا العظيـــم ؟

ارفعـوا الأشرعـــة
ارفعـوا المرســـاة ٠
هيـــا والموانىء القديمـة تنزلق بعيـدا
هيـــا والفجر يشرق بكل دموع أسـلافنا ٠

سلسلة لا تليق بكاحـل البحر
سلسلة لا تليق بقلب بحرنـــا ٠

وداعـــا للحب والبـــلاد ٠
طيور البحر فى الضـــوء والملوحـــة
نحلم بالارتحالات فى شراع كامــل
آذاننـا ليست صماء عن أصـوات السيرينـات
وعيونتـــا يقظانـــة ٠
ما من دخـان ولا ايشـاكا ٠
ما من أفــق آخر وراء الآفـــاق ٠

أغنيـــة البحر الأبديـــة تجيب على الفراغ
وتملأ خـواءه بقلب وشمس ٠

آه ، ليـــال عاصفـــة
ريـاح قويـة مندفعـــة فى عنف
زبـد على زجـاج النافـــذة
مصابيـح داخنـة فى بيوت الصيادين
مخاوف الفتيـات الحزانى
رتـق الجوارب للمنفى
منـارة سهرانة مع عيون الأمهات
والبحر لا يرحـم ولا نهائى كعقـل الرب.
يمتلك الرقـة ولم يروض مثـل قلوب الشـعراء ٠

أشباح القباطنـة الغرقى
غلايينهم ما تزال فى أفواههم
يطفون على ومضـات البرق
سـفن غريقـة راجعة الى موانىء الليـــل
والطاقـــم الضائـع واقف خارج الأبواب الموصـدة
ينتظرون
يبحثون ــ صـامتين ــ عن حيواتهم

يحلوق صورا استوائيـــة
سهولا لازوردية وزنـابق هائـلة
ونســاء عرايـــا من أبنوس ٠
يولولن بـنـلا بصر

لكننا ، نحن الذين تكلمنا ساعات مع البحر
نحن الذين نحمل في شفاهنا دائما
مذاق الرحلة العذب القوى الجديـد
نتقبـل هبات الموت الأبـــدية ٠

وعندمـــا تلعن الأمهات البحر
ويتمشى القباطنـــة العجائز قلقين في غرف موصـــدة

نفتـــح نحن الأبـــواب
نركض الى الصخور العاليـــة
ونطلق صيحتنـــا في الليـــل
تاركين العاصـــفة وراءنـــا
ناسين الخبز والمدفـــأة
لنبرد جبيننـــا المحموم
بغضبـــة البحر الواســـع ٠

أيها البحر ، البحر
مثلما نحن معك ، فلتكن معنـــا
لن نستسـلم لليـــل
وللنـــوم ٠

لـن نتبـاهى بالصراخ :
لقـد كسبنـا النصر الى الأبـــد ٠

فرح العاصفة
السكينة
الرحيل
فرح الارتحال الأبدى
فلتنطفىء الأضواء على الشاطىء
لعلنا ندخل قلب المحيط
ترنيمة أمواج الليل التى لا تتقد
بينما الرب من عليـاء عزلته الشاسعة
يقذف اجتراءنا بالصخور مع الأحلام المشرقة -

أيها الألم اللانهائى أيها الفرح باتساع العالم
نار كونية
تلك التى تحرق شعر الليل الأسود
تضىء الفجر عاليا فوق أشرعة بيضاء
فوق صوار عالية
حيث يصعد الشعراء ليمجدوا الوجه الجديد للرب
المنعكس — وهو يبتسم — في الماء
فى اطار من نورسين منتشيين ·

أيتها الشمس ، الشمس
التى تصبغ البحر بالدماء
عاريا أقدم نفسي للهيبك
لتضىء عيون الناس ·

أمهاتى ، أخواتى
أنصتوا الى صوتكم ، صوتى
أنصتوا الى أغنية الشمس والبحر ·



روميوسيني

(١)

هذه الأشجار لم تخلق لسماء أقل ،
هذه الأحجار لم تخلق لخطى الغرباء ،
هذه الوجوه لم تخلق الا من أجل الشمس ،
هذه القلوب لم تخلق الا من أجل العدالة .

مكان قاس كالصمت ،
يضم الى صدره أحجاره الحارقة ،
يعانق في الضوء أشجار الزيتون والكروم اليتيمة ،
وينشب فيها أسنانه .
لا ماء — ضوء وحده .
تلاشى الطريق في الضوء
وظل الحائط من حديد .
الأشجار والأنهار والأصوات تحولت الى رخام في كلس
الشمس .
الجذور تطفر على الرخام .
وحقل العدس يغطيه الغبار .
بغال وأحجار . يلهثون . لا ماء .
الكل ظامىء . منذ أعوام .
الكل يمضغ كسرة سماء ليكبحوا مرارتهم .

عيونهم محتقنـــة بالدم من السهر
وبين حواجبهم خط عميق محفـور
كشجرة سرو بين جبلين عنـد الغروب .

أياديهم ملتحمـة ببنـادقهم
وبنـــادقهم امتـــداد لأذرعتهم
وأذرعتـهم امتـــداد لأرواحـهم ـ
على شـفاههم يرقـد الغضب
والألم ـ في أعماق عيونهم ـ يشبه نجمة في حفرة ملح،

عندما يشدون قبضتهم ، تصبح الشمس واثقة من العالم
عندما يبتسمون ، يطير سنونو صغير من لحاهم الوحشية
عندما ينامون تتساقط اثنتا عشرة نجمة من جيوبهم الحاوية
وعندما يقتلون ، تندفع الحياة الى أعلا بالطبول والرايات .

لسنوات طويلة جاع الجميع ، عطش الجميع ، قتل الجميع
حوصروا بالأرض والبحر ،
أهلك القيظ الحارق حقولهم ، والملوحة غمرت بيوتهم
خلعت الريح أبوابهم وأشجار الزنبق القليلة في الميدان
يجيء الموت ويمضي خلال ثقوب معاطفهم
وألسنتهم لاذعـة مثـل مخروط السرو
نفقت كلابهم والتحفت بظلالها
والمطر يـدق على العظام .

متسمرين في مواقع الحراسة ، يدخنون روث البقر والليـل
ويراقبون البحر الثلجي
حيث غاص صاري القمر المكسور .

نفـد الخبز ، نفـدت الذخيرة
والآن يحشون مدافعهم بقلوبهم :

طوال سنوات حوصروا بالأرض والبحر
جاع الجميع ، قتل الجميع ، وما مات أحد ـ
في مواقع الحراسة تتوهـج عيونهم رايـة شاسعة ،
حريقا هائلا يشتعل بالاحمرار ·

وفي كل فجر تنطلق ألف حمامة من أياديهم
نحو البوابـــات الأربـــع للمـــدى ·

(٢)

وكل مرة يهبط الليل فيها بالزعتر المحروق على صدر الحجر
تسقط قطرة ماء ، تحفر منذ عصور فى جوهر الصمت
والجرس المدلى من شجرة الدلب العتيقة ينوح على السنين ·
تنام الشرارات فى رماد الخراب
والأسطح تتأمل الزغب الملون على الشفة العليا لشهر يوليو ـ
زغب أصفر كشعيرات كوز الذرة التى دخنها حزن الغروب ·

السيدة العذراء مرمية وسط الآس بثوبها الفضفاض المبقـع
بالعنب ·
وفى الطريق طفـل يبكى والسهل يرد عليـه بشاة فقـدت
صغارهـــا ·

ظل على النبع · والماء فى البرميل بارد ثلجى ·
ابنة البيطار بقدمين مبلولتين ·
خبز وزيتون على المائـــدة ،
ومنارة المساء تتوهـج فى تعريشة الكروم

وعاليا هناك ، تبث المجرة ــ وهى تدور على سفودها ــ
نكهة الدهن والثوم والفلفـــل الحـار •

آه ، كم من حرير بلمعان النجوم سنحتاج اليـــه
لنطرز بابر الصنوبر « هذا ، أيضا ، سوف ينقضى » على جدار
الصيف المحروق
ما أطول ما ستغتصر الأم قلبها على مذبحة أبنـائها السـبعة
الشجعان
قبل أن يجد منفذا الى طريق روحها الشاهق ؟

هذه العظمة التى تبزغ من الأرض
تقيس الأرض باردة باردة وأوتار العود
والعود والكمان من المساء الى شروق الصباح
يرويان حزنهما الى النعناع وأشجار الصنوبر
والحبال ترتعش على السفن كالأوتـــار
والملاح يشرب البحر المرير من كأس أوديسيوس •

آه ، فمن الذى سيسد المدخـل اذن ، وأى سـيف سـيقطع
الشجاعة
أى مفتاح سيوصد القلب ، ونوافذه مفتوحة على اتساعها
كأنها تشاهد حدائق الله المبذورة بالنجوم ؟

رائعة هذه الساعة ، كليالى السبت فى مايو، فى حانة البحارة
رائعة هذه الليلة ، كالمقلاة على حائط السمكرى
رائعة هذه الأغنية ، مثل الخبز فى عشاء صياد الاسفنج •
وهناك ، يندفع القمر الكريتى على الحصى وسط التلال
دقة دقة ، بعشرين صفا من قطع الحديد فى نعل الحذاء

وهنـاك يكونون ، هؤلاء الذين يصـعدون ويهبطون سـلالم
« نافبليون »
وهم يحشون غلايينهم بأوراق الظلام الخشنة ،
شواربهم زعتر من روميلي مبذور بالنجوم
وأسنانهم مثـل جـذور الصنوبر فى الصخر وملـح البحر
الايجى •
فى الأغلال ذهبوا وفى النار ، تحدثوا مع الأحجار
واستضافوا الموت الى « الراكى » فى جمجمة أجدادهم ،
فى نفس باحة الدراس ، قابلوا « ديجينيس » على العشاء
ليقطعوا حزنهم اثنين ، تماما كما يكسرون على ركبهم أرغفتهم
الحـاف •

تعالى ، ياسيدة الأهداب الملحية ، والأيدى الملطخة بالدخان
من رعاية الفقراء ، ومن السنوات الطويلة —
فالحب ينتظرك وسط الأسـل
وفى كهفه تعلق النوارس أيقونتك المسودة .
وقنفذ البحر المرير يقبل أظافر قدميـك •

وسط الأعناب السوداء للكرمة يفور العصير أحمر زاهيا
يفور التوت فى العشب الشوكى المحترق
فى الأرض ، يطلب جذر الشجرة الميتة الماء ليثمر شجرة تنوب
وأم تحتفظ بسكين عميقا تحت تجاعيدهـا •
تعالى ، أيتها السيدة التى ترقد على البيض الذهبى للرعد ،
ففى يوم بزرقة البحر ، ستزيحين وشاحك وترفعين السـلاح
من جديـد
من أجل أن يضرب برد مايو جبينـك
من أجل أن توزعيها حبة حبة على أيتامك الاثنى عشر
من أجل أن يتوهج البحر في كل مكان كحد السيف وثلـج
أبريـل .

من أجل أن يظهر السرطان على الحصى ليشمس نفسه ويعقد مخالبه ٠

(٣)

عاليا هنا، لا تستنزف الشمس زيت عيوننا ولو لبرهة واحدة
عاليا هنا ، تحمل الشمس عنا نصف ثقل الصخرة
التي كنا نرفعها دائما على ظهورنا ٠
قرميد السقف ينكسر بلا نفس تحت ركبة القمر
والناس يسيرون أمام ظلالهم كالدلافين أمام قارب «سكياثوس»
وظلهم يصبح ــ بعدئذ ــ نسرا يصبغ جناحيه في الغروب
ليجثم ــ بعدئذ ــ على طرفيه ويتأمل النجوم
حينما تستلقى على الحجرة الشمسية وسط الأعناب السوداء٠

عاليا هنا لكل باب اسم محفور عليه ،
اسم عمره حوالى ثلاثة آلاف عام
كل صخرة مرسوم عليها قديس بعينين وحشيتين وشعر يشبه الحبال
كل رجل له حورية موشومة على ذراعه الأيسر ، غرزة غرزة
كل فتاة لها قبضة من ضوء ملحى تحت جونلتها
وللأطفال خمسة أو ستة صلبان صغيرة موجعة على قلوبهم
كآثار النوارس على رمل الأصيل ٠

لا ضرورة لأن تتذكروا ٠ فنحن نعرف ٠
كل الآثار تفضى الى طوابق الدراس العليا ٠
والهواء ــ عاليا هناك ــ قارص ٠

عندما يبلى الرسم الجصى المينوى للغروب في البعيد
وتذوي النار في مخازن التبن على الشاطيء

تتسلق النسوة العجائز هذا البعيد على درجات منحوتة فى الصخر
يجلسن على الصخرة العظيمة ويغزلن البحر كخيط بعيونهن
يجلسن ويحصين النجوم كأنهن يحصين ميراثهن من الفضيات
ويهبطن آخر النهار ليطعمن أحفادهن بارود « ميسولونجى » ٠

نعم ، حقا ، فالمكبل له مثل هذى الأيدى الحزينة فى الأغلال
لكن حاجبه يضطرب فوق عينه المريرة كصخرة توشك دائما على الانفلات ٠
ترتفع الموجة من الأعماق فلا تبالى بالتوسلات
ومن الأعالى ، يهب الهواء منحدرا بالراتينج فى شريانه والمريمية فى رئتـه ٠

آه ، سيهب ذات مرة ليجرف أشجار البرتقال من الذاكرة
آه ، سيهب مرتين كى تطلق صخرة الحديد شرارة مثل كبسولة التفجير
آه ، سيهب ثلاث مرات ليدفع بغابات التنوب فى « لياكورا » الى الجنون
ويوجه ضربة بقبضته فيطيح بالطغيان
ويهز دب الليل من حلقة أنفه فيرقص لنا « التساميكو » فى المتاريس
ويعزف القمر لنا على الدف الى أن تمتلىء شرفات الجزر
بحشود الأطفال الناعسين وأمهات « سوليوت » ٠

يجىء كل صباح رسول من الوهد العظيم ،
على وجهه تشرق الشمس الجميلة
يتقدم تحت سلاحه ـ فى تصميم ـ الى « روميوسينى »
كما يتقدم العامل الى ذروته فى كنيسة ٠
آن الأوان ، يقول ٠ فلتستعدوا ٠
فكل ساعة لنـا ٠

(٤)

بكبرياء الجائع زحفوا ـ أماما ـ الى الفجر ،
ونجمة تكشفت فى عيونهم الساكنة
وعلى أكتافهم حملوا الصيف الجريح ٠

مر الجيش من هنا ، والرايات ملتصقة بالأجساد
والعناد مغروس فى أسنانهم مثل كمثرى برية نيئة
برمل القمر فى أحذيتهم العسكرية
وغبار فحم الليل ملتصق بآذانهم وأنوفهم ٠
شجرة شجرة ، صخرة صخرة ، مروا خلال العالم
مروا ـ حاملين الشوك وسائد ـ خلال النوم
وبين أيديهم الظامئة جاءوا بالحياة مثل نهر ٠

مع كل خطوة كانوا يكسبون فرسخا من سماء ـ كى يتخلوا
عنه ٠
فى مواقع الحراسة كانوا يتحولون الى سكون الحجر مثل
أشجار محترقة
وعندما رقصوا فى الميدان
ارتجت أسطح البيوت وقعقعت الأوانى الزجاجية فى الرفوف٠

آه ، أية أغنية هزت ذرى الجبال ـ
وضعوا بين ركبهم طبق القمر وأكلوا
سحقوا آهة فى أعماق قلوبهم
كما يسحقون قملة بين ظفريهم السميكين ٠

فمن سيجىء لكم الآن برغيف خبز دافىء فى الليل كى تطعموا
أحلامكم ؟
من سيحرس زيز الحصاد ـ فى ظل شجرة زيتون ـ
لئلا يهوى الى الصمت

وقت أن يدهن طلاء الظهيرة جدار الأفــق المحيط
فيطمس أسماءهم الرجولية العظيمـــة ؟

هذه الأرض التى كانت تفوح بالأريج فى الفجر
هذه الأرض التى كانت لنـــا ولهم ــ دمهم ــ أى عبير كانت
تمنحـــه ! ــ
كيف أوصدت الآن دوننا أبواب كرومنا
كيف ذوى الضوء على السطوح والأشجار
من يحتمل أن يقول أن النصف يرقد ــ الآن ــ تحت التراب،
والنصف الآخر فى الأغـــلال ؟

بكل هذه الأوراق تقول الشمس لكم « صباح الخير »
بكل هذه الرايات تشرق السماء ،
غير أن هؤلاء الرجال فى الأغلال وأولئك تحت التراب .

فلتصمتوا ــ ففى أية لحظة سوف تدق الأجراس .
هذه الأرض لهم ولنـــا .
وتحت التراب ، يمسكون بحبل الجرس
بأياديهم المعقودة ، فى انتظار الساعة ،
لا ينامون ، أبدا لا يموتون فى انتظار دق جرس النشور .
هذه الأرض أرضهم وأرضنـــا ــ
ما من أحد يستطيع أن يأخذها منـــا .

(٥)

فى الأصيل جلسوا تحت أشجار الزيتون
ينخلون الضوء الرمادى بأصابعهم القاسـية

فكوا أحزمة الخرطوش وحسبوا كم من العناء يمكن أن يتسع له
ممـر الليـــل
كم من المرارة فى عقـد الخبازى البريـة
كم من الشجاعة فى عيون الولد الحافى الذى كان يحمل الراية
عاليـــا ٠

فى السهل ، مكث السنونو الأخير طويـلا ،
كان يتأرجح فى الهواء مثل شريط أسود على كم الخريف ٠
لم يبق شيء آخر ٠ البيوت الخربة ـ وحدها ـ تحترق ٠
وأولئك الراقدون تحت الأحجار رحلوا عنا منذ زمان ،
قمصانهم ممزقة وقسمهم مكتوب على الباب المتهاوى ٠
ما بكى أحد ٠ لم يكن لدينـا وقت ٠ لكن الصمت سرعـان
ما اتسـع
والضوء الساقط على الشاطئ كان ناعما وأنيقـا
مثل التدبير المنزلى للمرأة المقتولة ٠

ما الذى سيحدث لهم الآن عندما ينسرب المطر الى الأرض
مع الأوراق العطنة لشجر الدلب
ما الذى سيحدث عندما تجف الشمس على بطانية الغيمة
مثــل بقــة مسحوقة على سرير أحد الفلاحين
حينما يقف لقلق الثلوج محنطا على المدخنة فى المساء ؟
الأمهات العجائز ينثرن الملـح على النـار ، يهلن التراب على
شـــعرهن
يقتلعن كروم « مونيمفاسيا » لئلا تسكر حبة عنب واحدة فم
عــــدو
يضعن عظام أجدادهن فى كيس مع الفضـيات
ويهمن خارج جدران وطنهن
بحثا عن مكان يغرسن فيه جذورهن فى الليـــل ٠

سيكون من الصعب علينا الآن أن نجد كلمات أقل قوة
أقل صخرية من كلمات شجرة الكرز –
تلك الأيدى التى بقيت فى الحقول أو على الجبال أو تحت البحر
لا تنسى –
سيكون من الصعب علينا أن ننسى أيديهم
من الصعب على الأيدى التى تصلبت على الزناد أن تبحث عن
زهرة اللؤلؤيـــة
أن تقدم الشكر على الركبتين ، على كتاب ، على صـدر نجمة ·
سوف يستغرق وقتا · وعلينا أن نرفـع صوتنـــا ·
الى أن يجدوا خبزهـــم وعـدلهم ·
مجدافان تسمرا فى الرمل ، عند الفجر ، فى العاصفة ·
أين القـــارب ؟
محراث مغروس فى الأرض والريح تهب · الأرض احترقت ·
أين الفـــلاح ؟
شجرة الزيتون والكروم والبيت – رمـــاد ·
ليـلة قارصة فى حـذاء مزارع ·
أوراق غار جافة فى دولاب الحائط – لم تلمسها النيران ·
براد شـاى مسود فى الموقد – والماء يغلى وحـده فى البيت
المغلـق ·
لم يكن لديهم أى وقت للأكل ·

على مصراع الباب شرايين الغابة – الدم ينساب فى الشرايين ·
وهناك الخطوة المألوفـة · من يكون ؟
الخطوة المألوفة بمسامير الحذاء ، تصعد ·
زحف الجذر فى الصخر · شخص ما قادم ·
كلمة السر، التوقيع الموثق · شقيق · مساء الخير ·
بذلك – اذن – سيجد الضوء أشجاره
والشجرة ستجد – ذات يوم – ثمرهـا ·
دورق الرجل الميت ما يزال به ماء وضوء ·

مساء الخير ، يا أخى • أنت تعرف • مساء الخير •
وفى كوخها الخشبى تبيـــع السيدة العجوز « غروب » خيطا
وتوابـــل •
لا أحد يشترى • فهم تحولوا الى الأرض العليا •
ومن الصعب عليهم الآن الهبوط •
بل من الصعب أن يبوحوا بارتفاعهم •

وفى طابق الدراس ، حيث تناول الشبان الشجعان عشاءهـم
ذات ليـــلة ،
تبقى هناك نوى الزيتون والدم الجاف للقمر
مع المقياس الشعبى للبنادق •
فى اليوم التالى ، أكلت العصافير فتات خبز العسكر ،
ومن الكبريت الذى أشعل سجائرهـم ومن أشـجار زعرور
النجوم صنع الأطفال اللعب •

والحجر الذى جلسوا عليه تحت أشجار الزيتون
فى الأصيل ، فى مواجهة البحر ،
سوف يتحول غدا الى طلاء فى الأتـــون ،
وبعد غد سنطلى بيوتنا وعتبة « سانت سافيور »
واليوم التالى ، سنبذر البذور حيث ناموا
وسوف تنبثق براعم الرمان مثل الضحكة الأولى للطفل على
صـــدر الشروق •
وسنجلس ــ فيما بعد ــ على الحجر لنقرأ قلوبهم جميعا
كأننا نقرأ ــ للمرة الأولى ــ تاريخ العالم •

(٦)

هكذا ، مع الشمس فى صدر البحر ، وهي تصبغ الثوب المقابل للنهار ،
فان صاعقة وعذاب العطش احتسبا ضعفين وثلاثة أضعاف
والجرح القديم احتسب من البداية
والقلب احترق في القيظ مثل بصل « ارجيف » أمام الدور .

أكثر فأكثر تشابهت أيديهم والأرض
أكثر فأكثر تماثلت عيونهم والسماء .

جرار الزيت الطينية خاوية . بعض الثفل فى القاع . والفأر الميت .
شجاعة الأم نزفت مع الجرة الطينية والصهريج .
ولبان الخراب لاذع بالبارود .

فأين ستجد الآن الزيت لقنديل « سانت باربرا »
والنعناع لتبخير أيقونة المساء الذهبية .
كسرة الخبز لليلة المتسولة لتعزف لنا غنوة النجم على كوكبة القيثارة .
فى حضن مرتفعات الجزيرة ، تحولت الكمثري والبرقوق الشوكى الى أشباح .

حرثت الأرض بطلقات المدافع والقبور .
المواقع الرئيسية المدمرة ترقعت بالسماء . لاغرفة أبدا لموتى آخرين .
لا غرفة للأحزان كي تتوقف وتجدل شعرها .
وخلال محجر العين الخاوى ، تبصر البيوت المحترقة البحر الرخامى فى البعيد
والرصاصات مغروسة فى الجدران
كسكاكين فى ضلوع القديس المربوط فى شجرة السرو .

طـوال النهار ، والموتى يشمسـون أنفسـهم ، ممددين على
ظهورهـم .
وعنـدما يحل المسـاء يجرجرهـم الجنود على بطونهم فوق
الصخور المسودة ،
فيبحثون بأنوفهم عن الهواء خارج الموت
يبحثون - وهم يمضغون قطعة من نعال - عن حذاء القمر ،
يضربون الصخور لتفرج عن قطرة ماء
لكن الجدار - فى الجانب الآخر - أجوف
يسمعون من جديد قذيفة المدفعية المنطلقة تسقط فى البحر
ويسمعون مرة ثانية صراخ الجرحى أمام البوابـة .
فالى أين تمضى ؟ فأخوك ينـادى عليـك .

الليل - فى كل مكان - مشيد من ظلال سفن أجنبية .
الطرق مسدودة بالجدران المهدومة .

فى اتجاه المرتفعات وحدها ما يزال الطريق مفتوحا .
يلعنون القوارب ويعضون ألسنتهم
ليحسوا بالألم الذى لم يتحول بعد الى عظام

على المتاريس يقف القادة المذبوحون يحرسون الحصن .
وتحت ثيابهم تبلى أجسادهم . هيه ، يا أخى ، ألم تتعب ؟
الرصاصة فى قلبك تبرعمت ،
خمس زنابق نبتت تحت ابط الصخرة الجافة ،
نفسا نفسا يروى الأريج العذب الحكاية الخرافية - ألا تتذكر ؟
لدغة لدغة ، يحكى لك الجرح عن الحياة ،
وزهرة الكاميليا التى تبرعمت من أقذار اظفر قدميك
تحكى لك عن جمال العـالم .

تتعلق باليد • انها يدك ، ملحية رطبـــة •
والبحر بحرك • عندما تنتزع شعرة من رأس الصمت
يقطر لبن شجرة التين مرارة • أينما تكون تراك السماء •

ونجم المساء يلف روحك كسيجارة بين أصابعه
فيمكنك تدخين روحك ، وأنت تستلقى على ظهرك
مبللا يدك اليسرى في الليل الواضح ، ذى النجوم
واذ تلصق يدك اليمنى ببندقيتك ، خطيبتك ،
تذكر أن السماء ما نسيتك أبـــدا
عندما تأخذ رسالته القديمة من جيبك الداخلى
وتقرأ ـ فيما تفتح القمر بأصابعك المحترقة ـ عن الشجاعـة والمجـــد •
سوف تتسلق ـ فيما بعد ـ الطريق صاعدا الى نقطة مراقبـة الجزيرة
وباستخدام نجمة ـ ككبسولة تفجير ـ تطلق قذيفة فى الهواء
فـوق الجـدران والصوارى
فوق الجبال التى انحنت كجنود جرحى
كى ترعب الأشباح وتدفعهم الى مكمن الظل ـ
ستطلق قذيفـة مباشرة الى صـدر السماوات لتصيب درع الزرقـــة
كأنك ستعثر فى قميصها على حلمة المرأة التى سترضع طفلك غـــدا
كأنك ستعثر ـ بعد مرور الأعوام ـ على مقبض بـاب بيت أســـلافك •

(٧)

البيت ، الطريق ، الكمثرى البرية ، الدجاجات التى تنقر لحاء الشمس فى الباحة •
تعرفهم ويعرفـــونك •

وهنا فى الأسفل وسط العليق ، بدلت حية الشجرة جلدها
الأصفر

هنا فى الأسفل جحر النمل وبرج النحل بمعاركه الكثيرة ،
وفى نفس شجرة الزيتون قوقعة زيز العام الماضى ،
وصوت زيز هذا العام

فى حقول العدس، ظلك الذى يتبعك مثل كلب صامت ، يعانى
طويلا ،

كلب وفى - يجلس فى الأصيل بجوار نومك الأرضى ويتشمم
الدفلى ،

وفى المساء ، يلتف على قدميك ويرقب احدى النجوم .

هناك ، صمت الكمثرى التى تنمو على سيقان الصيف
نعاس الماء وهو يتسكع حول جذور شجرة الخروب -
نبع له ثلاثة أيتام على مريلته
ونسر يموت فى عينيه
وعاليا هناك ، خلف غابة الصنوبر
تذوى كنيسة « سان جون » بالقرية
مثل قطرات العصفور البيضاء التى تجففها الشمس على ورقة
توت عريضة .
وهذا الراعى الذى التف فى جلد الغنم
له نهر جاف فى كل شعرة من جسده

له غابة بلوط فى كل ثقب من نايه
وعصاه لها نفس العقد كالمجداف الذى كان أول ما ضرب
زرقة « هيلليزبونت » .

ليس عليك أن تتذكر . فشريان شجرة الدلب له دمك .
والجزيرة زنبق وكبر
فى ذروة الظهيرة يجهر البئر الصامت
بصوت دائرى من زجاج أسود ودبح بيضاء

مستدير كجرار طينية قديمة ـ نفس الصوت القديم •
وفى كل ليلة ، يقلب القمر الموتى على ظهورهم
يفتش فى وجوههم بأصابعه الثلجية عن ابنه
ذى الجرح فى ذقنه ورموشه الحجرية
يفتش جيوبهم • فسيجد دائما شيئا ما • دائما ما نجد
شيئا ما •
مفتاح ، خطاب ، ساعة توقفت على السابعة • نملأ الساعة
من جديد •
وتنطلق الساعات •

وعندما تبلى فى الغد ثيابهم ، ويبقون عرايا وسط أزرارهم
العسكرية
مثل كسرات سماء وسط نجوم الصيف
مثل النهر بين شجيرات الغار ،
مثل الممر الملتوى بين أشجار الليمون فى أوائل الربيع ،
آنئذ ، قد نعثر على أسمائهم ونهتف : اننا نحب •
آنئذ • • لكن من جديد ، قد تبدو هذه الأشياء بعيدة ،
لكنها مع ذلك قريبة تماما ، مثلما تشد على يد فى الظلام
وتقول :
« تصبح على خير » •
بالشفقة المريرة للمنفى حينما يعود الى وطنه
فلا يتعرف عليه حتى أهله لأنه عرف الموت

وعرف الحياة قبل الحياة وفيما وراء الموت
ويتعرف عليهم • ليس مرة فى الغد ، يقول

وهو على يقين من أن الطريق الأطول هو الأقصر الى قلب الرب٠

وساعة أن يقبله القمر في أسى على رقبتـــه ،

وهو ينفض رماد سيجارتـه عبر سياج الشرفة ، قد يبـكى بسبب يقينـــه

قد يبكى بسبب يقينه فى الأشجار والنجوم والأشقاء ٠

أثينا : ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧



من شهادات

* عملية

كان يتجرد يوما بعد يوم ·
خلع ثيابه أولا ،
ملابسه الداخلية فيما بعد ،
جلده بعد ذلك ،
وبعده لحمه وعظامه ،
الى أن تبقى – في النهاية – ذلك الجوهر البسيط ، الدافىء ، النظيف ،
الذى يشكله – خفيا وبلا يدين –
أباريق صغيرة وقصائد وناسا
ربما كان – هو نفسه – واحدا منهم ·

* منظور

بيوتنا مبنية أعلى بيوت أخرى ، فى صف ، من رخام ،
وأولئك أعلى بيوت أخرى ·
أقيمت أساساتها فوق رؤوس تماثيل منتصبة ، بلا أيد ·
لهذا ، فمهما كان انخفاض أكواخنا فى السهل ،
تحت أشجار الزيتون لتتحامى بها ،
صغيرة ، مسودة من الدخان ، وبجانب الباب ابريق وحيد ،

فانك تتخيل أنك تسكن عاليا ، وحولك يتلألأ الهواء ،
او تتخيل أحيانا أنك خارج البيوت ،
أنك بلا بيت ،
وأنك تتخذ طريقك عاريا متصلبا ،
وحيدا تحت سماء زرقاء ـ بصورة زائدة ـ أو بيضاء ،
و ـ عرضا ـ يلمس تمثال بخفة كتفك بيده ٠

* ماء وطين

انحنى فوق البئر ـ دائرة من ظلام ،
ظلام بارد يتلألأ ٠
وهناك ، فى المركز ، وجهه المضيء محصور ٠
آنئذ رمى الدلو وسحب الماء ٠ كان عطشانا ٠
شرب ٠ لم يكن فى الماء أحد ٠
هل يمكن أن يكون ـ فى عطشه ـ قد شرب وجهه ؟
سيحتاج الآن ـ على الأقل ـ الى قناع يشبهه
(والا فكيف سيعيش وسط الكائنات الانسانية ؟)
أخذ ماء وطينا ، عجن الطين بعناية ،
لكنه لم يعد يستطيع تذكر شكل وجهه ٠
نظر الى يديه ، ـ
طين يتدلى ـ أحمر لامعا ـ من أصابعه ٠

* أصيل

الدجاج ما يزال ينقر فى الطريق ٠
وزوجة القبطان العجوز جالسة فى الباب
تحمل حفيدها فى حجرها المفتوح ٠
طفل يحمل سلة ٠
البيوت العشوائية تواجه الغروب ، بجذوعها القديمه .

وأسرتها ومناضدها الحديد ـ وصورها المؤطرة ٠
الملاءات تنشر تاريخها في مستطيلات عريضة ٠
البحر غير مسموع ٠
ويد كبيرة خفية ترفع المقاعد شبرين فوق الأرض ٠
كيف يعيش الناس بلا شعر ؟

* مهندس معماري

مجموعة فتيات في ثياب وردية
يضحكن في ركن البيت المهدوم ٠
البناءون يعلقون بنطلوناتهم وقمصانهم في مسمار بالمبنى الجديد ،
يأخذون لوح الملاط ، والمسطرين
ويصعدون السقالات الكبيرة ، العارية
كأنهم يصعدون الى السماء ٠
والمهندس يحسب ، يتذكر ، يقارن ، يراقب ،
ينظر باكتئاب ، كأن تخطيطه قد ظل نصف مكتمل ،
كأن المبنى الكبير لن يكتمل أبدا ٠
يأخذ مسمارا ويسمره بنفسه في اللوح ،
انثنى المسمار ٠ ضحك العمال ٠ ضحك أيضا ٠
خلع قميصه وهو يشعر أن ـ في ضحكتهم الشعبية هذه ـ
قد توحدت يداه وتخطيطه وبناؤهم ٠

* بناءون

أرأيت من هم بناءون بالغريزة
وأولئك الآخرين بحكم المهنة
والطائفة الثالثة ممن يبنون للثأر من الموت
وأولئك ممن يبنون عن وعي وتصميم ؟

كلهم يتوقفون الآن جميعـــا ؛
يمسحون أيديهم التى تغطت بالجبس فى بنطلوناتهم ،
يمســحون عرقهم ويبــكون ٠
لا يمسحون دموعهم ٠

والآن ، يلتصق الملاط أفضل بهذه الطريقة ٠
وهو ما يحدث فيما وراء قصدهــم
ذلك هو السبب فى أن البنائين ــ فى الليــل ــ
يحلمون بهذا الـ « ما وراء » المجهول ، الغامض
فيبنون كل صباح الـ « هنـــا » أفضــل ٠

* نهايـــة خطبــة

فى اللحظة الأخيرة ، وهو ينهى خطبته وسط التصفيق ،
أضــاف تعبيرا غامضــا وهــادئا :
« الرجل الذى صفقتم لــه لم يكن أنـــا ،
وكلماتى لم تكن لى ــ
انها مرايــا صغيرة فى مواجهتكم
ترجــع شظايــا من وجوهكم أو توقعكم ،
وفى مواجهة كلماتى كنت أقف أيضا كضوء بعيد
ينعكس فى المرايــا ، ويرمى أشعته الناصعة فى عيونكم
لتمنعكم من رؤيـــتى ٠
كلماتنا الحقيقية تكمن عميقــا فى الصمت
(ولا حاجــة بنــا اليها ، على أية حال) ٠
وأفعالنا الحقيقية دائما ما تقصى الشهود أو تقتلهم ان استطاعت
أو تتخلص منهم مقابل ثمن باهظ
ما نمتلكه هو ــ فقط ــ ما لا يحتاج الى برهان ٠
وكل التصفيق هو شهادة تالية أو زائفة بلا وعى » ٠
فى تلك اللحظة ، انطفأت الأضواء فجأة

وبدأ الجميع يتدافعون ناحية أبواب الطوارىء ،
فلم يستطع أحد أن يرى التعبير على وجوههم أو وجهه ٠
ربما فقط ، كان هناك صمت اجبارى معتم ، يرفرف حرا
فى المرايــا المعلقة بقاعــة الاســتماع ٠

* تحت النســيان

الشيء المادى الوحيد الذى تركه بعده هو سترته ٠
علقوها هنــاك ، فى الدولاب الكبير ٠
نسيت ، وأزاحتها ثيابنــا الى الوراء ،
ثيــاب الصيف ، ثيــاب الشــتاء ،
ثياب جديدة كل عام من أجل احتياجاتنا الجديدة ٠
الى أن لفتت انتباهنــا ، ذات يوم ، ــ
ربما كان لونها الغريب ،
ربما كان أسلوب خياطتها القديــم ٠
على الأزرار كانت هناك ثلاثة أماكن دائرية موحدة :
حائط الاعدام بأربعة ثقوب ، محاطة بندمنــا ٠

* ربما كان يعرف

بعد أمراضــه المتواليــة ، تبقى هذا الوهن ،
يومىء برأســه صــعودا وهبوطــا ،
ويهمهم بابتسامة : « حقا ، حقا ، حقا ، حقا » .
بطريقة مضحكة بالفعل ، لكنها أيضــا وديــة ٠
« حقا ، حقا » ، يهز رأســه طوال الوقت
كغصن معتم هش به ورقــة خضراء وحيدة ، ــ
والريــح تعصف به أبــدا
فى مشهد طبيعى أجــرد ورقيـــق
لعرفـــان بلا تبريــر ٠

* نفس البرودة ؟

أيام كثيرة ، ليال كثيرة ، أعوام كثيرة ، ــ كان متعبا ٠
لم كل هذا العناء ؟
بعد منتصف الصيف ، كل صيف ، يسمع مجموعة من الشبان
يمرون خارج نافذته يضحكون ، يغنون ، يمزحون ٠
وهو ؟

عندما أضاء المصباح من جديد للمذاكرة
رأى حلزونا يصعد المحبرة ببطء ٠
لكن فى الخارج أيضا ، ــ تذكر ــ بجوار البئر ،
المزهريات ، فى مساءات الصيف ، فى كل الحدائق المروية ،
وبجوار الزهور يتمشى سرب من الحلزون ٠

* العرافة

شعرها فوضى ، دائمة ،
كأنه عويل على جثة ما خفية ،
أو على جثتها هى ٠
« نعمة العرافة » ، تقول « نعمة شريرة » ٠
والشبكة المظلمة فى الحمام المعلقة أمام عينيها
تشبه شعرها ــ
ليست شبكة موت فحسب ، بل أسوأ ،
شبكة اصطياد ، شرك للحسد أو اللاجدوى ٠
والآن تقترب ــ من جديد ــ تلك الساعات الفاتنة الهشة من الربيع ــ
كطفل يغمس قدميه فى ذلك الحوض العميق ،
يلعب بالصابون ٠٠
بأطراف أظافرها تصنع شقين فى شعرها المنسدل ،
كأنها تعزف على قيثارة ،
ثم تحدق فى الثقوب ،
تخمن عن صواب و ــ عن صواب ــ تبتسم ٠

* ليلة قديمة

هناك عاليا ، حل الظلام مبكرا .
ليلة شفافة ، مضيئة كالنهار .
بستان الزيتون المعتم ،
الشجيرات المحترقة من الشمس وسط كتل الرخام .
المسرح المقفر المعلق على جانب التل .
ترس كبير مرمى ووجهه فى الأقذار .
اذا ما أمطرت ، فلسوف يمتلىء بالماء ،
وستأتى السنونوات الى هناك لتشرب ،
مع الدب والأسد والثور و « كريسوثيميس » ،
وكلاب حارس الغابة الثلاثة ، والقمر .

* صورة جانبية يونانية

بحر معتم ، يتنفس سرا فى الليل .
قوارب الصيد الفارغة راسية على الشاطىء ــ
والسر العميق فى أجسادها المبلولة ما يزال غير منطوق .
أشعل شخص ما كبريتا ، ثم سيجارة .
هذه الصورة الجانبية لعشرين عاما من العمر على القارب ــ
نعرفها منذ ثلاثة آلاف عام (الشعر منسدل هكذا تماما) .
وراء الأشرعة المعتمة ، اندفع شهاب كالبرق ،
وهو يكشف شلال شعر لفتاة منحوتة فى الخشب .

* ضوء غامض

غربت الشمس منذ ساعات .
فمن أين يأتى ــ اذن ــ هذا الضوء الكبريتى ،
فيدفن السهل فى أقدام هذه الجبال العمودية ، كما لو فى
السديم ؟

قلامة ظفر القمر القرنفليــة تغوص في الغرب .

ويمكنك ــ بالكاد ــ أن تســتكمل النوافذ الأربعمائة وثلاث للمدابــغ القديمـــة ،

وحتى جلود حيوانـات الأضــحيات ، المنشورة على الأســلاك الشــائكة ــ

وفي أقصى الطرف الأســفل ذلك الصوف الذهبي ،

الذي يلتمع بجوار مقبض البــاب الحديــدى .



أوريست

(شابان ، كلاهما فى حوالى العشرين من العمر ، توقفا أمام الأروقة· بديا كأنهما يحاولان تذكر شيء ما، واستعادة التعرف عليه ، لكن ما استثارهما أن كل شيء كان مألوفا بصورة لا تصدق ، برغم أنه أصغر الى حد ما - بكثير - مما تخيلاه في المكان ، كمكان وزمان مختلفين تماما : الجدران ، هذه الجلاميد الهائلة ، بوابة الأسد، والقصر فى ظل الجبل··· حل الصيف· كان الظلام يهبط· رحلت العربات الخاصة والأتوبيسات السياحية الكبيرة ، وأطلقت الساحة المسترخية زفيرها فى السكون ، زفيرا عميقا ينطلق من مقابر ذكريات ما قبل التاريخ · قصاصة جريدة ترتعش على العشب المحترق ، وقد لمستها هبة واهية من ريح · وكان للمرء أن يسمع وقع خطى الحارس الليلى ، وصوت مفتاحه الثقيل فى الباب الداخلى للقصر · آنئذ ، بدأت الجداجد تقرع طبولها النحيلة ، كما لو ان ندى الليل الدافىء قد أطلق سراحها · ضوء غامض زحف خلف الجبل - ربما القمر · فى هذه اللحظة - بالتحديد - انفجرت صرخات حادة عند الدرج الرخامى - عويل امرأة أليم ، بلا تفسير · وقف الرجلان دون أن ينظر أحدهما الى الآخر ، مندمجين - كظلين كبيرين - فى الجدار الوطىء · ثم أخرج أحدهما وشاحا ومسح جبهته، وأشار - فى ارهاق - باصبعه ناحية الصخب.

وبدأ فى الحديث الى رفيقه ، والذى سيظل صامتة منتبها بصورة فاتنة ، كما « بيلاديس ») .

أنصت ... انها لم تكف حتى الآن ، لم تستنفد نفسها .
ذلك لا يحتمل فى ليلة يونانية نموذجية ، دافئة ، ساكنة ،
منعزلة ولا مبالية ،
وان منحتنا هذا العزاء الفريد :
أن نكون فيها ، أن نراها من داخلها .
و ــ فى نفس الوقت ــ عن مسافة منها ،
أن نشهدها عارية حتى أوهى اختلاجة لجداجدها ،
وأقل رعشة لجلدها المظلم .

مثل هذا الاستقلال ،
هل نجرؤ ــ نحن أنفسنا ــ على الحلم به ؟
بفرحته الفاتنة باللامبالاة ، والصبر ،
فيما وراء العالم ، فى العالم ، وفى أنفسنا :
وحيدا ، متحدا ، متحررا ،
فيما وراء هذه التنافسات ، والمقارنات ، والتعسفات ،
فيما وراء معيار الآخرين فى الآمال والرغبات .
يكفى أن ترى رباط صندلك ،
حيث يفصل الاصبع الكبير ليديره تجاهى ،
وتجاه مكان يجاوز زهور الدفلى ، سرى ، ولى وحدى ،
فيما تتساقط أوراق الليل الفضية مرتعشة على كتفيك
ومسيل النبع يمر ــ واهيا ــ تحت أظافرنا .

أنصت اليها ،ــ
فصوتها يغلفها كمقبرة تطن بالنحل ،
وهى ــ نفسها ــ تتدلى داخل صوتها

كلسان جرس يقرع ويقرع جدران الجرس ،
لكن لا من أجـل جنـازة أو حفـل ـ
فليس هناك سوى هذه الصحراء الصخرية الطاهرة ،
و ـ في الأسـفل ـ صمت الصحراء المستكين ،
الذى يحول غضبها الطائش الى سـكينة ،
وكل ما حولها كطائرات ورقية بريئـة ،
نجوم بـلا حصر تتحرك مع الحفيف الورقى الأبـدى لذيولها الهائلـة ·

فلنمض الى خارج مدى السمع ـ الى التل الخلفى
لكن ليس الى مقـابر الأسـلاف ·
فلن أقدم ـ الليـلة ـ أيـة قرابين ،
لن أجز شـيئا من هذا الشـعر
حيث كثيرا ما هامت يـدك ···
ومع ذلك ، فهى ليـلة فاتنـة ،
تبـدو كأنها جزء منـا
وقد انفلتت وانجرفت بعيـدا ،
ننصت اليها وهى تتحول الى نهر أسود يسعى الى البحر ،
مزبدا ـ بين حين وآخر ـ تحت الأغصان ،
تحت البريـق الخشن للنجوم ،
فى صيف ظالم محروق مجدب من الرحمـة ـ
نهر مفعم بالانقطاعات القصيرة ، الغامضـة ،
والقفزات غير المتوقعة (ربما كان أحدهم يرميه بحجر) :
الخرير المرح والنوافذ عبر الكروم تومض ·
أمر غريـب ،
فطوال حياتى كانوا يؤهلوننى لذلك ،
والآن ، وأنا أقف هنـا أمام البوابـة ،
أحس بعدم التـأهيل تمامـا ·
فالأسـدان الرخاميـان ـ هل تراهما ؟

كم أصبحا أليفين ! ـ
رغم أنهما كانا يبدوان غاية فى الشراسة عندما كنا صغارا ،
وحشيين ، وعرفاهما ينتصبان لقفزة مستحيلة ...
ها هما الآن ينتهيان على مؤخرتيهما فى قناعة
على الزاويتين العلويتين للمدخل ،
فراؤهما بلا حياة ، وعيونهما جوفاء
ـ لا شيء يخيف فيها ـ
ولهما نظرة الكلاب المكدودة ،
لكن ـ حتى ـ دون أن تكون تعيسة :
وفية ، عمياء ، بلا أثر لضغينة ،
فقط ، بين الحين والحين
يمدون ألسنتهم ليلعقوا النعل الفاتر لليل .

حقا ، غير مؤهل .
لا أستطيع ذلك .
لا شيء داخلى مع هذا المشهد ،
مع الزمن ، مع هذه الأشياء والأحداث .
ليس ذلك لأننى جبان ، ـ
غير مؤهل عند بدء الفعل ،
غريب بكاملى عند غاية رتب لها الآخرون .
فكيف حدث أن نجحوا ـ شيئا فشيئا ـ فى تحديد مصيرنا ،
فى فرضه علينا ،
وفى أن نقبل ـ نحن أنفسنا ـ به ؟
كيف حدث أن نجحوا فى نسج حياتنا كلها
من أجمل الخيوط للحظات ماضية معدودة ؟ ـ
رداء خشن ، كالح يلفنا مثل كفن من الرأس الى القدم ،
ليخفى وجهنا كله ، بل وأيدينا
التى أقحموا فيها سيفا لم نره من قبل أبدا ،

وبريقه القاسي يكشف مشهدا لا ينتمي الينـا ـ
متأكد أنـا من ذلك : لا ينتمي الينـا ٠

وكيف حدث أن قبل مصيرنا الحقيقى ـ أيضا ـ بذلك ،
متراجعـا وهو ينظر شزرا الينـا
والى مصيرنا المغاير مثـل غريب :
أصـم ، صـامت ، مسـتغن ، نسـاء ،
دون ـ حتى ـ سيماء المهابة أو الرزانـة ،
دون لبـاقة أن يتوارى ، أن يموت ،
ويتركنا فريسة لهذا المصير الزائف
(مصير واحد فحسب : غير متضارب أو ممزق) ٠
انظر اليـه وهو يسـتلقي هنـاك ،
ناعسـا فيما يبـدو ،
واحدى عينيه مغمضة ، لكن الأخرى مفتوحة قوية ،
ونحن نعرف (كما يشتهى نكون) أنه ما يزال يراقبنـا ،
ويمكنه أن يرى اختـلاجنا الأبـدى ،
دونما اداتـة ولا غفران ٠

هناك ـ فيما يبدو ـ قوتـان متعارضـتان
تتوافقان مع قدمينـا ،
كل واحدة تشد قدما الى أبعد ما تستطيع عن الأخرى
توسـع خطوتنـا الى حـد تمزيق الأوصـال ،
ويصـبح الرأس نوعـا من الرابـط
الذي يحفظ هذا الجسد الممزق في كتلـة واحدة ٠
بينما خلقت الساقـان ـ فيما أعتقـد ـ
لتتحرك كل واحـدة بالتبـادل ،
والاثنتان في خطوة واحدة ، في اتجاه واحـد ،
هبوطا الى السهل بكرومه المعنقـدة ،

فى اتجاه الأفـق الذى يتوهج على البعـد ،
فيولـد الجسـد بكرا .
أم أن الحقيقة أننـا خلقنـا
من أجـل تلك الخطوة الأخـرى ـ
تلك الخطوات الكبرى ، الساحقـة
فوق الهاويـة المجهولـة ،
فوق القبور ، فوق قبرنـا ؟
لا أعـرف .

ومع ذلك ، فتحت الجذور الراقدة العديدة للفوضى والخوف
يمكننى أن أحس الامتـداد اللانهائى للصمت :
نوعـا من العدالـة ،
توازنـا مكتفيـا بذاتـه
يضمنـا فى نظام واحـد مع البـذور والنجوم .
فهل لاحظت ذلك ؟

ففى طريقنـا الى هنـا ، فيما بعد الظهيرة ،
كان ظـل غيمـة يمتـد عبر السهل ،
فيغطى حقول القمـح ، وأحراش الزيتون والكروم ،
والخيول ، والطيور ، والأوراق ـ
كمشهد بعيـد فى السـماء
مطبوع بخفـة فى الأسـفل هنـا على الأرض .
والمزارع يسير على طول حافـة السهل
فيبـدو كأنـه يحمل ـ تحت ذراعـه الأيسر ـ
ظـل الغيمة الكامـل كمعطف هائـل ـ
مهيب ، وان يكن بسيطا كثوبه المصنوع من جلد الغنم .

هكذا تصـبح الارض حميمـة للسـماء ،
متخذة لمحـة من زرقتها ، من غموضها ،

والسماء ـ بالمقابل ـ تتخذ شيئا من الأرض ،
شيئا ما دافئا وأسمر مصفرا ،
شيئا ما من أوراقها ،
من جذورها وصريرها الأرضى ،
وشيئا ما من العيون الصبورة للبقر ـ هل تذكرها ؟
ومن الساقين الثابتتين لذلك المزارع
وهو يختفى من البصر ٠

لكن أختى تحاول الابقاء عليه ٠
أنصت اليها ٠
كيف يمكنها ألا تسمع صوتها ؟
كيف يمكنها الابقاء على نفسها محبوسة
فى لحظة ساكنة من زمن غابر ،
من مشاعر غابرة ؟
كيف ، وبأى شىء ، يمكن احياء
هذا الهوى الحقود ، وصوت الهوى ،
عندما تكذبها كل الأصداء ، بل وتسخر منها ؟
ـ أصداء من الأروقة ، من الأعمدة ،
من الأثاث ، من الدرج ،

من جرار حفظ رماد الموتى بالحديقة ، والقناة ،
من كهوف زارا ، من الحظائر بالوادى ،
من الحراس القائمين على التلال ،
من الثنيات الموجودة على تماثيل الالهات فى الساحة ،
من القضبان الرخامية الضخمة لرماة القرص والعدائين ٠

حتى الزهريات داخل المنزل تبدو كأنها تعارض صرخاتها
مع ايماءة الموافقة من بضع زهرات رقيقة

رتبتها ــ بـذوق ــ يـد الأم ،
هنـاك على الخزانـة المنحوتـة ،
فى واجهة المرآة الموروثـــة ،
فى وهــج (مزدوج من الانعكاس)
يبــدو كما لو من خلال ماء ــ أتذكره منــذ الطفولـة ؟ ــ
ذلك ــ على الأقــل ــ ما احتفظ به عقلى صافيـــا :
وهــج مائى ، بـاهت ، حيـــادى ــ
غموض فيما وراء الزمن والخطيئة :
شىء ما ناعـــم ، وأثـير ،
كحزن فتـــاة صغيرة ،
كزغب على الشـفة العليـا لصبى ،
كرائحـة جســد نضر من الحمام ،
على الملاءة الدفيئـة بأنفاس ليلـة صيف مترعـة بالنجوم .

لكنها لا تعى شــيئا من ذلك ،
ولا حتى الأصـــداء التى تسخر من صوتها المتنافر .
انـنى خائـف .
لا يمكننى الاستجابـة لنـداءاتها ــ
الفـادحـة والمبتذلـة فى نفس الوقت ــ
لكلامها المفحـم هذا ، البـالى
الذى يبــدو خارجـا الى النـور
من صناديق كتانية تنتمى الى ما يحب العجائز أن يسمونـه
« السنين الخوالى » ،
كأعــلام مكرمشة هائلـة ،

وغضونها يتخللها النفتالين ، وخيبـة الأمـل ، والصمت ــ
كلامها العتيق الذى لا يحمل أى شك فى عمره الحقيقى .
وهو يواصل القرقعـة بعيـدا بايماءات غابـرة

فوق رؤوس السائرين المتعبين ، المتبرمين ، بلا ارتياب ،
فـوق الشـوارع الأسـفلتية ،
التى ما تزال ـ برغـم حجمها ـ متواضعـة ،
بنوافـذ محلاتها الأنيقـة
الممتلئة ببضائـع البللور وأربطـة العنق ،
وملابس البحر ، والقبعـات ، وكتب الجيب ،
وأمتعـة السفر التى تستجيب لاحتياجات اللحظـة
والاحتياج الدائـم للحياة التى تقودنـا ٠
لكنها تمضى فى اعداد الميـد والمؤن للموتى ،
الذين ما عادوا يشـعرون بالجوع أو العطش ،
بـل وما عـاد لهم أفـواه ،
والذين لا يحلمون أبـدا بالعودة أو الانتقـام ٠
انها ـ والى الأبـد ـ تستحضر عصمتهم
(لكن أيـة عصمـة ؟) ،
ربما لتتهرب من عبء الاختيـار والقرار ـ
عندما تصبح أسنان الموتى ، النظيفة المبعثرة فى التراب ،
بذورا ناصعة فى واد أسود بـلا مثيـل ،
لتنبت أشجارا من عظام بيضاء ، لا مرئية ، معضومة ،
تومض كالفوسفور فى ضوء القمر حتى نهاية الزمن ٠

كيف يمكن للسانها أن يحتمل النطق بهذه الأشـياء ،
بكلمات منزوعـة من صناديـق قديمـة
(من نفس النوع الذى اعتادوا صنعه بمسامير حديدية هائلة
للزينـة) ،
منزوعـة من بين القبعات القديمـة للأم ،
ذات الطراز القديم ، التى لم تعد ترتديها :
لن يدركها الموت فيها ٠
هل تراهـا فى الحديقة هذا الأصيـل ؟
انها فاتنـة كما كانت ، لا أكبر حتى بيوم واحـد ،

ربما لأنها تضع الزمن نصب عينها ،
وترعاه كل لحظة —
أعنى أنها عادت شابة من جديد
على وعى بالشباب الذى فقدته ،
وذلك — ربما — سبب استعادتها له .

وصوتها ، الآنى تماما ، اليومى تماما ، المعافى تماما ، —
وهى تستخدم أكبر الكلمات وأصغرها بصورة طبيعية ،
بأعظم المعانى الممكنة — مثلما تقول :
« هناك فراشة تدخل من النافذة » ،
أو « العالم أروع من أن يحتمل » ،
أو « يمكن اضافة مسحوق تبييض أكثر للبياضات » ،
أو « لفحة واحدة من شذا المساء تراوغنى »
ثم تضحك ،
كما لو لتستبق شخصا ما تخشاه ، يوشك على الضحك .

وفهمها الكامل وتدليلها الرقيق لكل شخص وكل شيء —
هو — غالبا — احتقار ما .
كنت دائما معجبا بها ،
بل وأخافها ، لهذا الوعى الذاتى ، لهذا الزهو الرفيع ،
فتختلط لدى ضحكتها الخفيضة ، المتعددة الأبعاد ،
بذلك الهسيس والشعلة الخفيضة لعود الكبريت
وهى تشعل المصباح المعلق فى غرفة الطعام —
وستكون هناك ، مضاءة من أسفل ،
بأقوى ضوء مركز على الخطوط الناعمة لذقنها
وعلى فتحتى أنفها الرقيقتين ، المتسعتين ،
اللتين توقفتا — لحظة — عن التنفس وضاقتا ،
كما لو ان ذلك سيبقيها الى جانبنا ،

سيتمهل بها ، يبقيها ســـاكنة ،
دون أن تذوب كخيط دخان فى ريـاح المساء النشيطة ،
ودون أن تتبدد بفعل الغصون الطويلة للأشجار ،
ولا أن تضـــع فى اصبعها كشتبان احـــدى النجوم
من أجل تطريز بلا نهايـــة •

وكان لها أن تنفــرد بحركتها ،
وتوقفها الدقيق في نقطـة الغياب بالذات ــ
كنت دائما ما أخشى أن تتــلاشى ،
أو تهبط كأحـــد الآلهة ،
حينما تنحنى لتربط الصـــندل
الذى يترك أظافر قدميها الملونـة مكشوفـة ،
كنبات « بخور مريـم » النحيــل ،
أو عندما تعـد شـعرها أمام المرآة الضخمـة
بتلك الطريقـة اللافتـة فى تحريك يدهــا ،
الفتيــة الرشـيقة ،
بدت كأنها تشبك ثلاث نجمات أو أربع فى جبين العالم ،
أو تدفــع زهرتى ربيــع الى قبلة بجوار النبــع ،
أو تنظر بارتيـــاب ، فى تأثــر واضـــح
اذ يتسافد كلبـــان وســط الشـــارع المترب
فى أصـــيل صـيفى حـــار •
كانت الأم ــ فى آن ــ بسيطة للغاية فى اقناع،وقوية للغاية ــ
مهيبــة لايسبر غورهـــا ، معـــا •
ربما كان ذلك الشباب الأبـدى هو ما لم تســتطع شـقيقتى
غفرانـــه ــ
فهى نفسها قد شـاخت فى الســن ،
عاقلة فى تناقضاتها،معارضة ــ فى تعصب ــ للفرح والجمال ــ
زاهـدة ، بغيضـة في حـذرها ، . .

وحيـدة ومنعزلــة ٠
حتى الأشـياء التى ترتديها ـ
عتيقـة مزمنـة ، فضفاضـة ، رثـة بائسـة ،
والحبل الذى يربطهم الى الخصر قديم متهالك ،
كشريان جاف حول بطنها (ما تزال تربطه باحكام) ،
كجبل بعض الستائر الساقطة ،
التى لم تعـد تنغلق أو تنفتـح ،
لتمنح المرء ـ فحسب ـ تلك اللمحة الجانبيـة
لمشهد طبيعى ضيـق وأجـرد ـ
عالم من صخور ناتئـة وأشـجار هائـلة بـلا أوراق
تمد أغصانها تجاه ستارة خلفية من غيوم مخططة بدينة ،
وهنـاك ، فى البعيد ، الحضور الخفى لخروف ضائع ،
كلطخة باهتـة للحياة ، نتفـة من رقـة لاتبين ،
وأختى نفسها جلمود منتصب،موصدة فى صدفتها القاسية ـ
لا تحتمـــل ٠

أنصـت اليها ،
فهى ـ عمومـا ـ تـافهة ٠
دائمـة المراقبـــة للأم ،
تنفجر فى الغضب حينما تضـع وردة فى صدرها أو شعرها ،
أو حين تمر خلال الردهة بهذا الكمال الايقاعى فى خطوهـا ،
أو حين تميل برأسها قليـلا الى جانب فى تسليم ،
وقرطاها الطويلان يقطران نغما فاتنـا على كتفيها ،
نغما هى وحـدها التى يمكن أن تسـمعه ـ
انـه هبتها الالهيـة ٠
وهو ما يترك الأخرى مسـتشيطة ٠

وهى تغذى غضبها بحـدة صوتها ـ
(بذلك الذى ذهب أيضا ، ما الذى استبقته ؟) ـ
أشك أنها خائفة من الفعل ذاته الذى تصرخ من أجله ،
خائفـة ـ حقـا ـ من أن يتركها بـلا شيء •
فهى لم تسمع أبـدا الحفيف السرى لعشب المسـاء
وأحـد الكائنـات الخفيـة الرشـيقة
يزحف الى ما وراء النوافـذ فى الغسق ،
ما رأت أبدا سلم الحبال المعلق بلا سبب من أعلى ،
على جـدار قاحـل ، فى احـدى العطلات •
ولم تلحظ هذا الافتقار الى سبب •
ولم تر الريشـة على أذن من ذرة
وهى تنظف قـدم غيمـة نحيـلة ،
أو شكل ابريـق ، مرسوم قبالة النجوم ،
أو المنجل الذى سقط بجانب النبـع ، فى أوج النهار ،
أو حتى الظل الذى يرميه نول فى غرفـة مغلقة ،
وهـم يرشون الكروم بالكبريت ،
وصيحات الحصادين تطفو من السهل ،

بينما العصفور ، وحيدا تماما فى العالـم والسـاحة ،
يشاكس الذبـاب ، والبـذور ، والفتـات القليـل ،
ويحاول اكتشـاف حريتـه •
لم تر أى شيء •

بليـدة ، مسـجونة فى عماهـا •
كيف يمكن لها ـ مهما كان ـ أن تعيش حياتها منفردة
فى تضـاد مع حياة شخص آخـر ـ
بـدون مكان حقيـقى لها ـ
بدافـع كراهيتها لحياة شخص آخر
لا بدافـع حبها لحياتها ؟

ماذا يريــدون ؟
ما الذى يريــدونه منى ؟
الانتقــام، يصرخــون .
الانتقــام !
اذن ، فعليهم أن يتلقوه ضــدهم ،
طالما أن الانتقــام هو ما يبقيهم أحيــاء .

لا أستطيع أن أسمع المزيــد . كفى .
فما من أحد يمتلك الحق فى التحكم فى عينى ، وفمى ، ويدى ،
وقدمى اللتين تختاران الأرض التى أمشى عليها .
خــذ بيــدى .
ولنمــض .

ليالى صيف طويلة ، كاملــة لنــا وحدنــا ،
مزيج من نجوم ، كؤوس نبيــذ مهشمة ، آبــاط عرقانــة ،
حشرة تئز فى رقــة فى طبلة أذن الصمت ،
سحالى تتــدفأ عنــد أقــدام شــبان من رخــام ،
يرقانات على دكك الحديقة ، أو فى دكان الحدادة المغلق
تمشى فوق الســندان العمــلاق ،
تاركة خلفها على الحديــد الأسود
آثــارها البيضاء من الســائل المنوى واللعــاب

علينــا ألا نعود الى ميســيناى .
فالأرض هنــا تمور بصــدأ البرونز والدم الأسود .
و « أتيــكا » أقــل ظلمــا بكثير .
اننى أحس أن هذه الساعة هى ساعة نكرانى الزاهــد الأخير :
فلن أكون أحد شؤونهم ، خادمهم ، أداتهم .
ولا حتى الحاكم عليهم .

انـه أوان البـدء في أن أعيش حياتي الخاصـة •
ولا مكان فيها للانتقـــام •
فلماذا نسـتبقي موتـا آخر ، موتـا قاسـيا ،
مستمدا من الموت ذاتـه ؟
ما الذي سيضيفه الى الحيـاة ؟
ذلك كله قديـم غابـر •
ذهبت الكراهيـة •
فهل نسيت ببسـاطة نفسي الممزقـة ؟
لا أدرى •
بل انني أحس بتعاطف مع القاتلـة ـ
فقـد حـدقت في قلب جحيـم عظيـم ،
وعى هائـل فتـح عينيها عن آخرهما في الظـلام ، لترى ـ
ترى ما لا ينفـد ، مالا ينـال ، ما لا يتغير :
تـراني •

وأنا ـ أيضا ـ أريد رؤية مقتـل أبى في الضوء المعزى للموت المجـرد ،
وأن أضيعه في توحد الميتات التي تنتظرنا جميعا •
لقد عرفت الليـلة براءة كل غاصب •
ونحن جميعـا غاصـبون لشيء ما :
بعض النـاس ، بعض العـروش ،

الحب من الآخريـن ، أو حتى الموت •
وأختى قد اغتصـبت حيـاتي الوحيـدة ،
وأنـا اغتصبت حيـاتك •

صديـقي ،
لقد شاركتني ـ في صبر ـ هذه الشئوون الغريبة ، التافهة •

لكن يــدى هى يــدك ـ
خذهـا ، اغتصـبها (نعـم ، حتى أنت) ٠
فهى لك ، ولى أيضـــا ٠
امسـك بها ، ضمها اليـــك ٠
أعرف أنك تريدهـا متحررة من الذكريــات ،
من الجراح القديمة ، وآثـــام الأســـلاف ـ
متحررة بشـــكل حقيقى ٠
أنــا ـ أيضــا ـ أحلـم بذلك ،
فآنئـذ ـ فحسب ـ سـتكون بأكملها ملكى ،
ملكى ـ آنئـذ ـ لأمنحها لآخر ٠
اغفرلى هذه العزلـة والانقسام الداخـلى ـ
فأنت تراه بوضــوح ـ والذى يتركنى ممزقـــا ٠٠٠
يـــا لها من ليـــلة فاتنـــة ٠

أريج حاد لزهور الكبر ، والأورجانو ، والزعتر ـ
أم انــه منقـــار الكركى ؟
اننى أخلط بين الروائـح المختلفـة ٠
فأحيانا ما يفوح الدم برائحـة تشـبه ميـاه المحيط المالحة ،
ورائحة السائــل المنوى تشبه الغابة ـ تحول واع ربما ـ
فذلك ـ بالتحديد ـ ما أبحث عنـــه الليـلة ٠
هل تذكر ما أخبرنا به الجندى ذات ليـلة فى أثينـــا ؟
كيف أنه أخفى نفسه ذات مرة فى الأكمـة المظلمة

على شاطىء دمرته الأنــات ، وحديد المعركة المصلصـل ،
وهو يرقب الظـل المتأرجح الذى يرميـه ضوء القمر
لعضوه شـبه المنتصب تجاه فخـذه ـ
محـاولا أن يثبت وجـوده ،
ويختبر قوة ارادته على جسـده ،

على أمـل الانتقال من السهل المفعم بالموت ،
على أمـل حريـة يؤمن ــ جزئيـا ــ بها ٠

فلنمض بعيـدا فى الأسـفل ٠
لا يمكننى الاسـتماع الى ذلك ٠
فصرخـاتها تسحق أعصـابى ، وأحـلامى ،
والطريقة التى ارتطمت بها مجاذيفنا بالأجساد الطافيـة
التى كنا نلمحها بين حين وآخر على ضوء مشاعل السفينة ،
وشهب أغسطس التى تومض بالشباب والشهوة ،
أبـدية أبعد من الظن
فى هذا الموت المنسـاب الذى حمم ظهورهـم وكواحلهم ،
وأفخاذهـم ٠

يجىء تحول الفصول فى صمت تـام
ودائما ما يتزايـد الظـلام ٠
مقعد خيزران يقف منسيا تحت الأشـجار
فى الرطوبة الشفيفة والبخار الصاعدين من التربـة ٠
انـه ليس الأسى ٠
ولا هو ــ حتى ــ الأمـل ٠
لاشـىء ٠
حركة تمتـد بـلا حركة الى الأمس والغـد ٠
سلحفاة فى العشب تبـدو كحجـر ٠
سرعـان ما سـتتحرك ٠
انقياد بـلا توقـع ، مشاركة سرية فى جريمة ، فى سعادة ٠

ما يزال فى بسمتك أثر واه من خواء ــ
أهو بسبب ما أحكيـه لك ،
أم بسبب ما سأحكيـه وان كنت لا تعرفـه ،

ما لم تكتشفه في ايقـاع كلماتى
التى تواصـل الركض بعيدا الى الأمام من أفكاري ،
فتكشف ايقـاعى ، وذاتى ؟
مثلما ذات مرة ،
وأنا أتفرج على العدائين يأتون متناثرين الى خط النهاية ،
وقد تحمموا بالعـرق ،
حين لاحظت أحدهـم وقد ربط قطعة خيط صغيرة الى كاحله
بـلا سـبب ،
ببسـاطة عن نـزوة ٠
ذلك كل شيء ٠

انها تبحث عن بطولة ، عن تضـحية ٠
سـنوات عديـدة ، وما الذى تغير ؟
أم أننـا من أجـل ذلك قد أتينـا ـ
من أجل هذه النبوءات الصغيرة بالمعجزة الكبرى
التى لا تعرف كبرى ولا صغرى ـ لا قتـل ولا خطيئـة ؟

كل شيء هو حب شـبقى ـ
سحر وفتنة ، كما اعتادت أمى أن تقول ـ
حينما تمس أوراق المساء العريضة ، الشهوانية جباهنـا فى
هـدوء ،
والثمرة الساقطة تصـبح رسـالة راسخة لا تصـل أحدا
كالدائـرة ، والمثلث ، والمعـين ٠
ويرى عقلى منشارا قديما يصـدأ فى مخزن أخشاب مهجور ،
والأرقام على البيوت تزحف الى الأفق ـ ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٠٠٠ عدد
بـلا حصر ٠٠
لكن انصـت ٠
لقـد توقفت ٠

سكون عميق ـ سكون فوق التصـديق ·
لا بد أن ألف حصان أسود يتحركون في غموض أعلى المنحدر
الى « تريتوس » ،
كنهر من ذهب يفيض في الجانب البعيد تجاه السهل ،
تجاه ينابيعه الجافـة ـ وثكناتـه الخاويـة ،
تجاه الحظائر حيث ما يزال يرسـل الدخـان
مع الدفء الأبدى لحيوانات وكلاب غائبة وذيولها بين أرجلها
تختفى كبقع حبر فى أعماق الليـل الوامضـة ·

أخـيرا ، رحلت ·
هذا الصمت عجيب ـ انعتاق ·
انظر كيف تخلف ظـلال الحشرات الهاربـة
آثارا دقيقة من رطوبة على الجدار ،
أجراسـا دقيقة سترن بعد دقائـق قليلـة ·
وذلك الوهـج الأرجوانى فى البعيد ، كشىء مريب :
القمر شعلة نار صغيرة ، وحيدة بعيدا وراء الأشـجار ،
والمداخن ودوارات الريـاح بالبيوت
التى تلتهم القراص الكبير والجرائد القديمة ،
لتخلف وراءهـا قبـولها ـ
بحياة بـلا أمـل ، بـلا انتظار ،
بعبث قابـل للاثبـات :
تمجيد قريب يمتد الى البرارى التى لا تجفل ، الى حافة الطريق
والوميض الشبحى القـاسى لقطـة ما ·

حينما يظهر القمر ، تغوص البيوت فى السهل الى أسـفل ،
وتصدر سيقان الذرة صريرا مع الصقيع ، أو قانون التكاثر ،

وتلتمع جذور الأشجار المطليـة بالأبيض كالأعمدة ،
المحصـودة فى حرب صامتـة ،
وتعلق الشـارات فوق الدكاكين الصغيرة المغلقـة ،
كنبوءات شهدنـا تحققها ٠

لا بد أن المزارعين كلهم ــ الآن ــ نائمـون ،
وأياديهم الضخمة مسـتقرة على بطونهم ،
والطيور ــ بمخالبها الصغيرة ــ تقبض ، فى ارتخـاء ، على
غصـن فى نومها ،
كأن الاستمرار لا يحتاج الى مجهود ،
كأن المجهود لا شيء أبـدا ،
كأن شـيئا لم يحـدث ،
ولا شيء على وشـك الحـدوث ــ
هكذا بخفة بالغة ، تبدو السماء كما لو دخلت أجنحتها ،
كما لو ان شخصا ما يسير فى ممر طويل بمصباح فى يده
وكل نوافـذه مفتوحـة على آخرهـا ،
بينما فى الخارج ، فى الساحة، ترعى الماشية فى سلام كامل،
كما لو خـارج الزمن ٠

أحب هذا الصمت الشـافى ٠
فى شرفة قريبة ، امرأة تمشط شعـرها الطويـل ،
تفرده بجانبها ، ومخاوفها الداخلية تتنهد فى ضوء القمر ٠
يصبح العـالم سـائلا ، زلقـا ، مرحـا ٠
الأباريق الكبيرة فى الحمامات تصب الماء فوق أكتاف وصدور
الفتيـات ،
والصابونة الصغيرة المعطرة تنزلق على القرميـد ،
تنبثق الفقاعات خلال أصوات الماء والضحك ،
تنزلـق امرأة وتهوى ،

وينزلق القمر من ضوء السماء ،
يصبح كل شيء زلقا بالصابون ،
ولا يمكنك أن تمسك به ، ولا — حتى — بنفسك :
هذا الانزلاق والسقوط العاجز هو الإيقاع المتوالد للحياة :
تضحك النساء وتسقطن بيضاوات كأبراج من رغوة، بلا وزن
فوق الأحراج الصغيرة لأفخاذهن •
هل تشبه السعادة ذلك ؟

ان بقاءنا هنا هذه الليلة يضعني في موقف بين بين •
وبالكاد يمكنني التمييز :
هناك — ربما — أقنعة كبيرة مهشمة ، وزخارف من حديد
وصندل الميت يتوه في الرطوبة ،
يتحرك من تلقاء نفسه كأنه يمشي بلا أقدام لا تمشي :
والشبكة الكبيرة في حوض الاستحمام — من الذي نسجها ؟ —
عقدة عقدة ، سوداء ، لن تحل — لم تكن أمي •

ظل بلا حدود ينتشر فوق القناطر •
حجر يتقلقل ويهوى أسفل واجهة الجرف —
لكن لا أحد كان يسير هناك :
ثم لا شيء •
ومن جديد ، غصن ينكسر تحت أوهى ثقل للسماء ،
وضفادع صغيرة تقفز بلا صوت في رشاقة خلال العشب
المبلول •

سكون •
فأر رمادي يسقط في الآبار ويغرق ،
وسط الأشكال البطيئة ، المتخثرة لدائرة البروج ،

هناك يرمون ببقايـا المآدب من الأباريـق والكراسى وأكواب النبيـذ والمرايـا ،
وعظام الحيوانات والقياثر ، وكلمات الحكمة .
ولا تمتـلىء الآبــار أبــدا .

شىء ما يشبه أصابع اللهب والندى يمر ـ متعاقبا ـ خـلال صــدورنا ،
يرسم دوائر حول الحلمة مثلما حول ضحيــة ،
ونحن أنفسنا منطلقون ، دائـرة فوق أخـرى ،
حول مركز غامض فوق الادراك ، لكنـه راسـخ :
لوالب لا نهائية حول صرخـة كظيمــة ،
جـرح من سـكين ،
والسكين ، فيما أظن ، مغروسـة فى قلبنـــا ،
لتصـبح المركز ،
كالوتـد فى منتصف سـاحة الدراس ، على التـل ،
والأحصنة ، والقمح ، والفوانيس ، والبغالـة ، والحصادون
يستلقون أمام أكوام التبن ، والقمر يريح رأسه على أكتافهم ،
وهم يستمعون الى الأحصنة تصهل عند حدود النوم ،
الى الثور وهو يبول على الصفصاف والشجيرات ،
الى الخطوات الألف ل « أم أربع وأربعين » على الصرير الخزفى،
الى الأفعى الكسولة وهى تزحف على بطنها خلال أجمة الزيتون،
الى صوت الأحجار التى ألهبتها الشمس وهى تبرد وتنكمش .

هناك كلمة صامتة عن الحب ، موصدة ـ أبدا ـ فى أفواهنا،
كحصاة أو مسمار ناتىء فى صندلنـــا :
لا نكلف أنفســنا عنــاء التوقف وخلعـه ،
أن نحـل السيور ، فنتـأخر :

نحن أسرى الايقاع اللاواعى للرحلة فيما وراء الوجع الأليم للحصاة ،
فيما وراء ما يلح على تذكيرنا بتعبنا ، وارجائنا •
ولربما نحس – حتى – ببعض الوهن ينخس الابتهاج
حين نتذكر أن الحصاة من شاطىء نكن له محبة خاصة ،
تمشية سارة ، مفعمة بالأفكار المضيئة والصور المتثالة ،
ونحن نستمع الى هذر التجار فى مقهى الشاطىء ،
والى أغنية البحارة ، وأغنية البحر :
أبعد ، أبعد ، مفقود ، أقرب ، غريب ، ملكنا •

لقد توقفت ، تلك المرأة البائسة •
وتلتمع جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
كأننى أستطيع أن أسمع حقيقة كلماتها في صمتها –
مباحة فى غضبها ، مقهورة ،
وشعرها يسقط على كتفها فى مرارة كزهور جنائزية –
مكفنة فى صدقها الهزيل •
ربما تكون – الآن – نائمة ، ربما تحلم ببلد بلا خطيئة ،
بماشية أليفة ترعى وسط بيوت مطلية بالأبيض ،
وشذا الورود والخبز الساخن •

لا أعرف السبب ،
لكننى فكرت – فحسب – فى تلك البقرة
التى رأيناها هذا المساء فى السهل الأتيكى – هل تذكرها ؟
متحررة من النير ، وقفت تحملق فى البعيد
وريشتا البخار من منخريها تضببان أرجوان الغروب، وذهبه، وبنفسجه •
صامتة ، تتحمل جراحا جديدة فى ضلوعها وظهرها ،
علامات للضرب على وجهها ،

كأنها جاءت لتعرف الطاعة والعصيان —
فالعناد والحقد يوجدان متوافقين .

لقد وازنت أثقل جزء من السماء بين قرنيها ؛ مثل تاج .
ثم خفضت رأسها لتشرب من الجدول ،
ولسانها المتخثر يلعق ذلك السائل الأبرد من صورته السائلة ،
كأنها بهذه الملاطفات الرحيبة ، الأمومية ، المحتومة ،
تلعق — في سكينة — جرحها الداخلي ، من الخارج ،
كأنها تلعق الجرح العميق ، الدائري ، الصامت ، للعالم —
فربما يرتوي عطشها .
من يدري ، فربما لا يروي عطشنا غير دمنا .

وحين رفعت وجهها عن الماء .
دون أن تمس شيئا ، أو تمس
مهيبة كقديس ، رفعت بين القائمتين الأماميتين الراسختين في الماء
بحيرة قرمزية ، صغيرة ، دائمة التحول — دما من شفتيها —
كخريطة للعالم تنتشر وتتلاشى تدريجيا ،
متبددة كأن الدم قد انسرب الى شريان أرضي ، خفي ،
ليتحرر أخيرا ، أبعد من الألم ؛
وكان أن عثرت هنا — بالتحديد — على سكينتها ،
كأنها عرفت أن دمنا أبدا لا يهدر ،
أن لا شيء أبدا يهدر ، لا شيء ،
أن لا شيء قد أهدر في هذا اللا شيء العظيم القاسي ، بلا عزاء ،
وغير المتكافيء في النهاية :
فادح العذوبة ، فادح العزاء — فادح العدم .

فى ذلك تكمن لانهائيتنا الانسانيـة ٠
فلأى هدف ـ اذن ـ لهاثنا ، والحاحنا ، ومجدنـا ؟
بقرة مشابهة تتبعنى كظلى ـ غير مربوطـة ٠
تأتى معى من تلقاء ذاتها ،
هى ظـلى على الطريـق حين يظهر القمر ،
ظـلى فى غرفـة مغلقـة ٠
ولا تنسى أبـدا :
فالظـل ناعـم ، بـلا جسـد ،
وظـلا القرنين يمكن أن يتحولا بسهولـة
الى جناحين مدببـين ليرفعاك فى الطيران ـ
كأن هنـاك طريقـة أخرى لعبور البـاب ٠

ورغم أن ذلك غير هام، على نفس النحو، فاننى أتذكر عينيها :
عينين مظلمتين ، واسعتين ، بلا بصر ،
مسـتديرتين كتلتين صغيرين من ظل أو زجاج أسـود ٠
وكان هنـاك برج كنيسة ينعكس على الزجاج بلا وضـوح ،
مع طيور « الزاغ » الجاثمـة على الصليب ،
آنئذ ، صاح شخص ما ، ففرت الطيور من عيون الحيوانات ٠
كانت البقرة ـ كما أظن ـ رمز احدى الديانات القديمة ٠
لكن مثـل هذه الأفـكار ، وهذه التجريـدات ـ
لا تعنى لدى شـيئا ٠
بقرة عادية مهمتها لبن الفـلاح ، والمحراث ،
مع كل حكمة عملها ، والصبر ، والفائـدة ٠
ومع ذلك ، ففى نفس اللحظـة الأخـيرة ،
قبيـل أن تبـدأ الحيوانات فى العودة الى القريـة ،
استدارت الى الأفق وخارت بصورة تدعو الى الرثـاء
تبددت الغصون القريبة ، والعصافير والسنونو ، والأحصنة.
والأغنام ، والمزارعون ،
ليتركوها وحيدة ، وسط دائرة جرداء

انبثقت منها الكواكب اللولبية فى أعماق الفضـاء ،
الى أن تلاشت البقرة نفسها ، هبطت …
لا ، لا ـ أظن أنها كانت هنـاك فى القطيـع ،
صامتة ، طيعة ، تشق طريقها فى الممر المعشب نحو القرية ،
والذى كان ـ فى تلك الساعة ـ يضىء مصابيحه فى ساحات
تخفيها الأشـجار •

انظر • شروق النهار •
الديك الأول يصـيح من وراء الأسـيجة •
يقظة البستانى : ربما يسـند شجرة فى الحديقة •
وهذه الأصوات المألوفة الحميمة لأدوات العمال :
المجارف والمنـاشير ، حنفية مفتوحـة فى الساحـة ، شخص
ما يغتسـل ، روائح التربـة •
ماء القهوة يغـلى فى البراد ،
نسيج ناعم من دخان فوق السطح، والأريج الدافىء للمريمية•
هكذا ، عشنا ليـلة أخرى •

تعال ، ساعدنى فى رفع هذه الجرة التى تضم رمادى المزعوم ـ
فمشهد التمييز على وشك الابتـداء •
سيعثرون فى على الرجـل الذى ينتظرونـه ،
سيعثرون على « الرجل الحق » ، حسب قوانينهم ،
ونحن وحدنا اللذان سنعرف أن هذه الجرة
تضم ـ فى الحقيقة ـ رمادى ، رفاتى الحقيقى •
ووسط احتفال الناس بالصنيع الذى قمت به ،
سيكون لنـا ـ نحن الاثنين ـ أن نبـكى على السيف اللامع ،
المجيـد ، الدامى ،
نبكى هذا الرماد ، الذى كان ـ ذات يوم ـ لهذا الرجل ،
الذى يواجـه ـ فى مكان ما ـ رجـلا آخر ،

وجلد وجهه الممزق يختفي تحت قنــاع من ذهب ـ
قناع طاهر ، كريـم ، وربما ـ حتى ـ مفيد ،
في شكله المنحوت الخشن ، كرمز أو تمثال ، كمخدر للشعب،
صورة للرعب من الطاغيـــة :
تدريب يدفـع التاريـخ الى الأمـــام ـ
مهما يكن ببطء ، وخراقـة ـ مع كل انتصار وموت متتابع ،
لا بأدوات أى وعى جديد رهيب (غير متاح للجماهير) ،
لكن من خلال بعض الأعمال الصعبة ، والايمان السهل ـ
ايمان صارم ، اجبارى ، وبائس ، معقود ألف عقـدة ،
حيث يتشبث به الكثيرون بأسنان وأظافر روح الانســان ـ
ايمان جاهـــل يمكن ـ كالنملة ـ أن يجترح معجزات تحت
غطاء الليـــل •

وأنا ـ غير المؤمن ـ قد اخترت هذا الايمان
(طـالما أنهم لا يختارونـــنى)
لكنني أفعـل ذلك عن وعى •
أختـار معرفـة وفعـل الموت الذى يهذب الحياة •
فلنمض الآن ، لا من أجـل أبى أو أختى
(لا بـد أن يجىء الوقت لأودعهم) ،
ولا من أجـل الانتقـام ، من أجـل الكراهيـــة ،
ولا ـ حتى ـ باسم العقـاب (من يعاقب من ؟) ـ
ربما ـ فحسب ـ من أجل استكمال برهـة وقت ما ـ
ذلك ـ على الأقـل ـ يظـل اختياريا ـ
ربما ـ فحسب ـ من أجل انتصار بلا معنى على خوفنا الأول
والأخـير ،
أو من أجل نوع ما من « نعـم » ، التى ستشرق غامضـة ،
بـلا فســاد ،
فيما أبعد من كل منـــا ،
على أمل أن تساعد هذه الأرض على التنفس •
انظر كم هى جميلة هنـاك في الشرق ••

يمكن أن تكون رطبة قليــلا فى الصباح البــاكر فى الأرجو ـ
والجرة مثلجة تقريبـــا ، تلتمع بقطرات قليــلة من النــدى
كأن الفجر ذا الأصابع الوردية ، كما يقولون ، قد نضح عليها
دموعـــــا ،
وهو قــابض عليها بــين ركبتيـــه ٠
فلنمض الآن ٠
فالساعة الموعودة قد حلت ٠
لماذا تبتسم ؟ هــل اتفقنـــا الآن ؟
أكان ذلك لأنك كنت تعرف كل شيء ، دون أن تتكلم ؟
هذه الخاتمة العــادلة لصراع أكثر عدالـــة ؟

فلتسمح لشفتى أن تقبــلا ابتسامتــك هذه المرة الوحيــدة
الأخـــيرة ،
الآن حيث لا يزال لدى شــفتان ٠
فلنــذهب بها ٠ فمصيرى الآن واضـــح لى ٠
هيـــا بنـــا ٠

(حينما وصلا البوابة ، تنحى الحراس كأنهم كانوا
يتوقعونهما ٠ فتح حارس البوابة العجوز الباب الكبير،
مطأطئـــا رأســه فى احترام كالترحيب ٠ وسرعـــان
ما تصاعدت ــ من الداخل ــ آهة ثقيلة لرجل ، تلتها
الصرخة المفاجئة الأليمة لامرأة ٠ ومن جديد ، سكون
عظيم ، لم يكسره سوى طلقات الرصاص المتقطعة من
الصــيادين فى السهل ، وزقزقـة الخضيرى والدورى
الطنــان والشــحرور والقبرات غير المرئيــة ٠ طيــوز
السنونو تنعطف ــ فى حــدة ــ على الجنــاح الشمالى
للقصر٠ خلع الحراس ــ بلا حراك ــ قبعاتهم ، ومسحوا

الشريط الجلدى الداخــلى بأكمامهم • وبعــد لحظــة ،
انبثقت بقرة ضخمة تحت قوس بوابة الأسد ، وعيناها
الكبيرتان الســاكنتان الفــاحمتان تحدقان عميقــا فى
سماء الصـــباح) •

بوخارست ، أثينا ، ساموس ، ميسيناى
يونيـــــو ١٩٦٢ ـ يوليـــــو ١٩٦٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨ غنوة عن الوطن المرير

* اعـادة تعميـد

كلمات بائسة تلك التى تعمدت من جديد فى المرارة والعويل
لتثمر أجنحة وتبدأ فى الطيران ، كطيور تبدأ فى الزقزقة ٠

أما هذه الكلمـة ، الأكثر تفردا ، الكلمة السريـة للحريـة
فانها ــ بدلا من الأجنحة ــ تنبت السيوف وتمزق الريح اربا٠

* حديث مع وردة

بخور مريم، وردة بخور مريم صغيرة داخل شق صخرى عميق
أين وجدت الألوان لتزهرى ، من أين الساق لتتماوجى ؟

داخل الشق ، قطرة قطرة ، أنسـج الدم الذى ظللت ألملمه
منديلا ورديا ، وألملم ــ الآن ــ الشمس ٠

* الانتظـار

أصبحت الليالى طويلة طويلة بكل هذا الانتظار الذى لا ينتهى
حتى أن غنوتنا مدت لها جذورا وكبرت بطول شـجرة ٠

وأولئـك المقيدون فى أغـلال من حديد وأولئك البعيدون فى
المنفى
يحاولون أن يطلقوا تنهيدة مريرة ــ فتنبت ورقة حور ٠

* الشعب اليونانى

كثيرا ما يواصل اليونانيون القتال بدون سيوف أو رصاص
من أجل شعوب العالم ، وخبزهم ، وأغنيتهم ، وضوئهم .

تحت لسانهم يحتفظون دائما بالعويل والهتاف
واذا ما بدأوا فى الغناء عنهم ، فستتشق أغنيتهم الصخور .

* طقس جنائزى

الجد يقف فى ركنه ، وعشرة أحفاد فى الركن الآخر
وعلى المنضدة رغيف خبز ، مع تسع شمعات فوقه .

الأمهات يمزقن شعرهن ، والأطفال محتفظون بهدوئهم
ومن النافذة تنظر « الحرية » وتنوح .

* فجر

عظيم فى البهاء ومترع بالشمس ، الفجر الرهيف للربيع
لكن أين من له عينان لينظر اليك ، ومن هناك ليحييك .

فى موقد البخور جمرتان وبضع حبات بخور
وصليب أسود ، مرسوم بالسبناج ، على عتبة باب وطننا .

* غير كاف

متواضع وبليغ لكنه يرى بضع كلمات على الأرض
يظنها ظل طائر صغير وظل الأعالى .

هل يعلن ذلك ، وما الفائدة ، فالسباب وحده لا يكفى .
آه ، بلا عمل تتعلق بندقيته الحزينة فى شجرة الكمثرى البرية .

* يـــوم أخضر

يوم أخضر ، يتلألأ فى الشمس ، منحدر جميل لتـل منسوج
من أجراس وثغاء الماشـية ، من آس وخشخاش ·

الفتـاة تنسـج أشـياء المهر ، والشـاب يجـدل السـلال
وقطعان الغنم على طول الشاطىء ترعى الملح الأبيض ·

* طقـس ديـــنى

تحت أشـــجار الحـور سرب طيــور وقباطنـــة متمرديـن
يبـدأون معا طقسـا دينيـا مع مايو الجديـــد ·

الطابـق الأرضى للوطن تضـيئه أوراق الأشـجار كالشموع
ونسر كبير يقرأ ـ من أعلى ـ الأناجيــل ·

* المـــاء

ماء قليـل من الصخرة ، تطهر بالصمت
وبسهر الطائـــر ، وظــل الدفـــلى ·

يشربـه المطاريد فى السر ويرفعون أعنـاقهم عاليـــا
تماما كالعصافير ، يباركون اليونان ، وطن الفقراء ·

* نبـــات بخـور مريـم

طائر صغير ، وردى اللون ، مربوط بخيـط نحيــل
وبجناحيـه الصغيرين الملتويين يرفرف تحت الشمس ·

اذا ما نظرت اليه مرة واحدة ، فسيبدأ فى الابتســـام
واذا ما نظرت مرتين أو ثلاثا ، فستنطلق فى الغنـــاء ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* فتيـــات نحيــلات

فتيات صغيرات نحيلات بامتداد الشـاطيء يجمعن الملح
ممرورات ، محنيـــات ـ لا ينظرن الى المحيـط ٠

هناك فى الخارج ، شراع ، شراع أبيض أبيض يومىء اليهن من
الزرقـــة
وعندما لا ينظرن اليه ، ينقلب الى أسود من الأسى ٠

* الكنيســة البيضـــاء

الكنيسة البيضـــاء ، على المنحدر ، التى تواجـه ـ مبـاشرة ـ
الشمس
تطلق الرصاص من خلال نافذتها الضيقة والقديمة ٠

وجـرسها المربـوط عاليـــا ، أعلى من أطول شـجرة دلب
يستعد طوال الليل ليدق احتفالا بعيد « الشعب المقدس » ٠

* تـــذكار

الشـبان الشجعان سقطوا فى المعركة ، محافظين على رأسـه
مرفوعـــة
لن يهال عليها الطين ، لن يمسه أبـــدا الدود ٠

الصليب فى عنقـه كجناحـين ، وما يزال يندفـــع عاليـــا
ينضـــم الى نســور قويـــة هناك والى ملائـكة من ذهب ٠

* هنـــا الضـــوء

هذه الكتل الرخامية الناصعة البياض لن يلوثها أى صدأ قبيح
ولا يمكن ليونانى أو لريـح وحشية أن تقيـد من كاحلها ٠

هنا الضوء ، هنا البحر ــ ومضات ذهبية وزرقاء فاتحة ،
وعاليا على الصخور ينطلق الدب حرا، محطما الأغلال الحديد.

* تزايـــد

كيف للبيت أن يبـنى ، من سيركب الأبواب فى أماكنها ،
طالما أن الأيـدى العـاملة هنـا قليلة ، والأحجار ثقيـلة ؟

فلتصمت ، فالأيدى ستزداد ــ أثناء العمل ــ عددا وقوة
ولا تنس أن الموتى أيضـا يقومون بالمساعدة طوال الليـل .

* ضمـــان

صامتـة هنا كل الطيور ، والأجراس أيضا صامتة
وصامت اليونانى المزير وجميع موتــاه حولـه .

وعلى هذا الصمت ، كما على صـخرة ، يسن أظـافره ،
وحده ، بلا مسـاعدة ، نحو حريـة مضمونة أبـــدا .

* من أجل روميوسينى لا تبكوا

لا تبكوا من أجل روميوسينى : عندما يلتف على عنقها الطوق ،
والسكين تدنو من العظم ، على حافـة الاحتضار ،

فهنا سوف تثب ، مبتدئـة من اللا شيء ، الى القوة والعنفوان
وتطعن الحيوان الوحشى بشمس كأنها حربـــة .



أقواس ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧

* معنى البساطة

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا على ،
وان لم تعثروا على فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدى ،
وتمتزج بصمات أيدينا .

قمر أغسطس يتوهج في المطبخ
مثل قدر مطلى بالقصدير
(أخذ هذ الشكل بسبب ما أقوله لك) ،
يضيء المنزل الخاوى والصمت الراكع للمنزل ـ
دائما ما يظل الصمت راكعا .

كل كلمة باب للقاء ،
لقاء من ليس في الحسبان ،
ذلك حين تكون الكلمة صادقة : حينما تتمسك باللقاء .

* جوع

انقضى الليل بفمه الملىء بماء أخرس .
في الصباح ، أشرقت الشمس مبلولة على الخطوط المتعرجة .

ظلال الوجنة ، ظلال الصارى ، الرحلات ــ
رأيناهم واضحين ــ وجوعنا لم يشبع ٠

كان شخص ما يصيح وراء الجبل ،
وشخص ما آخر وراء الأشجار ، وآخر من جديد ،
ومن جديد الامتداد الأقصى للغروب ــ
أين يجب أن نجرى ، أى طريق أولا ؟
هل يمكن أن نكون الأشخاص الذين كانوا يصيحون ؟
والجبال تصبح أكبر وأكثر حدة
مثل أسنان الشخص الجائع ٠

* وجه

وجه صاف ، صامت ، وحيد تماما
مثل وحدة كاملة ،
مثل انتصار كامل على الوحدة ٠
هذا الوجه ينظر اليك بين عمودين من ماء ساكن ٠

وأنت لا تدرى أى الاثنين يستحثك أكثر ٠

* صيف

النوافذ الأربع معلقة تنظم رباعيات
عن السماء والبحر فى الغرف ٠
شجرة خشخاش وحيدة
ساعة فى معصم الصيف ،
تعلن الثانية عشرة ظهرا ٠

وهكذا تحس بشعرك تقبض عليه أصابع الشمس
لترفعك حرا فى الضوء الريح ٠

﴾ ربما ، ذات يوم

أريد أن أريك هذه الغيوم الوردية فى الليل ٠
لكنك لا ترى ٠ انه الليل –
فماذا يمكن للمرء أن يرى ؟

الآن ، لا اختيار عندى سوى أن أرى بعينيك ، قال ،
وبذلك ، لا أكون وحيدا ، لا تكون وحيدا ٠
وفي الحقيقة ، لا شيء هناك فى الأعلى حيث أشرت ٠

وحدها النجوم تزاحمت معا فى الليل ، متعبة ،
كهؤلاء العائدين – فى عربة نقل – من نزهة ،
محبطين ، جائعين ، لا يغنى منهم أحد ،
بزهور بريئة ذابلة فى أيديهم الغرقانة ٠

لكننى أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ،
لأنك ان لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر –
سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك –
وربما ذات يوم ، من اتجاه مختلف ، سوف نلتقى ٠

﴾ اكتفاء ذاتى ؟

الصباح الخاص حمل الشمس على ظهره
وهو يتسلق التلال الأتيكينة
كشاب يحمل أكورديونه ٠

انقضـت الليلـة الأخـيرة بمتعتها ،
وبخـوفها من متعتها •
انقضى أيضا ذلك الحزن الذى لم يأمل فى انتهائه •

أشجار الصنوبـر ، والشمس ، والنوافـذ ـ هنـاك •
تحت الأشـجار كرسـيان • لماذا هما اثنـان ؟
آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك •

* اتفـاق نهائى

عندما ضرب المطر زجاج النـافذة بأحد أصابعه ،
انفتحت النـافذة الى الداخـل •
أهو صوتـك ؟
صوتك تشـكل فى أذنيك •
وفى الطرف البعيد هنـاك وجـه ، وصوت مجهول ـ
فى اليوم التالى ، زحفت الشمس الى الحقول ،
مثـل نزول الفـلاحين بالمناجـل والمذارى •
وخرجت الى الطريـق تصـيح ،
دون أن تدرى علام تصـيح ،
لتتوقف برهـة وابتسامة تحت صوتك ،
مثلما تحت المظلـة القرنفليـة ، المشرقـة
لامرأة تتمشى بامتـداد سـياج حديقـة •
هناك ، أدركت ـ فجأة ـ أنه كان صوتك الحقيقي
متوافقا مع كل الأصوات غير المتشككة
التى تملأ الهواء •

* اعـادة تشـكيل

ما تسميه سـلاما أو انضباطا ، شفقة أو لامبالاة ،
ما تسـميه فمًا مغلقـا على أسنان مطبقـة ،

لتشير الى الصمت العذب للفم ،
وهو يخفى الأسنان المطبقة ،
هو ــ فقط ــ الاحتمال الصبور للمعدن
تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبة ــ
هو معرفتك بأنك تنتقل من اللاشكل الى الشكل .

* فجأة

ليلة هادئة ، هادئة .
وقد توقفت تنتظر .
كانت ــ تقريبا ــ آمنة .
وفجأة ، لمسة على وجهك ، مفعمة بالحيوية ،
من شخص غائب . سيأتى .
ثم صوت المصاريع وهى تنغلق بنفسها .
الآن ، تتزايد الريح .
وأبعد قليلا ، كان البحر يغرق فى صوته .

* سيرك

سيرك ليلى ، الأضواء ، الموسيقى ،
العربات الوامضة بامتداد الشارع .
عندما تنطفىء الأضواء فى المنطقة المجاورة
عندما تلقى الملاحظة الأخيرة كورقة جافة ،
تبدو واجهة السيرك
مثل طاقم ضخم من أسنان مستعارة
آنئذ ، تنام آلات النفخ النحاسية فى صناديقها ،
وتسمع الحيوانات تخور على المدينة ،
والنمر يحدق فى ظله ، فى قفصه ،
يخلع مروض الحيوانات رداءه ، ويدخن سيجارة .

وبين حين وآخر تضيء المنطقـة المجاورة
عنـدما تومض عيون الأسود خلف القضبان .

* أصيـــل

في الأصيل يسقط الجص كله، وحجارة سوداء، وأشواك جافة.
للأصيل لون صعب صنعته خطى عجوز تعرج في المشى ،
وجرار قديمة مدفونة في الباحة ، يغطيها التعب والتبن .

قتل اثنان ، قتل خمسة ، اثنا عشر ــ كثيرون كثيرون .
كان لكل سـاعة قتلها .
خلف النوافذ وقف أولئك المفقودون ،
والابريق المملوء بالماء الذى لم يشربوه .

وتلك النجمة التى هوت على حافة المسـاء
تشبه الأذن المقطوعة التى لا تسمع الجداجد ،
لا تسمع تبريراتنا ــ لا تنزل لتسمع أغانينـــا ــ
وحيـــدة ، وحيـــدة ،
وحيـدة ، معزولـة تماما ،
لا تبالى بالادانة أو البراءة .

* فهـــم

الأحــد . أزرار السترة تومض
مثل ضحكة متناثرة . الأتوبيس رحــل .
أصــوات سـعيدة ــ
غريب أن تكون قادرا على أن تسمع وتجيب .
تحت أشجار الصنوبر عامل يتعلم العزف بآلة نفـخ .
وامرأة قالت صـباح الخير لشخص ما ــ

صباح خير بسيطة وطبيعية
حتى أنك ـ أيضا ـ ستحب أن تتعلم
كيف تعزف بآلة نفخ تحت أشجار الصنوبر .

لا قسمة أو طرح .
كى تستطيع النظر خارج نفسك ـ دفء وسكينة .
لا أن يكون « أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » .
اضافة صغيرة ، حسبة عملية صغيرة ،
سهلة الفهم ،
الى حد أن طفلا يمكنه حلها ،
وهو يلعب بأصابعه فى الضوء ،
أو يعزف بآلة النفخ تلك للمرأة التى تسمع .

* نسخة مصغرة

وقفت المرأة أمام المنضدة .
تبدأ يداها الحزينتان فى تقطيع شرائح ليمون نحيلة للشاى
مثل عجلات صفراء لعربة صغيرة جدا
مصنوعة لاحدى حكايات الأطفال .
الضابط الشاب الذى يجلس فى المواجهة
مدفون فى الكرسى القديم . لا ينظر اليها .
يشعل سيجارته .
يده التى تمسك الكبريت ترتعش ،
وهى ترمى بالضوء على ذقنه الرقيقة
ويد فنجان الشاى .

أوقفت الساعة دقتها برهة .
شىء ما تأجل .

مرت البرهــة . فات الوقت الآن .
فلنشرب شـاينا . أيمكن للموت ، اذن ،
أن يأتي في عربـــة من هذا النوع ؟
يمر علينـــا ويمضي ؟
ويكون لهذه العربـة وحدهـا أن تبقى ،
بعجلاتها الصفراء الصغيرة المصنوعـة من ليمون ،
متوقفـة لسنوات طويلة في شـارع جانبي منطفيء ،
وبعدهـا غنوة صغيرة ، وضباب قليـــل ،
ثـم لا شيء ؟

* نســاء

النســاء بعيدات ، بعيـدات .
تفوح ملاءاتهن بـ « تصبـح على خير » .
يضعن الخبز على المائـدة حتى لا نشعر بأنهن غائبـات ؟
تـدرك ــ آنئـذ ــ أنـه خطأنـا .
ننهض من الكرسي ونقول :
« لقد بذلت اليوم جهدا شـاقا » ،
أو « دعيـه ، سأضيء المصباح » .

عنـدما نشعل الكبريت ، تستدير ببطء ،
وتخرج الى المطبخ في احتشاد غير مفهوم .
ظهرهـا تل حزين ممرور ، مثقل بموتى كثيرين ــ
موتى العـائلة ، موتـاها ، وموتك .

وأنت تسمع خطواتها تفرقـع
على ألواح الأرضية العتيقـة ،
تسمع الأطباق تصرخ في الرف ،
ثم تسمع القطار الذي يأخذ الجنود الى الجبهة .

* لوحة ثلاثية :

١ – الى أن حل الظلام :

أمسك بيدها فى يده · لم يتكلم ·
سمع بعيدا ، وربما داخله ،
البحر ، وأشجار الصنوبر ، والتلال كانت يدها ·
ان لم يقل لها ذلك ، فكيف يمكن أن يمسك بيدها ؟

كانا ساكنين ، الى أن حل الظلام ·
وتحت الظلام ، لم يكن هناك
غير تمثال بيدين مكسورتين ·

٢ – امرأة :

تلك الليلة : وهى عشيرة المناك ، لم تقبل أحدا –
وحيدة فى خوفها من عدم وجود من يقبلها ،

بخمسة أصابع من نجوم تخفى جميلة شعر بيضاء ،
وهى جميلة مثل انكار ذاتها الفاتنية ·

٣ – لماذا هو خطائنا ؟

تحت لسانك بقايا رقيقة من سمك البوريل ،
بذور عنب وألياف خوخ
فى ظل رموشك بلد دافىء ·
يمكننى أن أتمدد وأسترخى بلا سؤال ، قال ·

ما الذى يعنيه ذلك الآن ، هذا البعيد أمامنا ؟
لماذا هو خطائك ، دون شك ، أن تظل وسط الأوراق –

جميلا ، بسيطا ، في الشكل الذهبي لحرارتك ؟
ولماذا هو خطئي أن أمضي قدما في الليـــل ،
سجين حريتي ، قال ، أعاقب المعاقب ؟

* ممطـــرة

موسيقى ليلـــة سـبت بائسـة
تأتي من مدرسـة الرقص المجاورة .
موسيقى بائسـة ، مثلجة ، بأحذيـة خشبيـة ـ
في كل مرة ينفتح البـاب غير المطلي
تنـدفـع الموسيقى خارجـة الى الشوارع ،
ترتعش تحت الضوء ـ في الركن ،
تحدق في نافذة عاليـة أو في الليـل ،
ثم تهبط بنظرتها الى الطـين ،
باحثـة عن شيء ما ، منتظرة شيئا ما ،
كأن شخصا ما مريض ، وأبطأ الطبيب في المجيء اليـه .

موسـيقى بائسـة . برد .
لا أحـد يفتح نافذة ليقدم لك قليلا من الضوء ،
أو بعض الزبيب الأسود ،
ليقول لك : انني أذكر ـ منذ عشرين عاما أو ثلاثين ـ
بعض الأصوات من عربات قديمة في المطر ،
مشهدا طبيعيا ضبابيا مرسوما على نظارات «تيلوس أجراس» .

لكن الأحذيـة طينية ومليئـة بالثقوب ،
الأزواج يهربون الى الشارع . لا يسمعون .
رجـل يتوقف بجوار الحائط .
لا . لا يسـمعك .

يلصق شيئا ما بالحائط ٠
والسكين وحدها على المائدة فكرة ، ومضة ضوء ٠

موسيقى بائسة ، ان استطعت أن تتوافق
فلتأت عبر فتحة ابط الجوار ٠

* نفس النجمة

الأسقف تلتمع ـ مبلولة ـ في ضوء القمر ٠
النساء يتدثرن بالشيلان ٠
يندفعن ليختبئن في منازلهن ٠
واذا ما ترددن قليلا على العتبة
فسيمسك بهن القمر صارخا ٠

ذلك الرجل يشك في أن كل مرآة
بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة في عريها ـ
تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ ٠
تستغرق في النوم وهي تتشمم نجمة ٠

ويستلقي يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة ٠

* نتيجة

هذه النافذة وحيدة ٠
هذه النجمة وحيدة ٠
كسيجارة منسية على المنضدة ـ
تدخن ، تدخن في الزرقة ، وحيدة ٠

وأنـا وحيـد ، قال ٠
أشـعل سيجارتى ، أدخن ٠
أدخن وأفكر ٠ لست وحيـدا

* ننتظـر

ببطء يحل الظـلام حولنـا ٠ لا نستطيع النوم ٠
ننتظر الصباح ٠ ننتظر الشمس
أن تضرب صفيح السقيفة مثـل شاكوش ،
أن تضرب جباهنـا ، وقلوبنـا ،
أن تصـبح صوتـنا .
وأن يصـبح الصوت مسموعـا ـ
صوت مختلف
لأن الصمت ملء بطلقات البنادق من أماكن مجهولة ٠

* هـل تسـتطيع ؟

رأينـاه يركـع فى أقصى الأوضـاع عموديـة ،
ينفخ تحت القـدر النحاسى الضخم
ليطعم النـار باستهلاك نـاره ٠
نافـد الصبر ، وهو ينفـخ بقـوة ،
يكبحه جلده ، عاجزا عن التـلاؤم داخلـه ٠

ارتعش الضوء فى الأفـق
عنـدما انفتحت عروقـه وانغلقت ٠
من نبضه انتفـخ لحـاء الكروم
ودفـع الأوراق الجديدة مدومـة بلا حركـة ٠

هكذا ، منحنيـــا ،
انفق نفســه من أجـل أن تظـل منتصبين ،
أنت وأنا ، دون أن يفكر مرة واحـدة
أننـا مدينون له ، ذات يوم ، بشيء •

كيف ــ اذن ــ يمكنك أن تظل منتصبا على الأقـل ؟

* الشــكر

لن تقول شــكرا لى ،
مثلما لا تقول شكرا لدقـات قلبـك
وأنت تنحت وجــه حياتــك •

لكننى سأقول لك شــكرا
لأننى أعرف دينى لك •

هذا الشــكر هو أغنيتى •

★★★

* نقـاهة الطفولـة

فلنغلق أعيننا برهـة

ليمكننا أن نسمع الأم وهي تغسل الأطباق في المطبخ

ليمكننا أن نسمع السكاكين والشوكات وهي تسقط في الدرج

ليمكننا أن نسمع حفيف ثوبها في الممر

وابتسامة السيدة العذراء تطوف بحاجز الأيقونات ٠

في الغد لن نكون مرضى بعد ؛ انظر في الترمومتر ٠

ما يزال دافئـا من ابطنـا ٠ ٠

أبانـا الذى فى السمـاء

فلتقل لابنـة عمى الصغيرة أن تأتي غـدا

كى نستطيع أن نقوم بنزهـة قصيرة فى الغابة مع الأيـل ٠

سـأجمع لوزا طازجـا لها ٠

أيل أزرق سـياتى ، يا أبانـا ،

لنستطيع النوم

أيـل أزرق أزرق

يـا أبانـا

الذى

فى السمـاء ٠

* تـأخير

متأخرون دائما . وساعتنا أيضا مخطئة . بطيئة .
نبحث عن مقعد فى الظلام ،
مثل تلك المرة فى نهاية المسرحية
ـ مر وقت طويل من العرض ـ
ونحن نسقط على ركبنا فى الممشى وفوق المساند الخلفية -
وفجأة يضيئون الأنوار وسط التصفيق .
ونحن واقفون ، ما نزال نبحث ، كأنهم يصفقون لنا
نحن من لا نستحق .
انتهينا الى أول مقعد
ونحن ندوس على أقدام عجوز قبيحة .
لم تصرخ .

* تبـديد

بددنا نظرات ، وكلمات ، وحركة .
فى الظهيرة سنحدق ـ نحو البحر ـ فى خسارة ما
بين أصوات زيز الحصاد ، بين الأوراق ـ
نظرات مبعثرة كى لا نرى ما بأيدينا .
فى المساء أخفت العتمة ظلالنا المتناثرة .
مقعد خشبى ، طويل ، ضيق
مع قمصان رياضية ليست للبيع
منتصب خارج الطريق فى الميدان المجاور .
فاح الميدان برائحة شموع منطفئة .
ما من ذريعة أخرى لنا
غير الاستماع الى فواق نجمة خلف الباب .

* نمط الاكتساب

أيا ما كان ما تمسكه في يدك
بكل هذا الحرص ، بكل هذا الحب ،
مهما كان ــ بكامله ــ ملكا لك ، يا رفيقي ،
فعليك بالتخلي عنه
ليمكن له أن يصبح ملكا لك .

* حنان منسي

كانت الجدة امرأة طيبة ، كانت هادئة .
بجانب عينيها كانت هناك تجاعيد دقيقة كثيرة
كتجاعيد مفارش الشاي المطرزة بعناية .
كان لها أيضا قلب خفيف
مثل حقيبة صغيرة ملأى بالقطن .

رحلت الجدة .
ربما ذهبت لتغزل قطنها على حافة مستوقد الليل العظيم .
لكن كيف أمكن للجدة أن تخرج من المنزل ، وفي المطر ،
بل وحتى دون أن تأخذ شالها الصوفي ؟

الفتاة الصغيرة تبكي في كرسي المدخل .
المطر الخفيف يبكي أيضا على سلالم كنيسة « الكومينوس » .
لم يبك أصغر الأحفاد ، وهو يرى كم هو جميل
أن يبكي المطر والسلالم والكرسي والفتاة الصغيرة جميعا
على الجدة الصغيرة التي تنسج الآن صوفها الخفي .

* كسل

جلس وحيدا في ظلام الغرفة يدخن .
ما من شيء كان يرى .

ومضة سيجارته وحدها تحركت ببطء ، بين حين وآخر ،
باحتراس ، كأنه كان يطعم فتاة مريضة بملعقة من فضة ،
أو كأنه كان يداوى جرح احدى النجمات بمبضع صغير ٠

* أيدى

كثيرا ما تشبه الأيدى الوجوه أو الأجساد بكاملها ٠
هذه الأيدى تبقى كسولة فى الربيع المبتسر ،
تعطس ، تكح ، تشكو ، تصمت ،
كعجوزين على كرسيهما ، وأزرارهما مفتوحة ،
بأعضائهما التناسلية الذابلة فى الشمس ٠
فى المواجهة ، امرأة ترضع طفلها ٠
ويداهما ، برغم سكونهما ، عداءان عاريان
فى حلبة شاسعة من رخام ٠

* تقويم مكتبى

شهور على شهور ، أسابيع ، أيام ـ عام غير معروف ٠
أبريل بنظارات قصر النظر على دكة الحديقة ٠
يوليو يمنعك من النوم وحيدا ٠
سبتمبر يتذكر المنازل المغلقة ـ
وردتان من ورق ومشط بأسنان كبيرة على المنضدة ٠
فى نوفمبر يحمل رجل ما حجرا على ركبته ٠
يناير ، فبراير ـ الجميع ذهبوا الى الخارج
ملامح اليأس من الريح
فى واجهة الباب الزجاجى للفندق المغلق ٠
ثم تظهر خادمة النهار الصامتة فى الفجر
بممسحة كبيرة لتنظيف النوافذ ٠

* ليـــل

الليـــل يعريك ، يداه ترتعشـــان .
عاريـــا تماما ، يلتمع جسـدك فى الظـــلال .

ذلك الصفر الحكيم الذى اعتصر رقابنـــا
ينقســم فجأة نصفين
كبيضـــة مسلوقـــة تنشطر بســكين .

* نقطـــة

هديـر عميق يطن حـول كل نجمـــة .
قوة ما سريـــة ، محزنـــة
أعتمت الأشـــجار .
نقطـــة الجذب الوحيـــدة فى العتمـــة :
دوائر ضوء لمدة دقيقتين ،
وركبتـــا المرأة الصامتـــة .

* اقتصـــاد

لا أريـــد أى شيء ، قال .
انــه يشــبه ذلك تمامــا .
فما يرى طوال الخريف كله
غير النوافـــذ المغلقـــة لبيت المســـنين .

ذلك الحبل الذى استخدموه فى ترويض الحصان
مرمى الآن وحيــدا حــول جــذع الشــجرة .

* الوحيد

ذلك الذى توقعوه - لبعض الوقت - لم يحدث .
فى الشرفات ، أنزلوا الأعلام ...
الجدران تفوح - بقوة - بالغربة .
السند الوحيد - الآن - هو الافتقار لأى تبرير .

* نفس الشوكة

وقف الليل فى مواجهتنا ،
تماما كواجهة لدار أيتام من طابقين ، مغلقة النوافذ .

فى اليوم التالى ، أخرجت امرأة - تحت الأشجار -
شوكة من باطن قدمها -

نفس الشوكة التى ندوسها كل يوم .

* مؤكد - غير مؤكد

العالم سلسلة طويلة من أغان
عليك أن تغنيها ، قال .
العالم شجرة ملأى بفاكهة
لا يقطعها غير سيف .

السيف يقطع الأغنية .
والأغنية تثلم السيف .
فما الذى تختار ؟ قال .
كيف يمكنك الاختيار بين ما تم اختياره بالفعل ؟
العالم أغنية عميقة مغلقة .

* الذى لم يرقص

حرك أصابعه الضخمة على المنضدة
كأنه يغمسها فى نهر • لم يتكلم •
وجهه مصبوب فى حديد •
أحس بصهيل حصان أحمر
يحمحم داخل غرزات سترته •
لم يرقص • رمى بعملات كبيرة ، غليظة
الى عازفى الكمان كى يرقص الآخرون •

* تخطيط

يحل الظلام • والنساء الفقيرات مازلن ينتظرن فى طابور أمام المخبز •
الشعراء ينتظرون فى طابور أمام القمر الجديد ،
حتى لو كان العشب المعزول على حافة الطريق
لا يسمح بأية فائدة بالمرة •

أتوبيس مر • أضيئت الأنوار •
كم تحدثنا ــ ببساطة ــ هذه الليلة •

* صوت الصمت

ليل • لا صوت أبداً •
هدير الفضاء وحده
وذلك القمر الشفاف غير المحدد
والذى ظل ضوءه بلا شكل ويجرحه •..

* عــلامة

أحيانــا ما لا يكون في الغابـة كلها غير شجرة وحيدة
تهتز أوراقها جميعا ، بـلا أيـة نسمة أبـدا .
وفي الحال تتحول الى سكون وخامى من جديد
مثـل شمعدان غير مضـاء في قلب الليــل
يقطــع أنفاس الرعـاة والأحصـنة والنجوم .

* في أطـــلال معبـد قديـــم

حارس المتحف كان يدخن أمام حظيرة الغنم .
كانت الغنم ترعى وسط الأطـلال الرخاميـــة .
وفي الأسـفل البعيـد كانت النساء يغتسلن في النهر .
وكان يمكنك أن تسمع طرقـة المطرقـة في دكان الحداد .
صفر الراعي . جرت الغنم اليه كأن الأطـلال الرخامية كانت
تجـري .
والقفا الغليظ للماء التمع بالبرودة خلف أشجار الدفلى .
نشرت امرأة غسيلها على الشجيرات والتماثيـــل ـ
نشرت سراويل زوجها الداخلية على أكتاف هيرا .

الفـة صامتـة ، ساكنـة ، غريبـة ـــ عامـا بعد عام .
على الشاطىء الأسفل ، مر الصيادون بســلال عريضـة
ملأى بالسمك على رؤوسهم ، كأنهم يحملون
ومضــات ضوء طويـلة وضيقـة :
ذهبيــة ، ورديـة ، بنفسجية ـ
موكب شبيه تماما بنفس ذلك الموكب
الذى كان يحمل وشاح الربة الطويل المطرز بترف ،
الذى قمنـا بـه في اليوم الآخر
لنصنع منه مشاتر ومفارش لمنازلنـا الخاويــة .

* جزيبة

منحدر التـل يتغطى بأقماع الصنوبر وأشواك الصنوبر -
في القمة توقفنـا لنتسمح الأسـفل
الوهـد يهدر بأشجار البـلانيرة في البعيـد
مع النعيب الوحشي للطيور والأنهار
والشكوى المزقزقـة الخافتـة من طائر أسود
نقشت المســاء المتجمد فوق الهدير العظيم ·

هنا تزاوجت الأحصنة المتعجرفة، دون ارتباط بحب أو أبوة -
الأفــق صهيل بــلا حـدود
وفي الأعلى هنـا ، لا يحقـق الركوع أي غفران ·

روح الجبل ظلت ساهرة ــ في عنـاد ــ على المعرفة والجهل
بالمـوت ،
شامخة بكبرياء الحاضر غير الهادف ، غير المحـدود ·
فوق الكانتين النجاوي سمعنا ،
مثلما فوق صوت طبول مجنبدة ·
الأصابـع المقتحمة للبرد الهائـــل ·

ساموبس ــ ليكا : ١٩٥٨/١/٧

* بخـنور

حـدق في الضـباح من خـلال النافـذة ·
أحس أن الزرقـــة تزحـف ــ بالضبط ــ على جلـد الطائر
أو الغيمـــة ·
ارتاب في أن تمس الاحسانين بالملمس راؤه عتيقة تقل الشجرة
أيضـا ·

والدخـان تصـاعد من المداخن كأنـه يعترف
بسر الحرارة فى الغرف التى كانت ما تزال مغلقـة ٠
على هذا النحو ، كل صـباح ، تدخن كل البيوت ٠
والرجال ، وهـم يخرجون مبكرين الى العمل ،
يشعلون سجائرهـم على العتبـة ،
كأنهم يتذكرون الها مجهولا ، ملكهم تماما ، ولا يبلغه أحد ٠

* نكايـة

مـرت الليـلة مظلمـة للغايـة ٠
ركضت فى الريـح صرخات هائـلة ٠
فى اليوم التـالى ، لم نتـذكر شـيئا ٠
كانت هناك فجوة عميقة باقية فى الزمن ٠

هنـاك حيث أوى الذئب ،
كان أخدود يتغطى بشعر ذئب دافىء ٠
الآن يمكن للأغنـام أن تستلقى هنـاك ٠

* أحـداث جاريـة

صحف ، ثورات ، استنكارات ، اكتشافات ، زيجات ، ميتات،
عرق ، غبـار ، ظـلام ، صيدليـات طول الليـل ،
سلم يرتفع فى تهور ، سرقـات ، جرائم ، ظلم ،
بغايا ،كلاب ، سماسرة ، سجون ، رطوبة ، سكارى ،
عميان ، متسولون ، جيتـار ، الشجرة ، المشنوقون ، عمود
الانـارة ٠

نجمة بين مدخنتين طويلتين ٠ شكرا ٠
لقد تركت المفتاح فى نفس المكان الذى تعرفـه ٠

* ربيـــع

جلســا فى الحقــل فى مواجهة بعضهما ،
خلعـــا حذاءيهما ، وباطن قدميهما ــ العــاريان هكذا
تلامســا فى العشب الطويــل • وبقيـــا •

* اكليـــل

كان وجهك مختبئــا فى الأوراق •
قطعت الأوراق واحدة واحدة لأقترب منك •
عندما قطعت الورقة الأخيرة كنت قد ذهبت •
فضفرت من الأوراق المقطوعـــة اكليـــلا •
لم يكن لدى من أهديـــه لـــه •
فعلقتــه على جبينى •

* صــور جانبيـــة مســائية

ما تزال يداهــا صغيرتــين ،
معذبتين بالتوقـــع وبالزمن المضاعف ،
شــاحبتين على ثوبها الأســود •
كانت تجلس وحيــدة فى الباحة ،
تحدق ــ فى عزلتها ــ فى المراكب التى تتلاشى •
فجأة ومض الغروب على خاتمها
كما على نوافذ قريــة عاليــا فى التــل •
آنئذ ، غطت الخاتم ــ فى حنان ــ بيدها الأخرى ،
أغمضت عينيها أولا ، ثم ابتسمت •

البعيد ــ ١٩٣

* تعبير الخريف

الرطوبة الهائلة بدأت . رحل المصطافون .
بهتت الآن علامة الفندق ، صفراء
مع الاسم بالأزرق ، معلقة تحت غيمتين .
عاملة النظافة ستمر بها ببطء فى الصباح
فى طريقها الى غرف المتزوجين حديثا ،
بستائرهم المسدلة وشباشبهم ما تزال دافئة تحت الأسرة .

* رسالة

السمكرى فى الأفرول على السلم .
باطنا قدميه عريضان .
أنابيب موقد التدفئة تلمع على الأرضية
مثل سيقان أشجار فى غابة فضية .
عاليا هناك ، فى مواجهة الحائط ، يشعل سيجارته .
مطرقته تدق وسط شرارات حمراء صغيرة .
ما الذى نفعله فى موقد تدفئة هذا الوقت ؟
فالآن ، سيحل الصيف فى أى يوم هنا .
والدجاجات بدأت ـ فعلا ـ فى وضع بيض أزرق قوى
بجوار برميل النبيذ والمحراث .

* ثلاثية

وهو يكتب ، دون أن ينظر الى البحر ،
يشعر بأن سن قلمه يرتعش ـ
انها اللحظة التى تضاء فيها المنارات .

* الليـــالى والتماثيـــل

ترحـــل الليـــالى بخطوات واسـعة ·
ذلك هو السبب فى أن أجمـل التماثيـــل
تقف مضمومـــة القـــدمين ·

***

البعيـــد

* بعــد

قســـنا المكان ، ألقينــا بالميت فى الجير ،
بعد ذلك اعتلينـــا القــارب تحت أوهى الأقمار ،
الرابــع حمل الصندوق الحديدى على ركبتيـــه
تكور على نفســـه
كأنــه يستمد حرارة من نار سريــة داخله ٠
والدخان ظــل خفيضا فوق الماء ، لم ينقشع ٠

* هبـــوط

« ايوريديس » ، نادى ٠ نزل جريـا على السلالم ٠
لم يكن هنــاك ضوء فى صــالة المدخــل ٠
بحث بيديــه عن المرآة ٠
وفى الطرف البعيد كانت المرأة ذات المظلة الصفراء ترحل ٠
المرأة الثانية فى الطابق الأرضى زعقت فيه : « لقد ماتت » ٠
والطيارون الثلاثة خرجوا من المصعد بدولاب كبير ــ
داخله كانت يداها المقطوعتان ومخطوطاتى ٠

* حــوار قصــير

اشتعلت السماء وحيــدة خلف البيوت ٠
لماذا تبكين ؟ ، قال ، وهو يثبت حزامــه ٠

العـالم جميـــل ، ردت ،
جميل جـدا بمثـل هذا الصـداع القطيـع ،
والسرير حيوان صـامت ، متوحش يتأهب للرحيـل .

* لأن

لأن الأتوبيسـات قد توقفت أمام السـياج
لأن الدمى في نوافـذ الدكان المضـاء أومأت لى
لأن الفتاة ذات الدراجة توقفت خارج الصيدليـة
لأن النجار حطم الباب الزجاجى لقاعـة البيرة
لأن الطفـل كان وحيدا فى المصعد مع قلم مسروق
لأن الكلاب هجرت فيـلات الشـاطىء
لأن المبشرة الصـدئة قد تغطت بالقراص
لأن السماء كانت رمادا بـه سمكة حمراء
لأن الحصان على الجبل كان أكثر وحـدة من النجمـة
لأن هؤلاء وأولئـك قد تم اصطيادهـم
بسبب ذلك ، بسبب ذلك وحـده ، كذبت عليـك .

* اكتمـال تقريبـا

تعرفين أن الموت غير موجود ، قال لها .
أعرف ، نعم ، أننى الآن ميتـة ، ردت .
قميصـاك تم كيهما ، فى الدرج ،
الشىء الوحيـد الذى أفتقـده هو وردة صغيرة .

* عـرض غـزلى

كانت المرأة ما تزال ممددة على السرير .
أخرج عينـه الزجاجيـة ، ووضعها على المنضـدة ،
خطـا خطوة ، وتوقف .

هل تصـــدقيننى الآن ، قال لها ·
التقطت العين الزجاجيـــة ، قربتها من عينها ،
نظرت اليــــه ·

* حمـــى

ميادين صغيرة فى حركة دائبة ، والواحد يخترق الآخر ،
الواحد يخرج من الآخر : مبنى ، خرابــة ،
مدينـــة من نوافــذ فــوق نوافــذ ،
فى اليمين واليسار ركنان ينتصبان بلا اتساق ،
وفى الوراء تماما ، بلا ضوضاء ، الانهيار العظيم وسط حركة صــامتة ،
بينما الكلاب المهزولة الثلاثة تزداد ابتعادا فى الميادين المتتالية التى تفوح برائحة موتى غرباء عند سلالمها الكبيرة فى الطرف البعيــــد ،
هناك حيث المرآة ترفع ــ عارية ــ الأرنب المسلوخ أمام مرآة ·

* الرجـــل ذو الذراع الواحـــدة

أربع مناضد مستديرة ، عارية بطول الصالة الضيقة الطويلة،
يضربهم الضوء مثل رماد، يهطل من النافذة البللورية الكبيرة،
بجوار المنضـــدة الثانية ، دون انفصـــال
وقف الرجل ذو الذراع الواحدة ، معاديا تقريبـــا ،
ذراعه كانت حمراء كلها ، وكان يحمل كتابا برتقاليا صغيرا ــ
المسألة كلها أننـــا لم نعرف أبدا ما الذى سيجرى ·

* شـــكرا

سمعت صوتك وهو يقول : شـــكرا
(بطبيعية بكماء ، غير متوقعـــة) ــ

كنت على يقين الآن :
أن جزءا كبيرا من الأبدية قد أصبح من نصيبك .

* خطوات واسعة

استلقى السكارى ، وغرقوا ـ حالا ـ فى النوم .
راجع الحسابات ، أطفأ النور ، وذهب الى الحديقة .
أحس ـ تحت حذائه ـ بطراوة البرعم الدائرية .
أيها البعيد ، أنت المنسى ، بلا سياج ، أيتها النبوءة .
قطرة من نبيح قمر سرى على ورقة واحدة .
وفجأة تضاء النوافذ السبع كلها خلف الأشجار .
السكارى ، وهم يقفون على الأسرة ،
يعرضون لبعضهم بعضا انتصاباتهم .

* فى السر

سمعهم ينادون باسمه فوق الماء .
تأكد أن ذلك كان من أجله . اختبأ .
خرجت سفينة ضخمة مضاءة بصورة ساطعة من الميناء .
على المعبر المرأة ذات القبعة ـ مزركشة ضخمة .
حجبت عن الرؤية البرج المعتم ، والقمر ، والسقالة .

* وضع مريب

شاحب ، شاحب للغاية ، فى شعره أشواك ـ
أشواك حتى كتفيه ، حتى خصره ، حتى باطنى قدميه ـ
ربما كانت بالفعل أجنحته ،
لأننى ما ان نظرت ـ مرة ثانية ـ ناحية الباب ،
لم يكن هناك سوى دخان قليل مكان المطرقة .

* متلبس بجريمـــة

صوب كشاف الضوء ـ مباشرة ـ الى وجهه ،
فلنره ، وهو مختبىء على هذا النحو فى الليل ، ونجعله يحمر خجـلا ،
له أسنان جميلة ـ ويعرف ذلك ، يبتسم
والقمر الصغير فوق التـل المقصوف بالقنابـل ،
وأطفـال الحطابين فى الأسـفل عنـد النهر ٠

* مع ما يتعـذر بلوغــه

بعيد جدا جدا ـ ولهذا منيـع أيضـا ـ قال ،
لكن لا أحد بعيد بما يكفى ، لا أحد بقدر ما يريـــد
بقدر ما يسـتطيع أو ما يجب ٠
يربـط رسـغه بمنديـله
أبكم ، لا ايماءة واحدة ، لا أحمر ولا أسود ،
منـديل أبيض : الأبيض الأكثر كثافـة ، والأبعـــد ٠

* فجـــر

ظلمـة أرضيـة عميقة حتى النهايـــة ٠
أضيئت نافـذة واحــــدة ـ
ماسـة خضراء كبيرة مسروقــة ٠
السماء بيضـاء تماما ، عاريـة تمامـا ٠
أيها الفجـر السرى ، قال ـ
جلد أبيض منقوش بمسام حمراء ، حلم ،
حلم مندمـل ، وندبتك أكثر بياضـا فى معابدنـا ٠

* مع الموسـيقى

خزانات كثيرة ، دواليب كثيرة ، والكمان مرمى على السرير ،
الأسود والأبيض فى معينات متزاحمة متقاطعة
والعجوز الشمطاء الأولى ذات العجيزة المشوهة ، السمينة
وزهور وسـجائر ولؤلؤة عميـاء
وزخرفـة صغيرة موشاة بالذهب على البيـانو ـ
فى الدخان طفت الأيـدى النبيـلة ،
اللوريـات المحملة بالامـدادات العسـكرية قعقعت على طول
الممرات السريـة ،
وأنت تجلس على الأرضيـة تقشر الفول السودانى
و «بام» و «بوم» ، والموتى بعيدون فى الداخل ، بعيدون فى
الأعـالى ·

* الاعـداد للاحتفـال

خطأ ما حدث فى الاحتفال الذى كانوا يعدونه لى ·
صعـدوا وهبطوا السـلالم ، تصـادموا فى الممرات ·
والشمعدانات الثلاثة ظهرت فى الصالة الكبيرة ·
فوق المنصـة تلتمع أكواب الماء ·
يقدمونـنى ·
أستحث قدمى ، أتفحص نفسى بيـدى ، انني ضائـع ·
واذا ما حاولت نزول السـلالم ، فسيقبض الحاجب على ·

* أرق

الترديد الدائـم لنفس النص المستغلق ـ
فى أعلى الجريدة الثقب الصـدىء من المسمار ،
فى الأسـفل قطرتـان من دم أسود ·

الاثنتان ـ قال ـ الاثنتان ، الزوج ، الصوت المزدوج ، المعنى المزدوج ٠
متعب من الأبواب التى تفتح وتغلق مع الموتى والنساء ٠
ليفتريس يسرع بالذهـاب قبـل أن يبدأ المطر ٠
عاد ـ بعد ذلك ـ بالبطانيـة المبلولـة والقبعـة
التى تخص الشخص المشنوق ٠

* مقيـاس مصغـر

تكيف سهل للجسد فى كل أوضاعه ، كل ساعة ،
فى كل اضاءة ، هو نفسـه مع الأثـاث ٠
البـاب الأخضر فى مكانـه الأيمن ٠
شـعرك يسـقط بكثافـة أكبر من رموشـك ٠
لم أهـتم عنـدما تأخرت ٠
الطائـر الثـانى قال ما قالـه الأول ٠
لا أحـد يحمل مفاتيحـه الخاصـة ٠
مازى ، وكأنها عاريـة لا ترى بعد موتها ، تشعل الكبريت ٠
وخلال برهـة صوت الانفجارات فى الضاحيـة السفليـة ٠

* فى اتجـاه السـبت

الصوت العميق سـمع فى الليـل الأعمـق ٠
ثـم مرت الصهاريـج ٠ ثـم بزغ النهار ٠
ثم سمع الصوت من جديد ، أقصر ، أبعد ٠
كان الحائـط أبيض ٠ الخبز أحمر ٠
السلم استند ـ عموديا تقريبا ـ على عمود الاضـاءة القديم ٠
المرأة العجوز لملمت الصخور السوداء واحدة واحدة فى حقيبة من ورق ٠

* اعـــادة ترتيـب

كل منهم يحمل ميتــة أو أكثر على ظهره ٠
طريق بعد طريق، صخور، عوارض خشبية، شجرة محترقة ٠
شخص ما أنزل المصباح ، الخبز على جــذع شجرة ٠
الى أين تحملون الموتى ؟
لا أرض هناك فى هذا الطريق ٠ لاعشب ينمو ٠
طوال شهور ثلاثة لم نفلح الا مع بذر الخروب وحده ،
والذاكرة تنفــد ٠
ان لم يكن للموتى أى أرض ، فليس لنا أيضــا أى أرض نقف عليهــا ٠
آنئذ أشعلنا النيران الهائلة ، وضعنا العجوز على الصخرة ،
خلعنا أحذيتنا ، ونحن نجلس هكذا على الأرض
قسنا أقدامنا اثنين اثنين ، وباطن القدم يواجه باطن القدم ٠
قوسطنطين الشاب ، صاحب أكبر قدم ، هو أول من رقص ٠

* هجــوم

شوينــا البطاطس فى الجمر ٠ وفيما كان الملح ما يزال بين أصابعنــا
سمعنا الصراخ فى الساحة ، بالقرب من البئر ٠
حسنا، قال، فلنرحل عبر السياج الخلفى ٠ خذوا البطانية ٠
قمر زائف من نافذة الى نافذة ، من سطح الى سطح ،

والمرآة فى دولاب الملابس خائنة ، ذات عينين معصوبتين ،
أبعد فى الداخل ثياب الميت معلقة والتذاكر التى لم تستخدم فى الجيوب ٠
انفصال صامت عن مخاوفنا وعن أحلامنـا المريرة ٠
والتمثال الموجود فى المدخل يهذى ، وجهه مضرج بالحمرة من شـبقه ٠

ثم صوت الكلاب وهى تنبـــح ٠
بذلك ابتعـــدوا ٠
عبروا النهر ٠

⁕ لسـبب مــا

ربط الحبل بالشجرة ٠ لم يربط أى شيء بالحبل ،
تركـه مرميـــا على الأرض
لهؤلاء الذين يقفزون الى النهر فى الصـــباح
لهؤلاء الذين يقفزون من ســطح الى ســطح فى الليــل ـ
شيء ما سيسقط من جيوبهم ، مهما كانت محمية تماما ،
وسيعثر عليه كناسو الشوارع فى اليوم التالى
والأوامر ستكون قاطعة : عليهم تسليمه ـ

(فدائما هناك حاجة لشيء ما عام ، فى النهايــة)

⁕ الجانبـــان

حفنـــة عظام وقطعـــة من حديد صـــدىء ٠
كانت المرأة تجمع الخضر فى الحقــل ـ
وساقاهـــا مكشوفتان الى أعلى من كل ناحيـــة ،
فى الخلف ، يحرس الكلب الطفل تحت الشجرة ٠
وما ان حل الظلام حتى عدنــا الى المدينــة ،
توقفنا أمام المنزل الأحمر ، نظرنا عبر النافذة المنخفضة ٠
كلاهما على المائــدة ، بجوار المصباح ،
أطباق العشاء ، حركات بطيئة ـ ضغينة صامتــة ٠
يقف الثالث فوقهما بسكين ، يقشر تفاحــة ٠
فى تلك اللحظة التفت وقال : دائما ما ننتهى بنفس الشيء ٠
وبما كان يعنى بذلك الخطيئــة الأولى
أو نسيانــه لمشــطه فى حمام شخص آخر ٠

* اليوم التالى

أعمدة اضاءة ساقطة ، وشجرة ـ الضوء ينتشر من أسفل ،
الطريق الثانى بمحاذاة البالوعة .
جاءوا بالأوناش ، ورفعوا الأتوبيسات . لم يكن خطأنا ، قال .
ووسط الدروب كانت المرأة العجوز تجمع أزهار البابونج .
عثرت على ساعة النائب العام ، زلقتها فى معصمها .
أتظن ، يا بنى أن الموتى لا يعرفون الغضب ؟
انهم يقتاتون الحديد والأبواب والصخور .
آنئذ ، صاح فانجيليس ، أعلى الجدار الباقى .
انهم لا يستطيعون استيعاب الكلمات .
أخرج الآخرون الأعلام من تحت قمصانهم
ومضوا نحو الفارس البرونزى .

* شروق شمس الشتاء

ما حدث هو أننا تطلعنا الى كلا الاتجاهين ـ
سقط الزمن فى توازن ما ـ
المرآة الداخلية والشجرة وكشك المحارب القديم المعوق .
ساعة بعد ساعة
المجلات والجرائد الملونة ـ
العرايا ، دخان ، هؤلاء القتلى ، الوحدة .
هذا التجهيل المعتم ، والحوائط المقابلة : مضاءة .
متعة ، صرخت المرأة ، متعة حمراء بأظافر حمراء .
جسد أحمر مذبوح ، والملاءة تتدلى الى الدرج الحجرى
والشبان الثلاثة المتأنقون ، المترابطون كتفا بكتف
(الأوسط منهم تمثال ؟)
يتمشون ـ على مضض ـ فى اللامبالاة المضيئة للموت .

* متوقـــع وغـير متوقـــع

ذلك ما لايحتاج ولا له ـ حتى ـ أى عـــلاج ٠
قمر ناقص ، ساكن يخترق الحائط باصبع واحـد ٠
من الداخل ، فتشت المرآة عن تأكيد فى وجوهنـــا ٠
وكنت تحـدق فى مكان آخر ٠

طرقوا الباب ٠ فتحته لهم ٠ لم يقولوا أى شىء ٠

حدقوا فينـــا كأننا كنا الأشخاص الذين ارتكبوا خطأ ما ـ
ورحلـــوا ٠

وعلى البرج الأبيض تركوا المسامير الثلاثة الأخرى ،
والشاكوش والقصـــــيدة ٠

فى الحديقـة ، تحركت فضـــة قمر ما خلف أذن التمثال ٠
وسمعت ٠

* الأكثر كفايـــة

يمكنك أن تستكمله بسهولة أكبر ـ
فيـكفى ألا تريـد الاقتنـــاع أو الخـــداع ٠
وحيدة وحيدة الطيور والأطفال والموسيقى والسرير والستائر ٠
المرآة المريضـــة تعالج بالكى ٠
ذبابة أخيرة متاهبـــة ـ تقريبـا ـ للموت
تتجول على امتـداد الملاءة الدافئـــة ٠
وهناك سلسلة سرية من ميتات فاترة وراء موتنا العادى ،
ووراء تماثيله الرصـــينة المجيدة ،
خلال تلك المعجزة الطافيـــة ،
خلال ضوء هذه المرآة التى تعرف كيف تعكس
(مهما كان الزيف والتشظى) مجد الجسدين العاريين ٠

* بعـــد كل مـــوت

نبحث مرة ثانية وثانية ـ من البـداية ـ عن تلك النعومـة المطلقـــة ،
عن تلك الاستدارة العميقـة ـ
صخرة النسيان البيضاء المحفوظة فى خزانة البحر الأسود .
انحنت المرأة على النـافذة ، وهى تضـغط ثديها الأيسر فى الخشب .
والكرة الحمراء محشورة فى ماسورة تصريف المياه فى السطح المقـابل .
ذلك ما كنت أفكر فيه ، قال ، وأنا أسمع صوتها فى حزن : محدقـا فى التمثال بالحديقة فى الأسـفل ـ .
ذلك الذى أخرجوه الليلة قبل الماضية من البحر مع المشاعل .
كم ينتصب شامخا ، وابهامه ما يزال رطبا أمام شفته الرطبة .
وهو يعترض سبيل البياض الكثيف المدهش .
قبـل أن ينجـح فى العثور على تعبير .

* ودائـــع

منضدة الصراف من زجاج ـ أية عملات غريبـة ؛
أية أسنان مسـتعارة من ذهب ، وفضـة ، وحديـد ،
سنة ذهبية واحدة للميت ، قلادة ايلينى ،
دبوس قبعة ضخم ، العهد القديم مجلد بالفضة
مع أحجار حمراء وخضراء .
الساعة الكبيرة فى ساحة المدينة دقت الثانية عشرة .
أخرجـوا الدواجن من الثلاجـــة .
وقف منظف الأحذية عند البـاب وحذاء أنتينوس ينزلق على يديـــه .
آنذاك هبت نسمة رقيقة من الجنوب ، ارتعشت الملاءة الطويلة وتحت السريـــر

يمكنك أن ترى الحذاء الناصع البياض ذا الكعب العالى للعروس
الميتــــة ٠

* التماثيـــل فى المقـــابر

التماثيــل العــارية تحت الأشجار فى المقابر
حوصرت بالأصوات المشبوبة لطيور الليل حينما انسحب آخر
الموكب ٠
التماثيل تقلد ـ باخلاص ـ الموت ، الحب الشبقى، السكون،
بسيوف حجرية ، بأجنحة حجرية ، بأعلام حجرية ،
من كل مكان الى آخر ، نوافذ تضاء ، أسرة ، رقص ليـلى فى
الحديقــة ٠
اخرج ، اخرج ، صرخ بيتروس ،
مفاتيحى مع الحارس فى حزامه ، وكلبه يتبعنى ـ
ذلك مكمن اعتراضى عليــــه ٠
التماثيــل لا تقلدنــا ، انها ـ أيضــا ـ وحيــدة ،
تعانى ، تنكر اللاوجود ، تتهيج ، تحمر خجــلا ،
وشريانها الرئيسى مترع بالدم ٠
ذلك هو سبب صياح الطيور هكذا ٠
لتغطى هزيمــة الموت الهادىء ٠

* البعيـــد

أيها البعيد ، البعيد ، العصى المنال ،
فلتتسع دائما للصامتين فى غيابهم ، فى غياب الآخرين
عندما يصبح خطر القريبين ، خطر القرب ذاته ، عبئا ثقيلا
خلال ليالى الوعد بالأضواء الملونة الكثيرة فى الحدائق ،
عندما تلتمع عيون الأسود والنمور نصف المغمضة
بلا مبــالاة خضراء وامضــة فى أقفــاصها

والمهرج العجوز أمام المرآة المعتمـــة
يزيل دموعه المرسومة حتى يستطيع البكاء ـ
أيها المستعصى على الامتلاك ، أنت بيدك الطويلة الكئيبة
خفى ، بلا استعارة أو اعارة ، بلا التزامات ،
تسمر المسامير فى الهواء ، تدعـم العـالم
فى ذلك التراخي العميق حيث تسود الموسيقى ٠

***

دماں ميلرس

(ثـلاث نسوة عجائز ، نحيـلات ، بائسـات ،
مسـبيات فى أرض أجنبيـة ، مأسورات من وطنهن ،
يجلسن بالخارج فى الشرفة ، قرب منتصف الليـل
فى الربيع ، مقعيات بجوار بعضهن البعض الى الحائط،
بثيابهن السوداء ، وأوشحتهن السوداء، يشبهن أطفال
الليل، الأشباح · لا ينظرن الى البحر· ولا الى النجوم·
شيئا فشيئا يبدأن فى الكلام ببطء ، كأنهن قد نسين
ـ أيضا ـ الكلمات ، كأنهن قد تذكرنها ـ الآن ـ توا ،
من جديـد ، ويمسكن بها تحت ألسنتهن يمضغنها مع
لعـابهن ، ولا يعرفن ما اذا كانت تلك الكلمات أم أنها
شيء آخر · الآن ـ من جديـد ـ يتـلعثمن ، يتوقفن .
كأنك ـ وأنت تمضغ شيئا ما تعرف أنه طرى ، كقطعة
خبز فى فمك، اذا بأسنانك تصطدم فجأة ـ بلا توقع ـ
بشيء صلب ـ بحصـاة ، بشظية من عصا المكنسـة ،
بكسرة ما ، فتلفظ اللقمة فى احدى كفيك ، وتتحسسها
باصبع من الكف الأخرى ، لاشيء ـ خبز فحسب ، تعيد
اللقمة الى فمك ، تبتلعها ، ـ كم كانت لذيذة· والنسوة
يفعلن ذلك · ولا يبين · فهو الليل · وكثيرا ما يرفعن
أكفهن الى أفواههن · ربما ليغطين ثقبا فى جزء آخر ،
ثقبا غير مرئى ـ ثقبا فى الروح ، على ما يقولون ـ ،
ربما حرصا على ألا يسمعهن أحد من السادة النائمين فى

البيت • مؤكد أنهن لابد أن يكن نسوة عجائز من ميلو
ـ اللائى أخبرنا بهن عمنا العجوز ثوسيديديس ، منذ
يوم أو يومين ، عندما أتى فيلوكتيتيس ابن ديمياس ـ
فى العام الثالث ـ من أثينا مع سفن كثيرة وسحق
الجزيرة ، مضرما النار فى البيوت والمعابد ، معدما كل
الرجال ـ الكبار ، والشبان والأطفال ، مستوليا على
النساء كمسبيات ـ نسوة عجائز ، ونساء حديثات عهد
بالزواج ، وأمهات وفتيات صغيرات • حقا ، انهن نسوة
من ميلو، على جزيرة أخرى الآن ، مسبيات، بائسات•
على الشرفة الأجنبية يتحادثن فى صوت خفيض ـ
وبالتدريج يتكلمن بسرعة أكبر ، بوضوح أكبر ،
بهدوء دائما) :

المرأة الأولى : يبدو أن القشعريرة وصلت • الصيف تأخر •
وساعة الكنيسة تدق •

المرأة الثانية : دقت الثانية عشرة • منتصف الليل •
هس ـ سيسمعوننا بالداخل •

الثلاث معا : فلنجلس هنا ، نقعى معا ، فيمكننا الاحساس بالهواء
المنعش •

المرأة الثالثة : أليس غريبا أن الساعة تدق ونحن نعد من البداية ـ
اثنين ، ثلاثة ، خمسة ، تسعة ،

المرأة الأولى : ذلك أنها تدق ونحن ننصت ـ غريب •
وهل نحن اللائى نتكلم ؟

الثلاث معا : هل نحن اللائى نحرك شفاهنا ،
نحن الموتى منذ أعوام ، نحن نسوة ميلو ؟

المرأة الثانية : نحن نفتح أفواهنا ـ فهل يخرج منها صوت ؟ ـ
وهل نسمعه ؟

الثلاث معاً : هل كان لميلو وجود ، وكان لنا أيضا وجود ،
ولنا أيد ، ونحرك أيدينا ونتذكر ؟ ـ هل يتذكر الموتى ؟

المرأة الأولى : وهل يتحادثون وتطرف رموشهم ؟

الثلاث معاً : هل تعتقدون أننا كنا نائمات لأعوام وأعوام ،
ورأينا هذه الأشياء فى نومنا ، كى يستردها ـ بعد ذلك ـ النوم ؟

كانت جزيرتنا صغيرة (كانت مكانا ـ لاذكريات وأحلاما)،
كانت جزيرة صغيرة كخاتم ، ـ
كانت هناك أشياء كثيرة لا نمتلكها ، وأشياء كثيرة لا نعرفها ،

المرأة الثانية : أعوام تعيسة مرت أيضا ـ أمطار وعواصف حينا ،

المرأة الأولى : وحينا الحرارة الحارقة للشمس والجفاف العظيم ـ
ولا حتى حبة قمح ، ولا طائرا يعبر ،

المرأة الثانية : المكان أتون ، والهواء حديد محمى ـ البحر يعمى بوهجه ٠

المرأة الثالثة : وبياض حائط الحظيرة المطلية كان سكينا ـ تجز شعرك ،
فجأة ذاب جرس الكنيسة وانساب نهرا من حديد على الدرجات ٠

الثلاث معاً : وكان للزيتون أن يذوى ، فيسقط بعنف على الأرض
مثل عينى شخص مريض ،

المرأة الثانية : مثل عيني شخص نعسان ، مثل عينى شخص أعمى ـ
ويكون علينا أن نلملمها من الأرض ،

الثلاث معاً : ننحني وننحنى من جديد ـ ونحن نؤدى كفارتنا أمام أيقونة فارغة ،

وندسهم فى كيسنا كأننا ننتزعهم من أسنان الموت ،
وفوق رأسنا محصلو الضرائب

المرأة الثالثة : وفوق رأسـنا الأمراض ، والجرة المكسورة ، والمكنسـة
بـلا شـعر

مثل اللقلق النحيل الذى هرب فى الليل وترك روثه على
المدخنـة ٠

الثـلاث معـا : لم نقل شيئا ـ كانت الكلمات صعبة ـ
المكان سجن ، والصمت يزيـد ٠
فى الصمت كنا نبدو أكثر أمـانا ،

المرأة الأولى : والحجر ـ فى حائط البيت ـ كان يبدو أكثر أمانا أيضا.
والكرسى المجاور للنافـذة ٠

الثـلاث معـا : أحيانا ما كان أسيادنا سيئين ، وأحيانـا أسوأ ـ دائما
أسـوأ ،
لكننا حتى فى هذه الحالة لم نكن أبدا بلا قوت تماما ـ
كنا نعد لقيماتنـا ، نعد الهواء الذى نتنفسـه فى السر
فوق سرير الطفل ـ

المرأة الأولى : وفى الغد ننسى أنفسـنا ، ـ
ونحن نرفو الجوارب الصوفية الكبيرة غرزة غرزة ، ٥ ،
٧، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥، ـ كنا نهدهد أنفسنا كى ننام،

المرأة الثانية : كنا نسقط فى النوم على الكرسى ،
تسقط رؤوسنا فننطلق من جديد ، نفتح عيوننا فنوقف
العـد ،
كان الجورب كبيرا كبيرا ،

المرأة الثالثة : كبيرا كميناء فارغ ـ وكلما نسجت كان الثقب يكبر
مثل عين الرجل الأعور المختبئة التى لا تريد أن تراك ،
بل وتخاف من أنك قد تلمس المقلة بالابرة ٠

الثلاث معا : كنا نعمل عملا شاقا ، حتى فى الليل ـ
بل لم نكن نعرف ما اذا كان هناك قمر فى الخارج ،
ولا حتى كنا نريد أن نعرف ـ الآن ، فقط ، فكرنا فيه ،
كنا نعرف ما اذا كانت الريح تهب ـ كنا نستطيع أن نسمع الريح ،
فمعطفها كان يعلق من وقت لآخر ـ فى الخارج ـ بالمسمار فى الحائط ،
حيث تركنا جدائل الثوم معلقة ،
كان يعلق بالمفتاح ٠

المرأة الثالثة : وعندما تتوقف ، كانت يدنا اليمنى تظل ـ لبرهة ـ فى الريح ،
ووبر البطانية ينام برفق كعرف الحصان الذى عاد الى الحظيرة ٠

الثلاث معا : عشنا بالكاد على خبز الشعير والذرة والنخالة ـ
أيضا عاش معنا الدجاج ،

المرأة الأولى : لم يكن لدينا وقت لنمرر المشط فى شعرنا ـ لم نهتم ـ

المرأة الثالثة : هل ينظر الحمام والدجاج فى المرآة ؟
ما كان يفزعنا هو أن نرى أطراف كم قميص أزواجنا الليلى مبلولا ،
حينما كانوا يغتسلون فى الباحة ، ـ أحسسنا بها ،
ولو انه لمسنا آنئذ ـ وفى يديه سواران باردان ـ
لأحسسنا بالبرودة على ظهورنا ٠

الثلاث معا : يا الهى ، كم غريب ـ عالم أعجوبة ـ كمان مبلولان ٠

المرأة الثالثة : وفى يوم آخر ، ونحن نقشر كوز ذرة كبير، ورقة ورقة ــ
أوراق كبيرة محبوكة ، قفزنا وأفواهنا مفغورة ــ
كانت الذرة تضحك بألف سنة مصفوفة ، ذهبية بفعل الشمس ·
وعاليا على التل ، فى الأفران ، كانوا ينادون « جورج ، جورج » ·
دفسنا الذرة فى صدورنا ، لم نقضمها ·

الثلاث معا : كنا نحرث، نقطف العنب، نقلم الأشجار ، نروى الحقل،
نقوم بالغسيل ، بالعمل الروتينى ، نكوى ــ
بينما فى الخارج يحل مساء ربيعى هادىء ،
وفجأة يتردد فوق البحر هناك ، فوق الماء الذى يتكلم فى السر ،
صوت منفرد صاف كالبللور

المرأة الثالثة : صوت أجش ، صوت صياد شاب ــ متحجرا برهة فى الهواء ،
لينتشر بعد ذلك،فيمتصه السكون كما لو بورقة نشاف،
ونحن هناك فى الظلام ، فوق الحديد ،
نجاهد ــ بمرارة ضاحكة ــ لحل شفرة الحروف المقلوبة على ورقة النشاف ــ
نحن الذين لم نستطع ــ حتى ــ أن نميزهـا على نحو صحيح ، ــ
بل وحتى لم نستطع أن نراها جيدا ،
حيث كانت فضة القمر تلتمع على تويجة الشاطىء ــ

الثلاث معا : كان القمر ورقة واهية ، يظهر خلف النافذة ،
بعيدا كأننا كنا نحن اللائى ابتعدن عن العالم · كنا نضىء المصباح ·

المرأة الأولى : آنئذ ، في موسم عصر العنب ،
عندما يكون على أزواجنا أن يعودوا من المعاصر ،

المرأة الثانية : ملطخين بخميرة العصر من الرأس الى القدم ـ
الأقدام ، الأيدي ، الوجه ، الملابس الداخلية ، القمصان ،

المرأة الأولى : يتضرجون من الحماس والبهجة ، محمرين كتلك الآلهة القديمة ، كما يقال ،

المرأة الثالثة : كانت قطرات من الدم تتجلط على شعر أرجلهم الملتف
كأنهم عائدون من مجزرة سرية كبيرة فنندفع لنخبئهم ،

المرأة الأولى : لنسخن الماء في القدر ، نغسل أقدامهم وأرجلهم ،

المرأة الثانية : نغسل سراويلهم ، وقمصانهم ، نزيل الآثـــار ،

المرأة الثالثة : نطعمهم العشاء على عجل ، ونخبئهم تحت الأغطيـة ٠

الثـلاث معـا : ثم كان لهم أن يضحكوا في السر من وراء شواربهم ،
كأنهم قد سمحوا لنا أيضا بالاطلاع على سرهم الكبير ـ
ولم يكن هناك أي سر ، ـ
لكن النوم الناجم عن ذلك كان مريحـــا ٠

المرأة الثالثة : آه ، موســم العصر ، مع الحصير القش ، والســلال ، والسكاكين ، ـ
كانت الباحـة عـاطرة ،

المرأة الثانية : كان الشاطىء يفوح بأريـج الورد ، والخيول تنزلق على الحصى ،

المرأة الأولى : وبراميل كبيرة مملوءة تغط في نومها بالطابق الأرضي ـ

الثلاث معا : النبيـذ الذي سيشربه الآخرون ،
عناء على عناء ـ القطاف ، التقليم ، الري ، التجفيف ـ
ركبنـا أصبحت يابسـة كالعظام ، ـ
لم يكن لدينا وقت للنظر في أنفسنا، لم نشأ أن ننظر في أنفسـنا ، ـ
ولماذا حقـا نجلس ـ من جديد من جديد ـ متربعـين ،
برأس محنية على الركب ، كالجنين المنحنى
داخل الظلام الدامس ؟ ـ
فأين نجد الوقت ؟ تقليم وحرث وترتيب ،

المرأة الأولى : أشعلى النار ، زنى السمك ، املئى الجرار ،

المرأة الثانية : نظفى زجاج المصباح والنوافذ من غبش البحر ،

المرأة الثالثة : نظفى العدس واحدة واحدة ـ
نسجنا ـ أيضا ـ زوجا من مناشف الوجه على النول .

المرأة الأولى : نسجنا قطعة أو قطعتين من الصوف ، وبطانية كبيرة ـ

المرأة الثالثة : ولم ننس أن نضيف اليها النقوش ـ
زهرتى ربيع ، طائر أحمر ، ودولفين ضخم فيروزى ،

الثلاث معا : كبرنا ونحن نعمل، ونحن نعمل تعلمنا أن نعمل ، ونحن نعمل تعلمنا أن ننسى همومنـا ، أن ننسى أنفسنا ، أن ننطلق من جديد .

المرأة الأولى : في الصيف ، فوق جزيرتنا ، كم كان الأصيل يتلألأ ،

المرأة الثانية : عندما كانت رياح الصيف العظيمة تصفر ،
والبحر يرتعش ـ متكسرا ـ بكامل جسـده ،
والعالم كان ومضة ، وحدسا ، وشرارة .

المرأة الثالثة : وداخل البيوت كانت البرودة تقعى كطائر ، كبير كبير ،
يحتـل المطبخ ـ دون أن يترك لك أبدا غرفـة لتتزحزح
اليها ،
لترتبها ، لتقف عند النـول ، دون أن تـدوس على ذلك
الطائـر الذهبى
ذى العينين البنفسجيتين ،

المرأة الأولى : ولا حتى غرفة نذهب اليها كأنك تهش ذبـابة مزعجـة
وقفت على كوب ماء نظيف ـ
وتهرش قفاها بقدميها الاثنتين ـ

المرأة الثالثة : لاشىء ، لاشىء ، بدون نتف قليل من زغب الطائر الذهبى
وبعثرته على العالم ، آه ، قليل من زغب ، ـ
وتجلس غريقا مثلما فى كرسيك جامـدا ،
واليدان على الركبتين ، فى خدر عميق ،
وأنت أيضا مذهب كأيقونة مرسومـة على لوح من خشب
سرو ،
كأن شخصا ما ربما آمن بك فجعلك نـسرا ،
وذهبـــك ـ

الثـلاث معـا : كنا كأننـا ـ فى داخلنا ـ نؤمن بأنفســـنا .

المرأة الثانية : كان ذلك الضـوء العظـيم للحصـاد ـ هو ما غطى على
العبودية والموت ،

المرأة الأولى : كان الضوء العظيم وأوراق الشـجر ورياح الصيف غير
الحليقـــة
مع أصدافها الهائلة التى تصيح بالخارج برفقـة الزيز ،

المرأة الثالثة : وداخل البيت القطة النائمة على رأس السرير .

الثـلاث معـا : آه ، كم آمنـا ، نحن المظلمات ، بالضوء ،
وكم آمنـا ، نحن المهدومات ، بالحياة .

المرأة الثالثة : وذات أصيل آخر ـ كيف حدث ذلك ـ
ونحن ننحنى على البئر ، متلهفين على أن نرى شيئا ـ
لا لنسحب ماء ـ لاندرى ، سر كأنه خطيئة ، ـ
أجفلنا من صرخة المرارة فى صرخة طائر يمرق عاليا فى السماء ،
فى مكان لم يخطر لنا ببال ـ على التل تماما ـ
كان يستهدفنا من خلف ظهورنـا •

الثلاث معا : تحسسنا ـ آنئذ ـ مفاتيح المخزن فى جيب مريلتنا ،
نظرنا الى شجرة التين ـ أوراقها عريضة كالأيدى العاملة ،ـ
لم يكن أى شىء ، دخلنا ، هادئين •
فقط جرادة واقفة على أرجلها الخلفية ، هناك ، على حوض المـاء
ترقبنا بعيون خضراء ، كروية ، كبيرة •

المرأة الأولى : وأحيانا كان يحل صمت قصير وسط الساعات ،
كأننا رحلنا ورتب البيت نفسـه ،

المرأة الثانية : كأن الساعة على المائدة ـ فجأة ـ توقفت
ومعها توقف الزمن أيضـا ،

الثلاث معا : ولم يعد من الممكن أن يحدث شىء بعد ذلك ،
لاشىء يمكن أن يكون قد حـدث ، ـ
كأن الولادات والجنازات كانت ـ آنئذ ـ آكاذيب

المرأة الثانية : والقدر الذى يمكن أن نسمعه يغلى على المرجل يصمت ،

المرأة الأولى : والدلو الذى يستخدمونه فى سحب الماء من البئر يصمت أيضـا ،

المرأة الثانية : انقطع الحبل ، غرق الدلو ، غرقنـا ـ

الثلاث معا : غرق هادىء ، راحة مؤقتة ـ أن تعرف أنك غرقت
ولو ان شخصا ما فوق الماء ينادى باسمك ، فلن يعثر
عليك ،

المرأة الثالثة : صوته وحده يغوص ببطء فى الماء
كالقرط الذى أسقطته أختك غير الشقيقة وهى منحنية على
البئر .

الثلاث معا : آنذاك ، وفيما تنعس ، تخز اصبعك الابرة التى كنت
تمسكها فى يدك ،
من تلقاء ذاتها ـ تقول لك « استيقظ استيقظ ، ليس
ذلك صوابا » ،
تقول لك ، كأنه ليس صوابا فى الكنيسة أن تنظر خارج
النافذة ،
وفجأة تنتزع الابرة ، تهز يدك اليمنى لأعلى وأسفل
على نحو ما ترسم الصليب على نفسك ،
لتتخلص من الشر ، لتطرد الروح الشريرة ـ

المرأة الثانية : وفى الحال تشد الخيط كأنك تشد حبل الدلو ،
تنتزعه وتقفز ،

المرأة الأولى : تنظر حواليك كمجرم ،
خوفا من أن يلمحك أحد هناك فى الحضيض ،
خوفا من أن تراك المرآة على الحائط ،

المرأة الثالثة : خوفا من أن تكون آنية القهوة التى تعكس الشفق
قد قالت أى شىء لبعضها ،

الثلاث معا : وعيوننا متأهبة دائما للاعتذار للجميع ،
للطفل ، والكلب ، والكنارى ، ما من كائن يظهر فى
طريقنا .
نتشبث بهذا الخيط الذى نمسكه ونتسلقه .

المرأة الأولى : وحده الخوف دائما ما يبقى ـ
ذلك الخوف من أن يضل أولادنا الطريق ـ كل مرة
يخرجون فيها ـ
ويفشلون فى الرجوع ،

المرأة الثانية : من أن تعثر عليهم روح شريرة هائشة والسكين بين
أسنانها ،

المرأة الأولى : من أن تسقط على رؤوسهم ـ وهم سائرون ـ لافتة
المطعم الضخمة ،

المرأة الثانية : ضخمة جدا ومحدبة ، بمسامير قاطعة كأسنان الأسد .

المرأة الثالثة : هل ذلك هو المطعم الذى تعنينه ؟ ـ
عنده دجاجتان فى سفود مرسومتين فى الركنين العلويين ـ

المرأة الأولى : خوفا من أن تضربهم صاعقة وهم يفتحون أفواههم ليقولوا
ما هو صواب .

الثلاث معا : خوف ورعب ـ كان الشتاء قادما ـ فيرتعد جسدنا
بكامله ،
يقشعر جلدنا ، ندس أيدينا فى الجوارب الصوفية
لأولادنا الغائبين
كأننا نمسك بأقدامهم كى ندفئها ، ـ
ونتدفأ .

المرأة الثانية : ننظر ـ فقط ـ الى الباب ، حتى لايدخلوا فجأة
فيجدوننا غائبين ـ هكذا ـ عن الوعى ، وأيدينا فى
جواربهم .

الثلاث معا : آه ، لو ـ فقط ـ يجيئون
حتى لو وجدونا نقضم أظافرنا بجوار القدر .

المرأة الأولى : كانت هناك أيضا فجوة سرية في الحائط ـ
هناك احتفظنا ـ لأعوام وأعوام ـ
ببعض العملات المتبقية ـ أحيانا ـ من الشراء ،
هناك احتفظنا بهدايا العام الجديد للأوقات الصعبة ـ
ببعض الأشياء الرخيصة ،
وكنا نسد الفجوة بالورق ـ فلم تظهر •

الثلاث معا : وفي بعض أيام الأحد ، عندما كان الجميع بعيدين في الميدان ،
أو على الشاطيء ، كنا نستخرجهم ، نحصيهم ـ
شيء ما لخطبة البنت ، كنا نقول ، زوج بنطلونات للولد الأكبر ، ـ
لم يكن هناك ما يكفي ، سيعطينا الرب ،
نقول ،
وكنا نبتهج ببيضة العش الصغيرة •

المرأة الثانية : كم كانت ترتعش رموش ابنتنا وأنت تفردين زوجا من الملاءات المطرزة ،
زوجا من أكياس الوسائد أمام عينيها ،

المرأة الثالثة : غطاء أحمر للسرير بطائرين أبيضين جنبا الى جنب ،
يتعانقان منقارا لمنقار •

الثلاث معا : لم يكن هناك ما يكفي ، كنا نعيدهم الى الحائط •
ذات يوم ، فتحنا الفجوة ، كانوا قد اختفوا • لم ننطق بكلمة •
ظهرت أشياء أخرى ، أكثر خطورة ـ غطت عليهم •
عدا ذلك ، فمن حين الى حين ، نتذكرهم ونحن نقوم بأعمال المنزل
أو في السرير عند المساء ،

في المعدة تماما ، أسفل المعدة ، قرب السرة ،
عقـدة ، نتوء مجوف ثقيـل ،
كأن تلك الفجوة في الحائط قد حدثت في جسدنا ٠
ساوينا الحائط فيما بعد ٠ ما ظهر شيء ٠
ولم نكن ــ حتى ــ ندير أعيننا نحو هذه البقعة ٠

المرأة الأولى : أوقات مسترخية جاءت أيضا ــ لا نستطيع الشـكوى ــ
مثلما حدث مساء السبت ، عندما سددنا ديوننا للبقال ،
وبقى من الزيت ما يكفى لأسبوع أو اثنين، بل ربما شهر ــ

المرأة الثانية : ومثلما فعلنا مع الغسيل ،
وكانت سلة الغسيل تجف سعيدة في الباحة ، والملابس
تجف مكشوفـــة ،

الثـلاث معـا : بعدئذ كنا نلمهم ، نلقيهم فوق كتفنـا ،
فيلمسون خدودنــا دافئـين ، ينفثون البخار ، بملمس
الزغب ،
يفوحون بالشمس والصابون وبالأريج الآخر لعمل اكتمل
ولشيء ما وردى ،

المرأة الثالثة : وشذرة زغب من نبات شوكى حطت على قميص الولد
وداعبتنا تحت الأذن ــ أرادت اضحاكنا ،
أرادت ردنا الى الشباب من جديد ، ــ
نجحت ، ــ وضحكنا داخل أنفسنا ،

الثـلاث معـا : على هذا القبيل ، لانت أنفسنا بفعل عنائنا ،
متباهيات ــ في السر ــ بكل هذه الملابس على أكتافنا ،
كأننا كنا ــ بأنفسنا ــ نرفع العالم بأسره ــ وكان خفيفا، ــ
كنا نحن الذين جعلناه خفيفا ، وجعلنا خفيفات ٠

المرأة الثانية : أوقات مسترخية ــ لا سبيل للشكوى ، ــ
والكى لم يكن ملحـــا ٠

الثـلاث معـا : ذات ليـلة ، ونحن جالسات على العتبـة ·
عندما كنا نحاول فى السر تخيل شكل القمر ـ
زهريـــة زجاجيـــة

المرأة الأولى : مليئة بملح ـ رطب قليـــلا ـ

المرأة الثانية : أم انه ـ بالأحرى ـ مصباح نذور ذهبى
أم أيقونة عذراء لازوردية ـ

المرأة الثالثة : أم عش من قش زغبى وبداخله العندليب
وكان يغنى ، لكننا لم نســتطع أن نسمع صوت زقزقتـه
العذبة ـ تويت تويت ·

الثـلاث معـا : وأحيانا ما كنا نتأمل أيضا ، وأحببنا ذلك ·

المرأة الأولى : أو أحيانا ، فى مساء احدى العطلات ،
نمضى من بـاب الى باب نثرثر مع السيدات الطيبات فى
الجوار ـ
من كانت تتزوج ، أو تتعمد ، أو تحتضر ،

المرأة الثانية : وكان بجيب مريلتك بضع لوزات ،
وكثيرا ما كنت تلمسينها بأصابعك ، تعتصرينها ،
لكى تحسى بشكلها القوى ، بخوافها الحادة ،
كقوارب صغيرة موصـــدة باحكام
تطبق على الجوزة البيضاء فى قشرتها ـ

الثـلاث معـا : تحسسنا اللوز القوى فى جيوبنـــا ،
لأن المساء كان واضحا ، وروحك أيضا كانت واضحة ،
وكانت الحياة واضحـــة
وكانت تهرب من يديك دون أن تدركها ·

المرأة الثانية : هل تعرف أن ذلك هو السبب فى أننا كنا ، فى داخلنـا
الأعمق ،

فيما وراء الكلمات ، نتكلم ونحن صامتون
وكنـا ننصت لذلك الصمت العظيم الذى يزدحم بأشياء
مجهولـة ٠

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما تهتز الستارة من ذاتها ، دون ريح ،

المرأة الثانية : مثلما يحدث عندما ينطفىء المصباح الذى كنا قد ملأناه
منـذ ساعـة ،

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما يستقر الغبار على الصندوق الحديد
الذى يضم أكاليـل الزفاف الشمعيـة ،

المرأة الثالثة : مثلما يحدث عندما تجد ـ على المنضدة التى نظفتها حالا ـ
قطعة جبس مفتتـة ، ـ
وترفـع رأسـك ـ على الفور ـ لأعلى
فاذا بالسقف على حالته ،
وعنكبوت كبير يجاهد ليختبىء عن نظرك ـ لايختبىء ٠

الثـلاث معـا : فى أمسيات الصيف ، لا تستطيع احتمال دخول البيت
للنوم ـ
قليـل من وقت اضـافى فى الباحة ، قليـل من وقت
اضافى لمشـاهدة العالـم ـ
ويجىء العالم الينا من جديد كحمار صغير طيب
بأذنين كبيرتين حادتين فى السمع ـ

المرأة الثالثة : وكثيرا ما يهز أذنه اليسرى ليهش نجمة أو بعوضـة ٠

الثـلاث معـا : وكنـا نعض على شـفاهنا لنمنع أنفسـنا من الضـحك
بصوت عال ،
حتى لا يسمعنا الأطفال النائمون بالداخل ،

المرأة الأولى : حتى لا يسمعنا أزواجنا فيظنون أننا قد أصبحنا أطفـالا
سـخفاء ٠

الثـلاث معـا : كانت الأشياء ـ آنئـذ ـ طيبـة ،
ولم نكن ـ حتى ـ نعرف ذلك ـ هناك في الباحة مع البئر •
كانت الصخور ما تزال دافئة من شمس النهار في برودة الليـــل •
ومع الباب التالي يمكنك أن تسمع الدجاجات الدافئة في العشة وهي تنفش ريشها ،

المرأة الأولى : وغناء الصياد في قاربه في المياه الضحلة ، في الأسفل

المرأة الثالثة : والورقـة الجافـة الكبيرة تسـقط من شـجرة البشملة بصخب عـــال
بعدهـا يصبح الصمت أكثر صمتا كمرآة مهجورة تحت الأشـجار •

الثـلاث معـا : كنا نتعرف على الأصوات ـ
نستعيد تعارفنا مع شيء ما عطوف ، منسي ـ

المرأة الأولى : السـلحفاة التي تزحف ـ دون أن يلحظها أحـــد ـ في الحديقـة ببـطء ،

المرأة الثانية : طابور الحباحب الذين يشعلون قناديلهم الصغيرة لينيروا طريقـــهم ،

المرأة الأولى : النحلة التي تنام في الوردة ـ
يمكنك أن تسمعها وهي تبتلع لعـابها ،

المرأة الثالثة : وصرير أجنحـة الفراشـة ـ
لم تتكيف داخل القرنفلة ، مهتاجة دائما ، متقلبة دائما في نومها •

الثـلاث معـا : وكانت أنوفنا تدرك الروائـح واحدة واحدة من حديقتنا المروية الصغيرة •

المرأة الأولى : هذه عترة ـ تقول أنوفنا ـ وتلك نعنــاع ،

المرأة الثانية : وتلك ريحان أو بابونـج أو ورد

المرأة الثالثة : هذا بقدونس ، ـ وضحكة تقهقه داخلنا ،
مثلما يحدث عندما تهز ثوبـا قديمـا
فيسقط ـ مصلصلا ـ على الأرض خاتم طفـل صغير كنا
نظنــه قد ضــاع ٠

الثـلاث معـا : كانت الأشـياء طيبـة ـ وليس من الصـواب أن نكون
جاحـدين للحيـاة ـ
تلك الأمسيات التى يتحد فيها كل شيء ويتصالح الجميع،
البرعم، والقمر ، والكلب ، والكنارى ـ الجميع فى واحد،

المرأة الأولى : والقمر ، حقـا ، لم يكن غريبا ، كان قمرنـا ، أبيض ،
كاللازورد ،
دافىء كبيضة كبيرة باضتها الدجاجة منذ لحظات ٠

الثـلاث معـا : آه ، نعم، حقا، ـ فبين حين وآخر كانت لدينا قطرة وقت
لنرفع يدنا ونمسح العرق عن جبهتنــا ،
بين حين وآخر لنلفظ «آه» بين ورقتين خضراوين ناضرتين
ونحن راكعات على الحوض ، نعجن الخبز للصغار ،
رفعنا ـ بلا قصد ـ عيوننا، ـ الى النافذة التى كان يقف
بها طائر صغير ويرقبنا ـ نسينا أنفسنا ،

المرأة الثالثة : أعتقد أن الطيور قد أكملت لنا العجن ونحن ننظر ـ

المرأة الثانية :وربما آكملناه نحن أيضا ـ من يدرى ؟ ـ
لم نصــنع أرغفــة ،

المرأة الثالثة : بل صنعنا طيورا من العجين ، نثرنا عليها سكرا ،
ونثرنا على أجنحتها حلوى حمراء وزرقاء ،

وضعنا قطعتى قراصيا مكان العينين ، ـ
استمتع أطفالنـا كثيرا بهم

الثـلاث معـا : بل لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم :
هل يأكلونهم أم يلعبون بهم •
أزواجنا ـ وحدهم ـ تجهموا وعبسوا،عاقدين حواجبهم ـ
من يهتم ؟

المرأة الثالثة : لمرة وحيـدة ، صنعنا ما أردنـــا ،
بالطريقة التى دلنا اليها الطائر وقلبنـــا •

المرأة الأولى : يا صديقاتى ! تذكرن ذلك الغروب الربيعى ،
الهادىء ، الصـــامت ، هبـــة الرب ـ والبحر ناصـــع
كالكريستال ،

المرأة الثانية : صوار وحبال ومجاذيف مبلولة ،
حمرة داكنـــة تومض ،

المرأة الأولى : هلب منصوب ـ تتعلق فى أطرافه قلائـد براقة ـ
أى مرجان ، أى يواقيت وذهب ـ

المرأة الثالثة : فتـاة صغيرة تتمشى وحيـدة على الشـاطىء فى الأسـفل
كأنها تتمشى فى عالم آخر الى نفسها ـ
لم تكن جبهتها محنيـــة •

المرأة الثانية : وفجأة تظهر جزر صغيرة فى البعيد ، بعيدا فى البحر ـ
لم نرها أبدا من قبل ، لم تكن هناك من قبل ـ

المرأة الثالثة : جزر صغيرة لازوردية ، شـفافة ،
تضىء كلها دفعة واحدة فى الغروب ،
تومض كالجواهر ، تحترق وتموت ،
ثم تتحول الي رماد ، لتذوب في الليـــل •

الثلاث معاً : لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ،
وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ،
وأننا لم نكن وحدنا .

المرأة الأولى : وفجأة وصل مندوبون ذات شفق ،
من بلد ، على ما يقولون ، بلد كبير ، بعيد ،
به ملايين السفن ، به بيوت بيضاء كبيرة ،

المرأة الثانية : ناس من حجر، على ما يقولون، يقفون منتصبين على أعمدة طويلة ،
ولديهم مدارس كثيرة من حجر أبيض .

الثلاث معاً : واعترانا شعور قلق ـ
ثيابهم كانت جديدة ، وصولجاناتهم المزخرفة فى جمال لامعة ،
لم ينظروا الينا مباشرة فى عيوننا ،
كانوا ينظرون من أعلى، فيروا شيئا ما لم نستطع رؤيته .
سفن كبيرة بخمسين مجذافا اصطفت أمام جزيرتنا الصغيرة .
لم يطأ بحارتها أرضنا ، لم يدخلوا مطاعمنا ،
استلقوا هناك منبطحين فى انتظار الاشارة .
جاء هؤلاء المندوبون وحدهم من الأرض الأجنبية ،
وكانوا ـ على ما يقولون ـ يونانيين أيضا .
جمعوا أزواجنا وأبناءنا

المرأة الأولى : عند المتراس العلوى ، حيث يوجد المدفع القديم الصدىء،

المرأة الثانية : ذلك المدفع الأعوز ، المهمل هناك منذ عهد أجدادنا

المرأة الثالثة : ليتسلقه الحمام والعصافير والأولاد ويمتطوه ،
متظاهرين بأنهم فرسان عظماء
فى أمسيات الصيف ، قبل العشاء ،

ويمدوا أيديهم فى قمة الخاوى
ليمسكوا بقدم الجنية ، ربما ، ويصبحوا رجالا شجعانا .

الثلاث معا : جموعهم عاليا هناك ،
ونحن فى كل ناحية ، التصقنا بالأبواب .
تكلموا بهدوء (آه،هذا الهدوء الذى تشمه قبل العاصفة) ـ
لم نستطع فهم كلماتهم ـ التقطنا جرسها وحده .
« استسلموا » ـ قالوا ـ « والا سندمركم » .
قالوا الكثير ، قالوه بكلمات مختلفة ـ
ذلك ما فهمناه : « استسلموا » . ـ

المرأة الأولى : أمثل ذلك يأتى من البحر ؟

المرأة الثانية : مثل ذلك وأيدينا معقودة ؟

الثلاث معا : كنا نتطلع الى أزواجنا ـ

المرأة الثانية : الفك مطبق ـ أخرس ـ
كأنهم يحملون فى أفواههم قصف رعد هائل .

المرأة الأولى : والآخرون واصلوا الحديث ـ
عيونهم تزداد صغرا ، كلماتهم تزداد سرعة ،

الثلاث معا : أفواههم تزداد اتساعا ـ كانوا يبتلعون كل هوائنا
لم يبق لنا شىء كى نتنفس .
ورجالنا ، صامتين كالحجر ، قالوا شيئا ما
من قلب الحجر ، قدموا ردا ما ،

المرأة الأولى : قالوا شيئا ما عن « الشرف » ،
شيئا ما عن « الوطن » (وقرقعت هذه الكلمه

المرأة الثانية : على نحو ما يقرقع أساس البيت فى الزلزال
فتظن أن كل النوافذ ستتحطم ،
ومعها زجاجات « الراكى » الجيد فى الرف على الجدار

المرأة الأولى : الزجاجات التى احتفظنا بها للزوار) .

الثلاث معا : تكلموا جيدا ـ فأحسنوا ـ
« الشرف »،« الوطن »، وينظرون الى أسفل فى أحذيتهم .
وبعد ذلك كلمة أكثر صعوبة ، أكثر عظمة ـ
أسموها « حرية » ـ

المرأة الثانية : نعم ، « حرية » . فومض ضوء أسود هائل عاليا
حتى منتصف السماء ،

المرأة الأولى : نعم ، « حرية » ، ولم نعرف ما الذى تعنيه ـ
وفاضت عيوننا بالدموع ،

المرأة الثالثة : فاض البحر تحتنا بالدموع ،
وتحول الشاطىء الى زرقة الحبر .

المرأة الأولى : انفجر طفل فى النشيج فجأة ،
كأنهم قد ذبحوا ـ أمامه ـ أباه .

المرأة الثالثة : والعمة « كوستينا » تقدمت خطوة ،
-وضعت يديها خلفها وفكت مريلتها كأنها لن تعمل بعد الآن .،
ثم جاهدت لتربطها مرة ثانية باحكام أكبر ، ـ
ولم تنجح فى ذلك .

الثلاث معا : كنا نرى يديها ترتعشان ـ
يدان كبيرتان كأيدى جزيرتنا كلها ، ـ
لم تستطيعا العثور على أربطة المريلة ،
وقد تظن أن الأربطة قد ضاعت ،
قد تظن أن أصابعها أصبحت أكثر رخاوة .
كان الصمت حولنا ينتشر ، ـ

ولا تستطيع أن تسمع سوى قرقعتـه ،
الحركات كانت بطيئة فى الظهور ،
وتظن أن عامين أو ثـلاثة قد مروا منذ أن تدخل يدك فى
جيبـــك ،
فتعثر على فص ثوم ، وتكسره ٠

المرأة الثالثة : أما الجدة العجوز ذات المائة عام ،
السيدة « كاتينا » التى تداوى بالأعشاب ،
والتى يمتلىء بيتها كله — من الداخل والخارج — بأكياس
صغيرة
لا تحتوى سوى على أعشـاب ،
معلقة على الجدران فى مسامير صدئـة ، —
اندفعت السيدة « كاتينا » الى السطح ، ممسوسة ،
وهى تحمل مرتبتها القش ،
رمتها فى الشرفة وراحت تضربها بعصا غليظـة
كأنها تضرب شخصا ما على مؤخرتـه ٠

الثـلاث معـا : وفجـــأة
ماذا كان ذلك الضـوء السـاطع ،
ذلك الهدير ، تلك الغيمة من غبـار ؟ —
هل اشتعلت فى مرتبتها النـــار ؟
هل اشتعلت النار فى أكياسها المعلقة على الجدار ؟
هل كانوا يطلقون قنابل المدافع من السـفن ؟ —
متى — فى ذلك الحين — وطأ أرضنا الغربـــاء ؟
وأين وجـد ناسنا السيوف ؟
جدران التحصينات كانت تهوى والصخور تنفجر ،

المرأة الأولى : الزيت الساخن كان يفور فى القنوات ، والدم يجرى ،

المرأة الثانية : وهذه الكلمة المزدوجة « الحرية أو الموت »
انفجـرت فى الفضـاء ،

المرأة الثالثة : كف مطبوعة بالدم على باب المطعم ـ
الباب الموارب ـ كان الجميع يجرون ـ

المرأة الثانية : صيحات « الحرية أو الموت » من الحصن العالى ،
من الشـاطىء الأسـفل ـ

الثـلاث معـا : كنا نحن الذين نصيح ، ألم نكن نحن ؟ ـ
أصوات عالية ـ ألم وخوف ـ

المرأة الثانية : (بين الألم والخوف ، كان الخوف هو الأقوى) ـ

المرأة الأولى : لا الألم ولا الخـوف ـ
كانت العوارض الخشبية تحترق ، وتهوى ،

المرأة الثالثة : والنار اشتعلت فى علم مبنى البلديـة ،
فتوهج وهوى فى الشفق مثل ورقة شجر صفراء كبيرة ـ

الثـلاث معـا : التفتنـا لحظـة ورأينـا ـ
كانت السارية تحترق مثـل اصبع وحيـد
لم يعد لديه ما يشير اليـه
« الحرية أو الموت » ـ كنا نجرى من جديد ـ

المرأة الأولى : أية حرية ؟ ـ أي موت ؟ ـ أين ذهب أطفالنا ؟ ـ
كنا نجرى على غير هدي ، الى أعلى الى أسفل ـ
كان المكان يتبـدل
ولم تكن تستطيع القول أين توجد بيوتنـا ـ

الثـلاث معـا : لم تكن هناك بيوت بل ألسنة حمراء كبيرة ،

المرأة الثالثة : فى جرعة واحدة كانت تبتلع شرفة ، أو سقفا ،

المرأة الثانية : معلقا ، تعريشة كروم ، بابا ، نافذتين ،

المرأة الأولى : الكنيسة بأبراج الجرس ـ خوف وألـم ،
ـ لا الخوف ولا الألـم ـ

الثــلاث معــا : آه ، كيف تنطقون « حريـــة » ؛
كيف تنطقون « مــوت » ؟
لقد حددتم اختياركم مقدما ــ وحده الموت ٠

المرأة الأولى : لم يتركوا أى كائن ذكر ــ
وعيوننــا لم تعرف كيف تبكى ،

المرأة الثانية : والأقدام كانت تجرى من تلقاء ذاتها ــ
لم نعرف الى أين كانت تجرى ؛

المرأة الثالثة : والفم كان يصيح من تلقاء ذاتـــه ــ
لم نعرف بم كان يصــيح ،

المرأة الثانية : والعيون كانت ترى من تلقاء ذاتها ــ
لم نعرف ماذا كانت ترى ٠

الثــلاث معــا : كل شيء سواد واحمرار ، ــ حصان يجرى ،

المرأة الثالثة : بقرة تهز ذيلها ــ فتهش ذبابــة ــ
ذلك ما رأينــــاه ،

المرأة الأولى : زجاج نافذة مكسورة فى العشب ،

المرأة الثانية : قطة مقتولة على القرميد ــ لم يكن هناك بيت ــ

المرأة الثالثة : قرميـــد المطبخ وحـــده ؛ ــ
واحدى عينى القطــة نصف مفتوحـــة ،

المرأة الأولى : والمستوقد يشتعل فى الشـــاد ع ، ــ
دجاجـــة تقوقى

المرأة الثالثة : امرأة عجوز ترتدى أسمالا خطفت البيضة .
كانت البيضة بيضاء ، مستديرة تماما ــ
كسرتها وامتصتها ، والبياض سال على شفتيها ،

الثــلاث معــا : كان شخص ما يصــيح « ابنى ، ابنى » ــ
يصيح من داخــل الآبـــار

المرأة الأولى : والمتسول الأعمى على سلالم « سان نيقولا »
كان مايزال يمـد يـده ،

المرأة الثانية : قطعها أحد الجنود بضربة سيف واحـدة ،
والتقطها من الأرض ،

المرأة الأولى : كأن الدم يتفجـر نهرا —
« خذها » قال له ، ورماها عند ركبتيه ،
« يا الهى » صرخ أحد الأصوات — من صرخ ؟ —
صرخ مرة ثانية « يا الهى » .

الثـلاث معـا : وذلك الصوت « ابني » ، « ابني » ، « ابني »

المرأة الثالثة : من أظافر قدمك الى جذور شعر رأسك — لن يتوقف .

الثـلاث معـا : ثم لاشيء — خرس مع صوت خطى أجنبيـة ، —
وحـــل الليـــل .
بالنسبة لنا ، قيدوا أيدينا ، ورمونا في السفن ،
الواحدة فوق الأخرى ، أكياس مربوطة ، أكياس طرية —
لم يكن بالأكيـــاس شيء ،

المرأة الأولى : ولا حتى شيء تافه ، لا مدراة ، ولا ذكرى — خاوية .

المرأة الثالثة : كيس خاو يحس بالألم ولا صـوت لـه ،
ولا يلفـــظ « آه » ،

المرأة الثانية : كيس خاو — لا ، ليس خاويـــا ، —
كانت به عظام ، فعندما كان كوع بداخله يرتطم بخشب
السفينة ،
كان يصـدر صوتا مكتوما ،

الثـلاث معـا : كان يمكن سماع صوت واهـن ، —
كانت عظامنا داخـل الأكياس .
حملونا الى هنا — عبيدا فى أرض أجنبيـة —

المرأة الأولى : لا تعرف المكان ،
وأيدينــا لا تعرف الإمســاك بالمكنسـة ،

المرأة الثانية : مطرقة الباب ، ركن المنضـدة ، الامساك بالجرة ـ
أجنبى ، أجنبى ـ

المرأة الثالثة : أنوفنا لا تعرف الهواء ، لا تتعرف على الروائـح .

الثـلاث معـا : المرتبـة محشـوة بمسامير ـ ،
تتقلب يمينا ويسارا ـ لن يغلبك النوم ،
وذاكرتك مليئـة بمسامير ،
لا مكان لتحنى ظهرك ،
جدار وحيد ، عال ، بلا ركن لتحتمى به من الريـح ،
جدار ملىء بالمسامير ، مثل جدار السيدة « كاتينا » ـ
وأين يمكنك الآن أن تعلق الأكياس الصغيرة
ذات الأعشاب القديمة ، حيث المقصات ،
وسلة من التوت البرى ، وقبعة حمراء ، ومرآة صغيرة ؟

المرأة الأولى : ما الذى يمكن أن تفعله بمرآة ؟
ما الذى يوجد لتراه ـ وجه الموت القبيح بالأنف المجدوعة؟

المرأة الثانية : الأسنان العارية فى ظلمة الليـل ؟ ـ
عيوننا أظلمت ـ لا ترى ،

المرأة الثالثة : عيوننا لا تعرف الأشجار ، لا تعرف البحر ،

المرأة الأولى : بحر بلا ملوحة ، بلا طحالب أو أسماك ـ لا رائحة .

الثـلاث معـا : هنا ، سرا فى الليل ، اجتمعنا معا ، مستوحشين ،
بالمنديل الأسود يعصب عيوننـــا
هنا ما نزال نتساءل ، نتساءل بلا كلام
هل كان لميلو وجود ، هل كان لنا أيضا وجود ،
نحن نسوة ميلو ، أكان لجزيرتنا وجود ؛
وهل كبرنا نحن أنفسنا هناك ، وعملنا وتزوجنا
أنجبنا أولادا ما عادوا لنـــا ؟

كيف حدث ذلك ؟
كيف يمكن حقـا أن يكون ذلك الذى ما نزال نتـأمله ونـذكره ؟
لابـد لذلك أن يعنى ـ اذن ـ أن ميلو كانت موجـودة ، أننا ـ أيضا ـ كنا موجودين ، وأننا ما نزال ـ

المرأة الأولى : وأن تلك الكلمة ، ذات شفق ، « وطن » موجودة فينا ،

المرأة الثانية : وأن تلك الكلمة « حرية » موجودة ، ذات مساء ، فينا ،

المرأة الثالثة : وأن تلك الكلمة الأخرى ، رفيقـة الحرية ، « الموت » ، تأكل فى أحشائنـا ،

الثلاث معا : كبذرة أزواجنا ، تكبر وتكبر ، فتملأنـا ـ
هيه ، حامل من جديد فى السبعينيات ، فى الثمانينيات ،
لنلد ـ من جديد ـ أطفـالا كثيرين ، ألف طفـل ، أولاد وبنات جزيرة ،
لنلد ـ من جديد ـ ميلو ذات الخدين المتوردين
يا الهى ، هل أصابنا الجنون ؟
يا الهى ، هل متنا وبعثنا كطيوف ليلية من الجانب الآخر من العـالم ؟
الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ـ
نرسم الصليب على أنفسنا ، ها هى يدنا ، ـ نراها ،
انها ترسم شارة الصليب هناك ،
وهناك ظلها على الشرفـة ـ
يد جديرة ـ آه ، يا الهى ـ بأن تحمل من جديد
الخبز ، والطفل ، والسكين ، والعلم ·

(الفجر يشرق عن بعد ناحيـة البحر ، ـ وهـج وردى فـاتن · كتلة جزر صغيرة مبعثرة هنـا وهنـاك تنبثق ـ لازوردية ، شفافة ، بعيدا، كذلك الشفق الذى

يعـود ـ الآن ـ الى ميلو . النسوة العجائـز يتطلعن .
وجوههن تبـدو وردية ـ وتظن أنهن يعدن الى الشباب
من جديـد . وبطونهن تبدو ـ حقيقـة ـ كأنها تكبر ،
وهناك ميلو ، هناك ، هناك ، الى اليسار أكثر قليلا ،
بكل بيوتها ـ ليست ذكرى وحلما ـ حيـة . الزجاج
يلتمع فى النوافذ . وأربعة شبان رائعون عند الميناء فى
الأسفل على الطريق الساحلى ـ اثنان فى المقدمة واثنان
خلفهما . وعارضتـان كبيرتـان على أكتافهم . على قمة
العـارضة ، يحملون كنيسة بيضـاء . والفخار الأول
يمر مع حماره الصغير المحمل بجرار وأباريـق جميلة
الزخرفة . « صـباح الخير ، يا سيداتى الكبيرات » ،
يقول . « هـل قال لنـا ذلك ؟ ـ » تسـاءلت النسوة
العجائز . « صباح الخير ، أيها الشاب الوسـيم » ،
يجبن . يمر . « ألا يشبه ذلك ما يحدث فى ميلو ؟ » ،
قالت احداهن . « الشاب ؟ الأباريق ؟ ـ نعم ، تماما
كما فى ميلو » ، قالت الثانية دون انتظار لاجابـة .
« انهم يشبهون تماما ميلو » ، قالت الثلاث ، وفتحن
أذرعتهن الى البحر كأنهن يتمطين ، كأنهن يسـتيقظن
من كابوس ردىء) .

(ساموس ، سبتمبر ـ نوفمبر ١٩٦٩)

حجـــرة البــواب

* بيـــاض كثير

خلف النوافذ الزجاجية ، الدكان الخاوى ، كله أبيض ـ
حوائـط بيضـاء ، طاولات بيضـاء ،
على الطاولات صناديق بيضاء بها بيض أبيض .
فقط ذبابة كبيرة سوداء رفرفت أمام زجاج النافـذة .
وكنت متأكدا تماما أن صاحب الدكان
قد توفى منذ برهـة يسيرة فى الحمام
والعملات فى جيبه من بيـع البيضات الأخيرة ـ
بيـاض كثير لم يطلق سراحـه ، بياض كثير غير مطلوب ،
وحيــد تماما ، باهـر .

* أعمــق

أكثر عمقـا ، ـ قال ـ بل أعمــق
(بايقـاع ـ أيضا ـ فى الهبوط ، باستمراريه) ـ
هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتـة .
شيئا فشيئا تعتاد العين على الظـلام .
تميز افتقاد الحوائط ـ افتقاد السقف ، افتقاد السلالم .
لا نوافذ زجاجية ، لا مرآة ، ولا الخزانـة القديمة .
السبتائر معلقة فى الفراغ الأوسط بدبابيس .

وذبذبات خطواتك المبكرة الواهيـــة
على ابريـــق اللبن النحاسى
الذى ترك فى الصباح الباكر ، مع ندى الربيـــع ،
أمام بوابـة الحديقة غير المحكمة ، البيضـاء
أو على الابريـــق الفخار الآخر
الذى تحمله على رأسها المرأة الصامتـة ٠

* قرب الفجـر

آخر الليـــل ، عندما يبدأ المرور في الخفوت في الشارع
ويترك رجال المرور أماكنهم ،
لا يعرف ما الذى يفعله بعد ذلك ،
ينظر من النافـذة الى أسـفل
الى النوافـذ الزجاجية للمقهى الكبير ،
المغبشـة ببخار السهر ،
ينظر الى عاملي المقهى منكسرين فى الضوء ، كأشباح ،
متجاورين خلف الطاولة الطويلة ،
ينظر الى الســماء بثقوبها البيـــضاء ،
التى يمكن ــ من خلالها ــ رؤية عجلات الأتوبيس الأخير ٠
وبعد ذلك ، « لا شىء آخر ، لا شىء آخر »
يعود الى الغرفـة الخاويـــة ،
يحنى جبهته على كتف تمثاله (الأكبر من الطبيعى)
فيحس ببرودة الصباح على الرخام ،
بينما الحراس ــ أسـفل فى الســاحة مع أحجار الرصــيف المكسورة ــ
يلملمون شظايا الآلات الوترية من طرود المنافى ٠

* استقالة جزئيـة

هكذا حدث أن انقلب النهار فجأة الى نهار غائـم ٠
فقـد الساحر قبعته الرسمية مع الطيور ٠
وربط البهلوان حبله الى رجل المنضـدة ٠
فى الممر أوراق لعب الليلة الماضية مرمية مبعثرة ٠
وفى الغرفة العلوية، الرجل الميت ممدد ـ وحيدا ـ على السرير
بثيابه والحذاء متقاطع فى يديه ، مفتوح العينين ،
يحملق فى السقف بذلك الغثيان الواضـح
من كل هذه الذرائـع ، والالتواءات ، والأقنعـة ،
من كل هذه الأزرار فى البنطلونات ، وخاصة فى الصدرية
عندما يكون الموت واحدا ، بلا نظير ، وحيـدا
وحوض الغسيل ذو المرآة المكسورة غير صالح للاستخدام ٠

* حركـة

توفيت أمهاتنـا مبـكرا ٠
فكيف كبرنا على هذا النحو بين أيدى غربـاء ٠
صباحات شتائية مع كسرة خبز مغموسة فى ماء وقليـل من
سـكر ٠
رنين المنبهات قطـع نومنـا الى النصف ٠
خرجنـا الى الشارع دون اغتسـال ٠
ظللنا ننتقل من بيت الى بيت كل حين وآخر ٠
وكنا دائما ما نترك خلفنا شيئا ما ـ
صندوقا به بعض الكتب ، ماندولين مكسورا ٠
سوف نمر ـ هكذا كنا نقول ـ ذات يوم أحد لنأخذهم ٠
لـم نمر أبـدا ٠
وحقيبة الملابس هذه وسط الغرفة ، مغطاة بالخدوش .
مع أربطتها المبعثرة على الأرض ٠

بالداخل تركنا تعويذة قديمة فى خيط أسود
مع تلك الصور المتسخة التى رأيناها ألف مرة
المزدحمة بنساء عاريـات ، من النموذج القديـــم ،
لهن حوض عريض ، وخصر نحيل وصـــدر كبير .
احداهن كانت ممددة ووجهها لأسفل كأنها تبكى .
كانت ـ بالفعل ـ تبكى أمام الحائط
ذى المسامير الصدئة التى يتعلق بها زوج من المقصات وحمالة البنطلون .

* اقتـــراح

لا تتكلم بصوت عال ، فلا أستطيع احتمال الأصوات العالية .
فالجميع يزعقون ، ما الذى يجنونه ؟ ـ قال
فاذا ما تكلمت برقـة أكبر ، فسوف أصدقك .
المنبـــه خبأته فى صندوق الثيـــاب ، ـ
فهو مصمم على تقطيع وقتى الى فتات ، كأنه من أجل عصافير الشـــتاء .
لكننى لست طائرا ، ـ أريد وقتى سليما
بلا صرخات أو صخب مثـــل قطار ما بعد الظهيرة ، المنحدر فى الشـــارع ،
أسفل طريق « ليوزيون » بعربات كثيرة . واحدة وراء الأخرى.
محملة بالفحم والمجارف فوق الكومـــة .

* فنـــاء

عميقا فى الفضاء الداخلى ، بلا أيـة أشجار ،
لكنه يضم الأشجار التى أصبحت مقاعـــد ،
وكراسى ، ومناضـــد ، وصناديـق .
على صندوق الثياب تجلس المرأة الصامتة ، تغطى رجليها

تنظر الى البرقة وهى تزحف على الأرضية ـ
برقة خضراء ، لزجة تائهة ،
نفس البرقة التى أكلت الخشب وتأتى الآن لتأكل البيت .
والصور المعلقة على الجدران والحبل المتدلى من السقف .

* رقصة امرأة تجاوزت الشباب

لا تخبرنى . دعنى أخمن ـ تقول ـ اننى أخمن .
أقفز من شرفة الى أخرى ،
وأنا لا أحرك غير أصابع يد واحدة .
أحل الستارة البيضاء . أرميها على كتفى .
أتذكر أننى حافية .
وهو ما يجعلنى أشعر بما يشبه الرقص .
أرقص فى الهواء . انظر .
قدمى اليسرى أكثر خفة . اليمنى أكثر مهارة ـ
اننى مطاعة ، انظر ، وموجودة .
فكل حبل ، فى طرفه ، فى حافته الأخيرة ،
له عقدة محكمة تمنعه من الانتسال .
أليس ذلك هو ما يحدث مع غير المتوقع ؟ ـ دائما فى النهاية .
آه لو أستطيع تعليم أحد ما هذه الرقصة .

* ابنية

أكنت أنت الذى علقت البطانية الصفراء فى الشرفة ؟
أكنت أنت الذى رسمت شارة الصليب فوق الخبز ؟
لقد كنت وراء الحائط . ورأيت ظل يدك اليسرى على الباب .
أما السكين فلم أرها أبدا .
الباقى أغفلناه كله ـ

كيف تشكلت الكلمات، كيف يتمشى حارس الغابة وحيدا على التـــل ،
قبـل حلول الليـل والأحجـار تتجـدر ــ
تقضمها الكلاب ، تحملها الى النهر ، عنـد المرجـل ،
حيث تغسـل النسوة ــ فى هـدوء ــ ملابس الميت ٠
آنئذ تقف الكلاب بلا حراك ، وأفواهها مفتوحـة ،
تكشف عن أسنانها ، كأنها ما تزال تحمل نفس الأحجار
وتنظـر الى أعلى ــ
هذه الأحجار التى بنينـا بها البيت غير المأهول بلا سقف ٠

* اعتراف صـــعب

لقد كنت أنا الذى أخذت المسامير وألواح الخشب ٠ فلا تخنى
كان بمقدورى ألا أخبرك ٠ لا أستطيع ٠
بينما كان الآخرون يدقون ، وهم عرايا فى الشمس ،
صعد السلالم مرتديا ثيابـه ، وربطة عنقـــه ٠
فتـح الخريطة ، كبيرة تماما ، وأشار باصبعه ٠
جعلنى أتجمد ٠ فلم تكن الشواكيش مسموعـة فى الدق ٠
الآن أعرف الفرق بين الورق والحديـــد ٠
فالعـالم ينقســم الى اثنـين ٠
وسواء وافقت أم لا ، فلن يتوحـــد ٠

* تحـــولات

تعاملت مع الدب الأسود برفق ــ يقول ــ فروضته ٠
فى البداية قدمت له خبزى ، ثم رأسى ٠
فالدب ــ الآن ــ هو أنـا والمرآة ٠
أجلس على الكرسى ، أبرد أظافرى ،

ألونهم بالأحمر أو الأصفر ، أنظر اليهم ، يرضونني ٠
لا أستطيع لمس أى شىء ٠ فأنا خائف من الموت ٠
صنعت تاجا بعد ما تحررت من السلسلة حول رقبتى ،
وضعته على جبهتى ٠
والآن ، ماذا أفعل ؟
على أن أقف مرفوع الرأس ، أنظر دائما الى أعلى ٠
مع ذلك ، ففى منتصف الليل ، فى سهرى الجديد ، ولا يهم كيف أمشى ،
أسمع صدى خطواتى يتردد فى الأسفل تحت الباب المسحور ،
بينما السلاسل الأخرى تتدلى من الجدران ٠

* علاقة

لقد اتهمت السيدة العجوز الوحيدة ،
بفكها الملتوى ، وعينيها القاسيتين ، وأسنانها السوداء ٠
الآن تتمشى مع الكلاب وسط القاذورات ٠
يداها طويلتان ، نحيلتان ، معتنقتان فى سمو بكر ٠
تنظر الى نافذتك ٠ ترمى لها منديلها الذى نسيته ٠
تتركه يسقط على الأرض ، وتلتقطه ، تفتحه ،
تضعه تحت ذراعها ، تصعد السلالم ،
تضعه على عتبة بابك من الخارج ــ
لا تدخل ٠

* الايماءة

ها هنا ــ مرة أخرى ــ شىء ما يستهويك ، بلا توقع ، شىء ما بلا أهمية
كايماءة امرأة تأخذ الورود الجافة من الزهرية
لا تتخلص منها على الفور ، بل تتوقف ، تفكر ،

حركة مرجأة ، بل نادمة سلفا ـ
اذا ما حادثتها فلن تسمعك ـ
ايماءة صماء ، كالكلمة التى تضعها فى قصيدة
وبعدها تدور هنا وهناك متسائلا : « هل قلت شيئا ؟ »
ولا تبالى بأن الحرب قد أعلنت
وأن الطائرات الكبيرة تمزق الغروب
بظلال سوداء ذات حدين فوق الأحمر ،

* مقارنة مهيبة

المقهى ، والصيدلية ، والمخبز ، باب أحدهم بجانب الآخر ،
أبعد قليلا محل الزهور الصغير ٠
الناس لا يتوقفون ٠
النساء ينظرن الى انعكاساتهن فى النوافذ قبل حلول الليل مباشرة ٠
خلف الحائط غير المكتمل فى حقل الخبازى
يرمى الجميع أشياءهم ـ صوانى كرتونية ،
زجاجات دواء ، أكوابا مكسورة ، فناجين ، زهورا عفنة ٠
هناك مكان تجمع النساء والكلاب ٠
يبحثون فى الكومة بعناية ، بذهن شارد ـ
لا يرون الغروب الذهبى ،
يبحثون كالشعراء يبحثون عن القصيدة ،
وأكثر النساء العجائز بؤسا ، المهجورات ، سعيدات
بقشرة برتقالة جافة ، بجزء من مرآة مكسورة ،
بزجاجة دواء زرقاء ما تزال تحمل
الآثار البيضاء للحلزون المتشرد
وفى جوفها صوت القطار الذاهب الى « لاريسا » ٠

* النوع الآخر من الدقـــة

عليك بالقياس جيدا ، وأن تحسب بدقة الحدود والأبعاد .
بذلك ، تمد ـ منحنيا ـ عصـا القياس على الأرض ،
مستغرقـا ـ بذلك ـ في المرات التي قد تكون نسـيت فيها
الحدود ـ من يـــدرى ـ ،
فقـد تكتشف الدقة الكبرى ، وحيدا وذاتيـا ،
عندما ستلمس أصابعك ـ بالصــدفة ـ على الأرض
مشبك حزام « هيلين » ـ الحزام الذى كانت ترتديه ذات مساء
وهى تراقب ـ من فوق الأسوار ـ معارك اليونانيين والتروجانز
وخلفها ـ كالمصير ـ الكلبة السوداء الحامل
تتبعها ـ منتشية ـ بعينيها الناعستين ٠

* لقـاء غير متوقـــع

لاشيء ، بالطبع ، ينشأ بكامله من تلقـاء ذاته ٠
وأنت أيضـا لابد أن تبحث كى تعثر عليــه ٠
فى الصباح تدخل الشمس من النافـذة الشرقيـة ،
تغير لون الكرسيين الأرجوانيين ، تبقى برهـة ،
ثم تنسحب مخلفـة وراءهـا الشعور بالسكينة ـ
هذا التـلاشى الهادىء ٠
وزهور السجادة التى داستها الأقدام ، لها حقها ،
لها آذانها التى سحقت فى الأرض ،
تسمع الركض الايقاعى للخيول النبريـــة ٠
آنئـذ تدخـل المرأة الصـامتة ،
ولك أن ترى أنها حريصة على ألا تدوس هذه الزهـور ٠

ما لا يصـــدق ربما يمكن قبوله من شخصين معا
رغـم أنه لا يكشف نفسه ـ أبدا ـ الا لشخص واحد ٠

* تعـــاطف

البيوت التى قضينا فيها حياتنا
نفس البيوت التى نبحث كل يوم فيها
فى الأقبيـــة ، والدواليب ، والمصـــابيح ،
خلف المرايـا ، أو تحت الأسرة ،
عن دبوس شعر ، صـــندوق مجوهرات ، سـاعة مكسورة ،
عن علبـــة كبريت قديـم — لم يعـد يشتعل —
عن أشياء كنا نعرفها فأصبحت فجأة
مجهولة وبعيدة ، أو العكس تماما ،
فى هذه البيوت ، تحت المناضـد
عن شريحة خبز باليـة (من يدرى من أى عشـاء ؟)
لا لنأكلها ، بالطبع (فلم يعد أحـد جائعـا) ،
فقـط لنكتشـفها ·
ولو ان شخصا ما دخل الغرفـة فى هذه اللحظـة ،
فاننـا نقضـــم الخبز فى الحـــال
— رغـم الخوف من كسر سـنتنا الأخيرة ، —
هناك فى شـفق الأمسـية الهادئـة للغرفـة ،
فى الليونـة العذبـة العميقـة للزمن
فى تعـاطفنا مع أنفســنا ، مع كل شىء ، مع الجميـــع ·

* كلب عجـوز مالـوف

عرفنـا هذا الكلب لسنوات طويـلة ، — دائما هو
دائما بعظمة كبيرة فى أسـنانه ، لا هو يأكلها
ولا هو يرميها من أسنانه (فكيف يستطيع بذلك أن ينبح ؟)
الا اذا كان يختبىء — كل ليـلة ، ونحن نائمون —
ويقضمها فى السر ،
ثم يجد ، بالتنقيب فى مكان ما — من يدرى —

عظمة جديـــدة لليوم التـــالى ،
الا اذا كان قد عرف أن النبـاح بلا فائـدة أبدا
أنه لا يحمى أحدا ، لا البيت ولا الحديقة
لا النافورة ولا هو نفسـه من القمر ، والزمن ، واللصوص ٠

* الى أعلى

كان ذلك كل شىء ٠
من النافذة كان الناس يرمون عملات ذهبيـة ٠
والآخرون ، فى الشـارع ، لا يأخذونها ٠
ظلوا بلا حراك ، بلا صوت ينظرون الى أعلى
ربما الى الجائعة ، المغلولـة ،
ربما الى الغيمة أو التمثال الطينى
أو الى ذلك الخطاف الكبير
حيث شنقت العمة « أنـا » نفسها منـذ سـنوات ٠
بعدئذ ، انحنوا وأخـذوها ٠
وبقيت أنت ــ من جديد ــ وحيدا فى الغبـار
تخفى يدك المبتورة فى قميصك ٠

* توجيـه

خطط اقتصادية ، خرائط ، فرجار ، أدوات رسـم ــ
لم نفهم شـيئا من كل ذلك ٠
والتخطيط ينتهى دائما الى فشـل ٠
نزلنا، ونحن نمسك بالحبل، نزلنا الى الأعمق فى البئر القديم،
ونحن نحس على نعال أقدامنا بالبرودة المظلمة للأعماق ٠
فى فوهـة البئر ، وهـناك عاليـا ضوء ضئيـل
(ربما كان طرف سجائرنا المشتعل)
والأحجار التى تهوى الى القـاع
حددت موقعـا لنا داخل العالم المعلق ٠

* ونواصـــل

كل مرة ، اذ يقول « لقد انتهيت » ، لا ينتهى أبـدا ٠
ذات مرة تكون النافذة بستارتها الطويلة ، المسدلة ،
وفى المرة التاليـة الرجـل الأمامية للكرسى ،
بعدها كوب الماء المنسى تحت السرير قرب الحذاء ،
قبل كل شيء داخل الثلاجة ـ البيضاء بصورة مصطنعة ـ
بالتفاحة الحمراء المقضومة التى ما تزال محفوظة
وهى تكشف بوضوح تـام آثـار نفس الأسنان ٠

* على مستويـين

خميـلة الورد المتسـلقة الجميـلة
هذه التى تنحنى على التعريشة الحديد ـ بلون أحمر داكن
يتحول (من يدرى بأية عملية سرية) الى قرنفلى نبيل بمسحة
فضية تقريبـا ـ
تتوهـج مشرقـة هذه الأيـام الربيعيـة
فتضىء السلالم الحجرية ، والحوائط الداخليـة
بل وفنـاجين القهوة داخل المطـبخ ،
هذا الغنى الوافر هو ما يستحضر فى الذاكرة
فصول الخريف الماضـية (والقـادمة)
عنـدما تتغطى أحجـار الرصـيف فى الساحـة ، والمخزن ،
والصهريـج ،
حتى الغرف العلوية ، ودولاب المكتب ، والأسرة
ببتـلات ، وغصون ، وأشواك ، وأوراق شجر جافـة
ويكون عليـك أن تكنسها بين الحين والآخر ٠
ذلك هو السبب فى أننا ـ عندما نبدى اعجابنا بسيدة المنزل
على خميلتها الوردية الجميلة ـ يا له من لون، يا له من اشراق ـ
فانها بالكاد تبتسم بطريقة حزينـة شـاردة ،

كأن الشيء الوحيـــد الذى تتمناه
لم يكن سوى خاتم رفيـع حول اصبعها الصغير .

* بعـد مقاطعـــة

عندما جلس ليكتب شيئا بعد شهور عديـــدة
أحس فجأة أنه أشعث ، غير مغتسل ، مهجور
كامرأة غير متزوجة تمر بالصـدفة في المســاء ــ
بعد انشغالها طول اليوم بأعمال ترتيب البيت الروتينيـــة ــ
أمام المرآة ، فتلتقط لمحـة من صورتها العانس ،
لتـــدرك فجأة أنها طوال اليوم لم تنظر الى نفسها فى المرآة :
فهل شاخت ، اذن ؟ هل هى ــ الآن ــ ميتـــة ؟
ولماذا يكون عليها الآن أن تمشط شـعرها ؟ ــ
لقد انتهى اليوم . ولن يراها أحد ــ لا أحد بعد ذلك .
تأخذ المشط الأسود وتبدأ فى تمشيط شعرها الطويل ، كله
الى أســفل
كأنها تمشط صديقة ميتة ، كانت حميمة
وتباعدت فجأة بعينين مغمضتين ، ودمل صغير على أنفها .

* المعجـــزة

انها معجزة ــ يقول ــ بل وأكثر من معجزة :
هناك حيث استهلك كل شيء (وأنا فى المقدمة) ، أكتشف
وسط الحصى على الشاطيء الجمجمة المقدســة
لأحد أحصنة أخيـــل ــ ربما جمجمة « زانثوس » ،
أكتشف صولجان الأسقف وسط البابونج ،
آخذه فى اجلال ، وأصعد السلالم الرخاميــة ،

لا أخبطه فى السلالم ، الحشد يجتمع
أخطو على المنصة ، أسمح شعرى ، المنسدل على كتفى
يصبح بلا حراك ، والحشد ينفد صبره ،
يتدافعون ويتخبطون ،
أفتح فمى لأتكلم
أدرك فجأة أننى أخرس وأنهم يستطيعون أن يسمعونى .

***

الجسد والدم

(١)

هناك حيث الآفاق رفعت بالحبال والبكرات والجواكت الممزقة
هناك حيث السكين تبلغ العظم
هناك حيث صرخة واحدة تعيد توحيد المدينة المتناثرة
بعد أعوام وأعوام من قضبان حديدية ، ودخان ، وحرس
السجن ، وسكاكين في الظهر
ألوان مشوهة ، سلالم مشوهة
وليس لك ــ حتى ــ أن تحيى شجرة ، أو شقيقة ، أو نجمة
خلال شق في الباب

صعدت الأتوبيس ، هبطت في المحطة الخطأ، صعدت أتوبيسا
آخر
كان الزحام دافئا رغم اللامبالاة الزائفة
نظرة مختلسة الى جريدة الرجل المجاور لك أو الى عيني شخص
ما أبعد
هبوط القلب ، هبوط اليد الصغيرة على المنبه الكبير
دم ينساب من منابع خفية تحت الصخور
أعرفك ــ قال ــ من ظلك على الجدار
من يديك في جيوبك دون استغراق ذهنى كسول
من عينيك في أعماق العالم
نزولا الى العمق « أعرفك بالنصل » ــ كانوا يرفعون أثقالا

أعمدة كانت تصعد من آبـــار سوداء
أعمدة فى شــكل الآبار ، أعمدة معلقة فى الهواء
عمودا عمودا لبنــاء المعبد الهائل هناك فى الأعلى
شبان ونساء وقواصر نار مع خيول ، مع مسطرين ، مع ألواح ملاط
عاليا نساك الحقبة الأخيرة فى التاريخ الجوهرى ،
صحت صباح الخير لثلاثة أيام وثلاث ليال وسط الغاز المسيل للدموع
مثل المشاعل . والسفن الحارقة فى البحار البعيـدة
نيران فوق نيران ، دخـان فوق دخـان
أحرقت الثياب والحذاء ، الخطابات ، وبطاقة الهوية ، ايصالات الضرائب
قصائد الحب الأولى فى جيبك السرى
الى هويـة واحـــدة للفرد ، للكثيرين
ـ ماذا كان اسمها ؟ (يقول)
الى نار واحـدة تلغى الليـالى والليـالى
عليـك أن تقول اسمها (يقول) .

(٢)

أحدهم يكتب شـعارات على الجدران ،
الآخر يهتف بشعارات فوق الشوارع ،
الثالث ـ داخـل اطار النـافذة ـ ينشد علنا « روميوسيني روميوسيني »
حملوا الجريـح الى المكتبـة
ورقـة عنب مثل الكف على الركبـة الجريحـة
تماثيـل حزينة وسط الدخان ـ أين نسيت الحب
طلاب ، بناءون ، لعنات ، لافتات ، هتافات ، أعـــلام
الحب هو الحلم ، الحب هو العـــالم

الرأس المنحنية للمخبر ، ناس أكثر فأكثر يأتون
كبار وصغار ، تلاميذ مع حفنة جوز ، مع حقائب الظهر
طائران أحمران مرسومان متقاطعين على كراساتهم
المتزوجون حديثـا يطلون من حقيبة المصـور
يربطون أشرطـة فى البوابـة الحديـد
باعة أوراق يانصيب عميان، جيتار منتصب، مصابيح صيدلية
الليل يحل بالمدينة ، أرقام مضيئة ، مسارح موصـدة ،
ختامات مغلقة ، قصائد سريـة ، زهور مثقوبـة
المشهد الطبيعى الخفى يصعد فى السر فوق الليلة من الأعماق اللانهائيـة ٠
الليـلة هى أوان كل شيء ـ يقول
الليـلة هى استمرار لكل شيء ـ يقول
الغد للانسانية كلها ، للمستقبل كله
ذلك ما قالـه على السـطح
كان يمسك بعجلة قيـادة هائلة ويقود المدينـة
وفى الأسفل على الأسـفلت يمكن للمرء أن يسمع ضوضـاء الزحام
كلب أسود ، سـلة ، مرآة صغيرة
حذاءان ضخمان للمهرج الحزين والكوب المكسور
والرائحة تأتى من شواية بائع الكستناء الكبيرة مثل سفينة ٠

(٣)

الشخص الذى كان يتكلم داخل نفسه وكان مسموعا بالخارج
الشخص الذى صعد الدرج الرخامى درجتين درجتين
الشخص الذى كان ينتظر فى الساحة بشوكة طويـلة
المرأة العجوز التى جاءت بالخبز والملح فى منديلها المربعات .
الفتاة بالوردة ، الولد بالطائر والمنـديل
الحشود التى تجلس متربعة على الرصيف ، والرموش تخترقها نظرات داخلية

جاءوا بأسبرين ، ويود ، وكحول ، وقطن ، وشاش
هذا الشخص جاء بالنـار فى كفيـه ، كعصفورين
مزقـوا القميص أربطـة
وظلت صـدورهم عاريـة
لأنهم كانوا كثيرين فأكثر ، فأكثر يصلون من لحظة الى أخرى
عبارات أخويـة كتبت على عجـل بأقـلام حمراء
رسائل قصيرة لثورة صامتة على الزجاج الأمامى للسيارات
الشوارع تفضى الى هنـا ، والأتوبيسات تتوقف هنـا ،
والأيدى ضفرت مزقا من بطاطين المنافى على أشجار الزعرور
صرخات وفولاذ ، يخلع حذاءه ويحك أصـابعه
له قدمان قويتان ، باصبع قدمه الكبير يحفر حفرة فى الأرض
ويدس مفتاح غرفتـه المستأجرة
لأنه الشيء الوحيد الذى لا ينقسم ويمكن المشاركة فيه بالعدل
ليس ملكك ولا ملكي لكنـه ـ فقـط ـ ملكنـا
الشـوارع تنسـاب كأنهار فى الشـوارع
والحائط الأصفر يتخذ وهجا ورديـا فى فجر السهر العظيم
بينما فى جيوب الأولاد وآبـاط البنـات
شذرات من ترانيم قديمة ممنوعـة تبحث عن مأوى ،
أوراق دفلى طويلة ، وقرفـة وحمص
شاب ينزل عن دراجته ويقف على الجسر
تحت الجسر كانت الأسماك الحمراء والخضراء
وسمكة صفراء كبيرة تجر بأسنانها ستارة بيضاء
هى التى تبـقى بالبيت عنـدما نكون بالخارج وتحلـم ـ فى ضبابيـة ـ بالمستقبل
والخواتم تصلصل واحدا بعد الآخر على درجات الماء بأصوات صغيرة
كأصوات قيود المساجين على القضبان الحديدية عندما يحل المسـاء
أو كأصوات الطابعـة المخبأة فى طابق تحت الأرض

والتى تواصل — من تلقاء نفسها — كتابة القصيدة القادمة
عن الأبطـال الذين أعـدموا أخيرا ·

(٤)

مبنى قديم باهت بسلمين دائريين من رخـام
فى الماضى كانت أشجار نخيل لا تراهـا الآن
منديـل ملطخ بـدم ومنى على العشب الجاف
كبقعـة بيضـاء فى مركز الدائـرة ،
المحيط اللانهائى طوى داخله المدينة، والضواحى، والساحات
البعيـدة
باتيسيا العليا ، ثيماراكيا ، بانجراتى ، جيزى ، كيساريانى،
بترالونـا
رائحة بطاطس مشوية فى الشوارع الضيقة المجاورة للبحر
سفن صدئة قديمة ، سفن جديدة ، رافعات ، صناديق شحن
فى الأسفل البعيد الصدى العجول للصوت الشاب فى الراديو
وهـج سيجارة ، وأبعد منها أسى الموت
شرائط حمراء ، سهر أحمر ، الحراس بالتفصيل الدقيـق
ميجارا ترد، ثيسالونيكى ، فولوس، بريفيزا، ايونينا، دارما،
أركاذى ، ميسولونجى ، ثيودور العجوز بخوذته القديمة
فيضان من الناس داخل البوابـة ، خارج البوابـة
كرسى مكسور ، أمبول كينين أزرق
كوب على الأرض ، العلم الثالث ، غصن موسيقى على العتبـة
هنا حيث بقينا صامتين مع ثمرتى بطاطس مسلوقتين وخمس
سجائر
هنا حيث لم يكن لديهم ما يقدمونه سوى حياتهم
التى بدت لهم ضئيلة للغاية فى ساعة الشباب العظيمة
الفتاة ذات الرداء الأحمر بكت
وبكى الفتى ذو القميص الأزرق

قمر كان يتخلل النخالـــة

ناس أكثر جاءوا ، عبروا ، وسيعودون بالفوانيس

فيما وراء الموت ، فيما وراء البعث ، ليسوا ـ أبدا ـ موتى

مقاتلون شبان ، عمال يومية ، رؤوسهم على صوانى الكرتون

أى ، أى ، صاحت المرأة العجوز ، أولاد أولادنا ، أكثر من أولادنا

سوف نمشط شعركم الطويل بأمشاط كبيرة للعرس الكبير

فاض الدم، الدم يمتزج بالدم ، الوجوه والأيدى تصبح حمراء

أصبح الطريق أحمر ، والبيوت ، والخبز ، وشرفة آريتوسا

لقاء الأحمر باعادة الشباب الى العالم العجوز

وطفل يجلس فى المنتصف ، محدقا فى أظافره التى طالت فجأة بفعل الشمس .

(٥)

الرعب ، الثورة ، المرارة ـ أيهم الأول ، أيهم الثانى ، أيهم الثالث

عيون ساهرة بلا شكل ، ضائعة فى نظرتها المتنقلة

المثبتة هنا ، هناك ، فى لا مكان ، فى كل مكان

الشفاه اشتعلت بكثافة الشعارات

بالبحة وبمجهول الليلة القادمة

والأطفال الذين كبروا فجأة، أشخاص منحوتون وسط الشعر واللحى الحمراء

كبروا وكبرت ـ أيضا ـ أياديهم تجاه ملامح ثابتة

والشخص ذو النظارات ،ذو البنطلون المتعدد الألوان ، معه عام على قمة الدرج

يهتف ، يهتف ، فيرمون جرائد فى النيران

هذا الشخص الذى يمسك بسياج السلم ، يصبح الحديد دافئا فى راحة يده

والأربعة جلسوا على الأرض مع كراساتهم ،

مع القوارير ، والدوارق من المعمـل الكيميائى ، والصمامات
المفرغة ، وأجهزة ارسال الراديو
هؤلاء الذين يلتزمون السكون فى انتظار
أن يسمعوا
الشـخص الذى ينصت للهباء وسـط الشمسـيات السوداء
المبلولة فى الممر القديم
وسط منبهات فارغـة تنطلق أحشاؤهـا بعنف
الشخص الذى قطـع نصفين متساويين تماما
توحدا فجأة من جديد فيمارس الجنس مع تمثاله ومع العالم
ومضات متقاطعة ، تقارير اخباريـة ، أعـلام
أسـنان تحت الأرض تقضـم الجـذور
ها هنا البداية الجديدة ، الأغنية المنفردة ، الليمونة المقطوعـة
ملصق كبير على بوابة قبضـات البروليتـاريا .

(٦)

ضوضاء من جرارات الصهاريج ، العرف المرتفع لليـل
« أخوتى » صرخوا فى البداية « أخوتى ، أخوتى »
ثم « قتـلة » صاحوا « مرتزقـة ، قتـلة »
« حملة النقـالات ، ببطء ، ببطء أكبر »
يخرجون ببطء ، يمكثون ببطء ، يعودون ببطء
فلتخبىء جمرة نار فى جيبك الداخلى ، خبىء العلم
الباب الأول، الباب الثانى ، الثالث ، أصوات مكتومة ، خامدة
سيحين الوقت من جديد ، وستكون هناك أشجار ، وأصائـل
على العتبـات
مع كسرة منسية فى فم أحدهم فى مواجهة القمر الجديد
وقت متوقف يفتح الوقت ، والشوارع المضاءة بالمصابيح
هنـا يتمدد الموتى ، يتغطون بملاءة
يحسون بالبرد، ان لم نهتم بهم، سنحولهم فى الغد الى تماثيل

واحد بقيثارة ، والآخر بسيف ، وآخر بطائر على كتفه وفردة
صندل فى يده

حافظنا على المقاييس ، نفس مقياس رفاقنا
نفس المقياس الذى يحتفظ به البروليتارى فى جيبه الخلفى
مع مشطه ومفتاح بيته
مع فصى ثوم وعلبة كبريت
واليد تعرف ، تبحر فى الظلام ، تعثر على الركبة ، وزجاجة
المصباح
تعرف أركان الصبر الأربعة ، الطبق الأرضى ، والسكين
واذا ما تأخر الكبريت فى الاشتعال فلأنه ينتظر اللحظة
المناسبة

يتكىء قليلا ، وينال قسطا من الراحة ، وبعدها من جديد
هناك على الرف الطائر المحنط ــ انه يتظاهر بأنه محنط
يجلس على القش ، فى انتظار بيضة سرية
داخل البيضة الريش ، والمنقار ، والأغنية
لقد صحت ، وتوقفت ، ركنت الى الصمت ، وسوف تصيح
آى ، آى ، أطفالى
تتوهج عيون الموتى كى تستطيع الكتابة فى الظلام
عمت مساء فى رقة ، عمت صباحا فى رقة ، أقيس نبضك
القوى صاخبا صباح الخير .

(٧)

فى هذه الحكاية شارك الكثيرون وأيضا آخرون لم يظهروا أبدا
مختبئين خلف الذكريات أو خلف البوابات الحديد
أو خلف المصاريع القديمة المحفورة بأظافر الزمن
وآخرون أعدوا رغيفا كبيرا من خبز وحفروا بسكين الجيب
صليبا عليه

والنسوة العجائز تجمعن فى المطبخ ، الرحمة يارب ، الرحمة
يـــارب
وعين على النـــافذة والأخرى على المنخـل
العين الثالثة على الشارع مع الشرطى ، مع الدخان ، والجنود
لأن المفرش على المنضدة يرفرف من جديد
وبأكتافـه الدائرية الدافئة يدفـع الطائر الآخر الى أعماقهم
والنسوة العجائز مؤهلات من جديد للحمـل ،
بصرف النظر عن أن أطفالهن يلعبون مع الموت
واذا ما فكرت أن تقول سأعود ، فستخشى أن يثبت من جديد
أنك كاذب
فالعقبات هائلة ، وهائل جبين الدخان المتعالى
والترزى ، والنجار ، والحانوتى أغلقوا جميعا دكاكينهم
والرجـل العجوز جـالس على ألواح الخشب يـوزع أوراق
الكوتشينة المسروقة ، ثلاثة فى كل مرة ، لا يمكن تحقيق
الفـــوز
كم من المرات قلنا « آمين » فأطاحوا بنا من جديد
أطلت الفئران من جحورها ثم انسحبت مرة أخرى
بقية الجحور لم تكن للفئران ، الهواء يتخللها ، كانت مفتوحة
على الخارج
أجزاء من أبراج الجرس، من الغيوم ، من لافتات محلات الجزارة
يد تحمل شيئا ما ، ساق بمفاصل متصلبـة
لا تركع ، ففى طرقات على الرصيف مثل ساق خشبية ، مثل
حجر تدخـل البـــاب
آنئذ يتساقط الجبس عنها والحجر السابع يتداعى
فجوة مفتوحة فى السقف ، سماء بعين واحدة
سيأتى آخرون ويحكون الباقى ، لا تنس فحسب ـ قال
لا تنس ما جرى ، ما يجرى هنا والآن
والا ـ قال ـ فـلا شىء يمكن أن يتحقق للنوافـذ الموصدة .
والأعين الحولاء

للآلات الوترية الملفوفة بعناية فى صناديق زجاجية وكرتونية
على يد أناس قدامى منسيين
للأوتار المحفوظة فى الدرج وسط ايصالات الماء والكهربـاء
أو فى جيوب المعطف الأسود المعلق فى الدولاب بدون نفتالين
بينما الصخب فى الخارج يذوى، تمتصه طلقات البندقية الأخيرة
والأتوبيس الضخـم الذى يحترق فى ناصية « باتيسيون »
و « ستيرنـارا » .

(٨)

هناك بالطبع أشياء بلا كلمات، لم تكتشف، لم يبحث عنها أحد
اذا ما حاولت أن تقولها ، فلن تكونْ ــ بعد ــ أشياء ،
ستتحول الى غبار أو دخان أو ــ فى أفضل الأحوال ــ ومضات
كلمات صغيرة ، عظيمة ، مكثفة ، كلمات الليل ، فراشـات
الليـل ، بيضـاء وسوداء
تجتذبها النـار ، تبتلعها ، فتحترق سريعـا
هسهسة واهيـة من قضمة الدهن من أجنحتها ، من قرون
الاستشعار
فرقعة فى مكان ما ، ومضتان صفراوان أو زرقاوان
ومن جديد النار والأشياء ــ فى مواجهة النـار ــ مضاءة أكثر
حمرة ، مكبرة
فراشـات الليـل مختلفة فى شعر امرأة
أو قرب زجاج المصباح ــ تلك لها أسماء مختلفة
مثلما وقـع الخطوات على الأسفلت
والصرخات التى تنطلق عبر كشافات عربات متوقفـة
أربعة أجساد وأربعة أعلام تحت القضبان الحديد
أنا امرأة عجوز ــ تقول ــ تعذبت بألف موت
ارتعبت بألف وأحد عشر خوفـا
لا من ألم أتكلم ، أعض على لسانى ، أغزل قطعة صوف بمغزلى

فيها ناس طيبون كثيرون وأعلام وقيثارات وذرة ودجاج ٠
لن آكف عنها بأى ثمن ، وبهذا الغزل أصنع سفينة كبيرة
وبكرة حمراء صغيرة من خيوط تبقت من سهر الأسبوع المقدس
لقد أصاب الخبال امرأة عجوزا بلا أسنان ــ يا بنى ــ فلابد
ليدى أن تظلا مشغولتين بشيء ما
والا فسأخلع قميصي وأطوحه في الهواء عارية تماما في الشوارع
اننى أغطى أطفالى لئلا يصابوا بالبرد لهذا يضعوننى معهم فى
الزنزانـــات
وأنت تخبرنى كيف للمرء أن يناقش الأشـــياء ، كيف له أن
يحولها الى أفعـــال
آه يا سفينتى الصوفيـــة العظيمة ذات الأقفـاص الخشبية فى
البحار المفتوحـة
تأتى فى العالم وتمضى لا تعرف حدودا ولا ينالها غرق ٠

(٩)

وعندما تركت الشمعة على بسطة السلم ، قالت : « انتبـه »
لئلا يلتقط ثوبك الليلى النار وأنت تمر بها حافيا ومشط فى
يـــدك
وتحت السلالم تجمع أولئك الباقون على قيـد الحياة
ربما يقرعون الباب بقبضاتهم أو كعوب بنادقهم
لا تفتح ، سيكسرونه فى النهايـة
ظلال البراميل لا تغطى الجدار كله
والرأس الرخامى ينتصب فوقهم ، يغمز برمشه ، فيفهمون
يقل وقع الخطوات فى الشارع، يتوغل أكثر عمقا، داخل الأرض
توقف شخص آخر ليبول على نافذة دكان المجوهرات
سيعودون فيما بعد ليشعلوا نيرانا أكثر ، ليحرقوا كتبا
ليكسروا الأرفف الزجاجية ، أيد حجرية فى الرماد
خزانات الكتب واقعة ممددة ، صور فلاسفة ، فى الممر زجاج
نوافـذ مهشم

جرائد ، رؤوس مشاجب ، خزانات قواقع ، شعر ، قوارير ، طباشير
ها هو الدليل ، قالوا ، دعوا الصحفيين وهذا وذاك
مسموح ، يقولون ، فوضى ، لحى ، نساء ، قبلات على السلالم
حملوا البعض الى بوليس الأمن
والبعض الى الضواحى
وآخرين الى المشرحة
وما يزال آخرون الى أن يحفروا — على عجل — مقابر
أسماء مجهولة ، وشارع ، ورقم ، وعائلة ، وأم
وقال من جديد ، أمى آه يا أمى ، خاتم زفاف مهشم ، حوض غسيل
انتظرنى بعد ثلاثة مبان
ففى ورشة الخشب تركت بعض الخبز وبصلة
لففت العلم حول صاريته ودسسته تحت مريلتى
لينخسنى فى ضلوعى ، فى عمودى الفقرى ، فلا يسمح لى بالنسيان
فاذ يحل الصمت الثقيل ، فان اليقظة العظمى آنئذ تبدأ
هذه اليقظة التى لا تسمع الا فى مفاصل القتلى ·

(١٠)

أهدأ صمت بعد الدبابات ، لملموا العربات المحترقة ، والرماد
أزالوا الدماء فى الفجر الباكر
حملوا الموتى بعيدا الى البوابة الحديد ، والأشجار المحطمة
لم يعد الصغار الى بيوتهم
أشباح تطوف حول آكشاك التليفون
ومن نافذة الى نافذة وجه النار المنطفئة
عثروا فى الغرفة المستأجرة على الشخص المشنوق
والآخر فى الدولاب المغلق

والآخر وجبينه على ركبتيه كما لو كان يقرأ كتابه الأخير
مرآة صغيرة على المنضدة كانت مرمية مقلوبة، لا تريد أن ترى
قدر ، ومطفأة سجائر ، والكنارى فى قفصه بلا ماء وقد تيبس
كعظمـــة
ستبكى الفتاة عندما تعود ، لحسن الحظ تركنا لحانا تنمو
حتى لاتكشف أننا لم نحلق،فلا أمواس حلاقة فى الدكاكين الآن
ولا فى أكشاك المحاربين القدماء ــ من يدرى
طيور صغيرة فرت من النخيل العالى، وتوقفت فى أضيق شارع
« جايار جايار » ، كانت المرأة تنادى فى صوت خفيض ، كلبها
فى الطابـــق الأرضى مات
مبكرا فى الأصيل تضاء أنوار الشوارع كأن الشوارع مريضة
والغرف القديمة مريضة وأسرة الطلبة خاويـة
والملاءات ملطخة بســائل منوى جـاف
والماء فى الكوب يتظاهر بالنعاس حتى لا تتم خيانتـه
الرجل الذى شرب قطرات معدودة من الماء مفقود ، لا نـدرى
أين هو
أعلام صغيرة تتنفس كالمتآمرين داخل القمصان المزررة
وتدير الرقم باصبعك للمرة الرابعة، والخامسة، ولا من مجيب
تعود الدائرة ــ مع الصرير ــ الى وضعها ، دائرة ودائرة تبدو
الآن مثـــل صـــفر
وهؤلاء الذين أخفوهم فى المقبرة يصيحون فى الليـــل ·
ليست صفرا ، انتبــه ، انهم يصيحون ، انتبــه ·

(١١)

يأتون ، يمضون ، يأتون من جديد ، خطوات مسموعـة ، ثم
تتـــلاشى
الصمت متزاحــم فى الأركان ، كروت البريد التى مرت على
الرقابة من المنفى مبعثرة فى الهواء

٤٨ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ومزق كبيرة من ورق خشن تشـابكت بين أرجلهم
من النافذة الصغيرة عاليا هناك ، تنظر لأسـفل
أكشاك بها نظارات داكنة ، نظارات للشمس أو ـ بالأحرى ـ للظلمـة
الجرائد تتوافق بسهولة مع الأحداث الجديدة
الجيوب تصبح كافية للأصابع ، والناس ، والتاريخ
ترام قديـم مرمى فى الحقل وسط نبـات القراص المبـلول والأشواك
معان أخرى تتجمع فى تبادل حر فى قبعة الشحاذ
المرأة العجوز تقول للفتاة : انتظرى وسأغسل وجهك سأغسل ثيـابك
الرجل العجوز يشعل النار ، يضع قدرا عليها
مثل الزمن الذى ترك فيه « فانجيليس » وردة على المنضدة
وفجأة أصبح كل شيء مستحيل التفسير، محيرا و ـ مع ذلك ـ جميـلا والى الأبـد
وكنا محزونين لأننـا ـ حتى ـ لم نفهمه
وتقول « مارثـا » انها ليست تبريرات ، لا
ولا براهين تقول ـ فى الصيف حينما ذهبنا الى الشاطىء
ها هو « بيتر » ، ها هو « ليفتريس » . ، و « كاتينـا » ، و « نيوفى » ، و « كاكيـا »
بعد توزيع الكراسات كانت هنـاك قنافذ وقنديل البحر على الرمـل
حدس شعرى عظيم بالفواكه والقوارب
فعندما يخلع الرجل ثيابه يدير العالم وجهه
وبين حصـاتين ورديتين يمكنك أن تؤمن بعمل عظيم سيأتى بالتأكيـد ليمضى
قطرات صغيرة تسقط من الشعر بين حلمتى الثديين
تلك الأشياء التى نعتبرها زائدة كانت تعود : سلة من أغصان الكروم ، ملاءة بيضـاء

قيلولة قصيرة فى الظهيرة وسط صنوبر الشاطىء والزيز
والا ـ تقول « ماريا » ـ فلن نعرف السبب فى النضال وفى أى شىء
سيكون شعورا يستحيل نقله مثل بار مغلق على الكؤوس المهشمة ، كما لو كان الذنب ذنبى
وكنت أقف بالشارع أنظر الى ما بداخل النافذة
فرأيت احدى فردتى حذائى مرمية هناك على القرميد رغم أنى كنت أرتديهما
بل اننى انحنيت لأعقد رباطى الحذاء حتى أتأكد وكانتا موجودتين بالفعل
الى أن تذكرت أخيرا أننى خارج على القانون وخلعتهما .

(١٢)

ما أسموه ـ فى النهاية ـ مجدا أو عصيانا أو تضحية
يوم بالغ الشفافية كأن لا شىء جديرا باللوم قد حدث الليلة الماضية

أبعد قليلا فى الأسفل كان يمكن للمرء أن يسمع الهتافات
اطارات النوافذ كانت تغير ألوانها ، وساد الأحمر
الموسيقى طافت فى مكان آخر ، وكراسى البارات ظلت خاوية
كانت النوافذ تتحول الى أبواب ـ كان يقول ـ « سأخرج »
وانطلق فى السماء بسهولة كبيرة
فوقها كل شىء طبيعى ، ومن جديد
تتحول النوافذ الى نوافذ مرة أخرى
أكثر ضيقا من ذى قبل ، أكثر انغلاقا
ثم الحائط وحده
ثم المسامير فى الحائط
قمصان غير مغسولة تتدلى من المسامير
أهنا سنبقى اذن ، أهنا سوف نجول ؟ سأل

الشيء الوحيد الذى التقطه كان باقة زهور سقطت على الضوء
بصـوت مسـموع
زهور بيضاء ، ما من واحدة أفلتت من الرباط المبلول
جاءوا بالاناء ، أخرجوا السمكة الذهبية ، وشربوا الماء
ومن المبنى السكنى عبر الشـارع ، كان النـاس ينفضـون
المناشـف
كأنهم ينفضون الغبـار عن مصباح غير موجـود
ما من أحد فى مزاج طيب ، عندما يسقط الليـــل
كيد مقطوعة فى كشاف الضوء المتلاشى لمحرك النيران
تنتصب المدينة مرئية على حافة الدخان مع الألواح المحترقة
دوافـع غريبة تخلق مواقف غير متوقعـة
تماما مثـل الأكاليل الكثيرة على مدخـل الجبـانة
مثـل نعش زجاجى يقف عموديا ويمشى بمحاذاة الأعـلام
والميت يقفز الى الاستاد ، ينتصب ملفوفا بالأسلاك والتهاليل

(١٣)

العدم هو الأسهل ــ يقول ــ فهو يتخذ شكلا بسرعة خاطفة
وخاصة لو انها الصالة بالمرآة القديمة والأحذية الملطخة بالطين
معطف المطر الأبيض على الحامل المتهالك، وتفاحتان على الكرسى
الأسـود
رحلة سعيدة قال ، رحلة سعيدة ودولاب الملابس
يرقد مفتوحا على الأرض، مع مناديل مبعثرة، وملابس داخلية
وجـــوارب
احتمالات كثيرة ، نخيل ، أراجيح ، فاكهة ، بكرات
بلا حقيبة ، ديون ومسئوليات ، العدم سهل ــ يقول ــ
« بوريس » كان جالسا فى الحديقة يشـاهد سيقان الفتيات
العـابرات
تدلت حلقــة ذهبيـــة من أعلى
كان بائع الجوز أعرج ، ماهرا فى صناعة القراطيس من الجرائد

والآخرون على ارتفاعات عالية فى صندوق زجاجى طويل مع
حاسب اليكترونى
كانوا يتكهنون بالنبوءات ، يرتبون الآلات ، أية فرصة تلتها
لكن الناس ـ يقول ـ ليس لهم سوى يدين، ويملكون التضامن
السرى
رأس ثقيلة من الضرب فى الجدار
قصاصات من جرائد ممزقة احترقت فى مطفأة السجائر وأنت
عليك أن تتحدث عن الأشياء الصعبة ، الهائلة ، الواضحة ،
الاجبارية
مثل الحارس على البوابة الأسمنتية طوال ليلتين ، ثلاث ليال ،
يقاوم النوم
وكيف تجد الوقت لتأخذ من جيبه المرآة الصغيرة والمشط
لتمشط الى الوراء قليلا شاربه الذى طال فجأة
وما ان سقط فى النوم واقفا ، حتى أتى « كارايسكاكيس »
فى منتصف الليل ومشطه له

(١٤)

أولوية الماء ، والخبز ، والنوم ، تكرارات
الجذر التوى تحت النسيان ، سنلتقى من جديد
وفى ركن دكان الفاكهة ودكان الزهور ، هناك مقايضة ،
أضواء فى المساء
يمر القطار خلال النفق محملا بسمك مجمد
وأصوات عالية محفورة على الصناديق الخشبية
آخرون يحتاجون الى التدخل ، وآخرون يتصررون ، وأولئك
يتلاشون فى الابتعاد
حلاقو النساء فى باروكات حمراء يعودون الى البيت فى الفجر
وعمال المصانع بالفكات ، والزرديات ، ولفات ورق
موسيقيون عميان يدخلون المحطات ، يغنون عن المدينة المتألقة

غجر ، وعرافون يدخلون : « سيكون حظك عظيما »
والأسود سينقلب الى أبيض ، فاترك لحيتك تطول الى صدرك
وعندما تدق الطبول الصـفيح فى الليـل ، انتظر فى موقف
الأتوبيس
فهناك منزل من زجاج مضاد للرصاص
بداخله يمكن للمرء أن يرى بيـانو كبيرا ، ومقاعد جميلة ،
وصـــورا .
فى الغرف التحتية تتآمر الفئران
وصلنى خطاب بمظروف جنائزى أسود، سيشعلون الشموع،
ويروون حكايـات
عن الموتى ، عن الأطفال بالمقاليع ، عن أشـجار الصنوبر فى
العاصـفة
سفينة غريقة ، قمر تهشم بصورة رأسـية
عمال التلغراف فى مواقعهم
والفتيات الكاتبات بأظافر ذهبية ينتظرن الوثائق الأخيرة
لا أستطيع احتمال هذه الهيولى ـ يقول ـ موقـد الكحول ،
الكوب ، أعقاب السجائر ، وشـعرى
أقضـم اصبعى ، أضع نغلا ثانيا لحذائى العسكرى
لأنصت الى الجذر فى الأرض وهو يصوغ الأوراق فى عقلـه ·

(١٥)

نقلنا الموازين فى السر ، وزنا اللحوم، والكلمات، والسكاكين،
والسـاعات
كتبنا أرقاما فى كراسـات على المناضـد
ونحن نجمع ، نطرح ، نضرب ، نقسـم
ودائما ما يجىء المجموع ناقصـا ، فنبدأ من جديـد ، كنتم
مخطئـين
وكانت « هيلين » واقفـة عند الباب ، مضاءة

بفعل نافذة دكان الألبان عبر الشارع، وجبينها ملون بالأزرق
الفاتـــح
الوهج الوردى تحت ذقنها ، وشعرها بنفسجى
لابد أنها أنهت حساباتها
يدها اليسرى كانت غايـة فى الرقــة
ولابد أنها قد أجابتك اذا ما كنت سألتها
وانحنى رأسها كأنها قالت : « نعـــم »
أتوبيس يمر كل عشرين دقيقـة
وعليك أن تحسب بدقـة كى لا تنتظر
الضوء أكثر كثافـة فى الحفر الطينيـة
ول « فانجليس » شهوة ـ عمياء مثله عندما يتهيج للنساء
وثيابه تفوح برائحة نكاح ونيكوتين
الشبان الآن يدخنون أكثر
وهكذا الفتيات أيضا ليقللن الفارق بين الجنسين
فيما بعد عندما ذهبت الى الغرف العلويـة
صدمتنى مرة أخرى رائحة الأنتيمون غير المشروع
الا أننى لا أسـتطيع النسـيان ، فصحت بصوت أعلى لأغطى
نفسى
وكان « بيتر » واقفـا بصورة صارمـة عند البـاب
وصوت الآلة الكاتبة كان مسموعـا خلف السـتارة
وكل واحد كان يفكر فى عزلة ، لا يعرف الموتى شيئا عن هذا
المجـــد
والموت يصبح أكثر صعوبة، ستبدأ المساومات والمضاربة حالا
قيمة الخصوصية ـ يقول ـ البعد المسطح للمكعب ـ يقول ـ
علقوا منشفة حمراء هائلة فى الحمام
تغطى الحمام كله بقرميد أسود لامع
وفاح بصابون معطر ، ولوسيون ، كولونيا ، معجون أسنان .
وشـعر مسـتعار
لم تكن هنـاك رائحة لجسـد انسـانى ، أو منى . أو لقدم
رياضيـــة ،
أو لفم قبل بعمق ، خرجت لأبول على العشب .

(١٦)

كانت الأتوبيسـات تجيء من المنـاطق المجاورة النـائية فى الصباح الباكر
حشود ، عمال ، موظفون ، أطفال ، نساء بماكياج قليـل
كعك السمسم ساخن ، جرائد ، كانت المدينـة مهجورة فى الصباحـات
نفس الحركات ، نفس العناوين السوداء ، ضباب خفيف
معطف رمادى ، مثقوب بالعثة ، فى « هافتيـا »
وبينما كل شيء يبدو كما هو ، كان واضحا أن شيئا ما قد تغـير
فى هذا الوجـه قطـع من حلاقـة متسرعـة
وهذه الفتاة الصامتة ، شعرها طوحته لأعلى هبة ريح سريـة سوف تخونها
وهذا الولد يده اليسرى فى جيب بنطلونه ما تزال تتشبث
بانتصابه الصباحى ـ البلدوزر يبدأ فى العمـل
هذه الضوضاء ضرورية لتغطى الصمت المحصن
تمضى مع الوريد ، مع الطرق داخل المعابد
زوج من الزرديات على الكرسى ، حلم بلسان مقطوع
منشار على الأرض ، مشط فى الجيب الخلفى للبنـاء
سلم ، أغنيـة متشظية بكلمات أخرى
صـندوق خشبى مع قطرات طـلاء
فعاليا فى مواقع البناء هناك أسمنت سريـع الالتصاق
وبذلك فلم تنس هذه الليالى مع الشبابيـك الحمراء
نيران فى الأرصفة ، الأصوات الحرة للمسجونين
الانسجام الكامل ، المنطق البسيط ، السيجارة المشتركة
النساء العجائز وكل واحدة معها حقيبة سكر ، وقليـل من القهوة ، والبرتقـال
الكلمات والأشياء التى تنتمى لنا جميعا ، قال
الليـلة العظمى تنتهى بالأعـلام .

(١٧)

ما قد قيل مرات عديدة كان يعود بمعان أخرى ـ
لأليكوس بحزامه المشدود تعبير طفل غاضب بعد مشاجرة
بقذف الطوب
خلف ظهره أشجار وأنهار صغيرة مختبئة
و « مارثا » ترتدى ثوبها الأزرق ،وشعرها
مصفف على طريقة يوم أحد قديم يجيء من المستقبل
« ديمترى » يبين من الحائط ، ينغلق الحائط خلفه
كيف لجبل أن يقترب وليس معه سوى شجرة واحدة وخطى
منحوتة فى الصخر
وتحت الشجرة نبع تطفو فيه الأوراق ٠
غريب ـ تقول « ماريا » ـ لقد احتفظت بشمعتين فى الدرج
ذابتا دون أن أشعلهما ، لم أجد سوى الذبالتين الصفراوين
أشياء كثيرة تحترق من تلقاء ذاتها مستسلمة لزمنها الخاص
فى الليل وأنا نائمة أسمع ناقلات ضخمة
تدخل فناء الكنيسة ، أدير مفتاح الضوء
أنظر الى صورتى فى المرآة وأبدو مشابهة كثيرا لنفسى
مشابهة تماما لشخص غريب
أريد أن أرسم وجهى أحمر ،
و « ميروبى » كانت تأتى بورد من الحديقة كأنها أصيبت
بفقدان ذاكرة مفاجىء
ولهذا يبدو الرجال ـ مع ذلك ـ مقطوعين من قماشة أخرى
ـ فلأحضر لك بعض الفاكهة من الثلاجة
هراء ـ قال « الكسندر » ـ هراء ، لقد رأيتهم
فرسانا وسيمين على جيادهم السوداء الطويلة
وحوافر الأحصنة لا تكاد تلمس الدرج الرخامى
اندفع الراقصون المحاربون نحو المعبد وهم يمسكون بالأعنة
كانوا يقفون ساكنين أمام الأيقونات ذات الحجم الطبيعى

عيونهم ـ شرارات مثبتة على العيون المرسومة
غضب على النكران واستبدال القديسين
الكبرياء الرجولى فى مواجهة الأسى الواهى
لحظة واحدة وبعدها قبضوا على الأعنة واندفعوا فى الشمس
خلفهم كانت الدراجات البخارية تسرع ، لم تستطع أن تلحق بهم
انكسرت نظارة الرجل القصير النظر على العتبة
والقلنسوة السوداء الخشنة تتماوج على الصخور كغابة أشجار كاملة
فلتتذكر التاريخ فى لحظاته العظيمة
أما الباقى فعويل على الهاربين والمخصيين ·

(١٨)

ثم أصبحت الضواحى مهجورة ، تلاشت الأشجار
أصيل أصفر طويل كان يتدلى من مرآة الحلاق
وعربة بائع الجوز مهجورة أمام دكان النجار
عندى صداع نصفى ـ قالت « مارثا » ـ طنين من أشياء لا أعرفها
تلك التى حدثت وتلك التى لم تحدث بعد
وأنا فيها بنفسى ، أمسك مشطا لكنى لا أمشط شعرى
اننا نتردد بين خوف وانتصار ـ قال « اليكس » ـ عند نقطة مجهولة
ومعنى التأخر نفسه غامض
ماذا عن ، من أين ، من أجل ماذا صنعت ثقبا ـ تقول « أنا » ـ فى زجاج النافذة
ثقبا ناعما دون تهشيم الزجاج ، أدس اصبعى فيه
كأننى أبحث عن عين غريم يمكنها ـ رغم ذلك ـ أن ترى
انه من نقص النوم ، يقول « بيتر »
بل هو من الانتظار ـ تقول « مارثا » ـ

وهو بسبب شيء ما علينا أن نفعله ولا ندرى ما هو ، أو كيف. أو متى

والشموع تنطفيء أمام الباب أو تتلاشى وراءه

عندما تغرس عصـا فى حفرة الجير الحى

وتتوقـع أن تعثر على معنى الايماءة أو تعثر على كلمة

لأن ذلك لابـد أن يحدث ليستمر

والا ما حدث شيء

ولابد أن الشبان الذين قتلوا غاضبون علينـا

وسوف يجلسون فى المسـاء على مقـاعد وطيئـة متظاهرين بتطريز كيس وسـادة

لئلا يروا عيوننا التى فقدت الهدف

وسوف يرفعون الصمت الى أعلى مثل فتيـل المصباح القديم المنسى

وعندما دخـل الكلب الحجرة أحس بندمنـا فورا من دخـان السجائر الكثيف

فتظاهر بأنه لم يفهم شـيئا ، شـد ـ فحسب ـ طرف ثوب « ماريـا »

وخرج بلا صوت كأنه يرتدى حذاء من مطاط لرجل ميت

آنئذ نهضنا فى الحال جميعا ، خرجنا الى الشارع فى منتصف الليـل

وكتبنا على جدران المخبز ، ومصنع الأسمنت، ودكان الزهور نفس تلك الكلمـة المتجانسـة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

وبعدها سمعنا بوضوح فوقنا التنفس العميق للأعلام المخبأة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

ذلك ما كانت تهتف به الأعـلام ·

* * *

أثينـا ، كالامـوس

١٧ نوفمبر / ١٩ ديسمبر ١٩٧٦

القصيدة مكتوبة فى الأصل بدون علامات ترقيم

روميوسيني : قصـــيدة ريتسوس التى قـــام ميـــكيس ثيودراكيس بتلحينها • وقد تم منعها خـلال الحكم الديكتاتورى• وأصبحت رمزا للمقاومة•

ثيودوروس كولوكوترونيس : أحـد قـادة حرب الاستقلال اليونانيـــة •

جورجيوس كارايسكاكيس : أحـد أبطـال حرب الاســتقلال اليونانيـــة •

الأنتيمـــون : أحـد العناصر الهامة للخليط المسـتخدم فى الطباعة • « الأنتيمون غير المشروع » اشـارة الى مطبعـة سريـة •

مختارات من القصائد القصيرة

* ضـــوء

غصن صغير من شــجرة لوز
أمــام النافـــذة ،
غصن صغير فحسب
يخفى نصف القريـــة ٠

الحب يخفى بكفـــه
كل العـــالم ٠
لا يبقى ســوى الضــوء ٠

* وحـدة صغيرة

فى ركن الفنـــاء ، وسط المياه الصابونيــة
انحنت بضــع وردات تحت ثقــل أريجها ٠
ما من أحد أبدا تشــمم هذه الوردات ٠
ليست هناك وحــدة صغيرة ٠

* الخيـــال والواقـــع

« أفعال تافهة » ، قال « ناس تافهون ، أثاث تافه ،
زهريـــات ، مطفآت سجائر ، محابر ،

مناضد عرجاء ، أسرة غائرة ـ تكرارات » ٠
أمسك بنفسه ، بكلتا يديه ، من الهواء ، كما لو من عارضة
سقف لا مرئى وظل هناك ، معلقا ٠

شخص ما عابر ، برغيف خبز فى يديه
توقف برهة وسأله : « ما الذى يجرى ، يا صديقى ،
لماذا تسحق قدميك ، لماذا ترفع ذراعيك عاليا ؟ »
وقطع شريحة خبز وقدمها له ٠

أخذها الآخر ، وضعها فى فمه ، نظر حوله مدهوشا
وهكذا ، مع امتلاء فمه ، بدأ الكلام
فى وضوح ، فى بساطة ، فى دفء ، وتقريبا فى بهجة ٠

* مشهد ريفى طبيعى

منضدة فى برودة الغرفة ، ثلاثة مقاعد ٠
عنب على المنضدة ، ماء مثلج ٠
حمرة الطماطم فى مقابل الطبق الأبيض ،
رشح الملح على القطع فى لحمها ٠
أسماء صغيرة لخضروات وفواكه تنتشر فى الصالة ٠
فى المرآة على الجدار ، السماء ٠ وخارج الباب
خس ، وكمثرى ، وفول أخضر ، وبامية ، وباذنجان ـ
حديقة الله الصغيرة ٠ كيف يتمشى
الغدير فى خطوات قصيرة ، صغيرة متقافزة ٠ نعمة ٠
يد ترسم شارة الصليب ٠
ظل اليد متواضع على الأكواب ٠
مشهد طبيعى صغير ، جليل ، فى اتساق ٠ بعد ذلك بقليل
ترمى يد القداسة الهائلة المعقودة

ظلها على الظهيرة الذهبيــة ، البـاهرة ·
الهى ، فلتكن مشيئتك ألا تسمح لنا برؤية ما أمامنا ولا ما فى
الوراء ·

* ظهـيرة

الشمس هنا لا تمزح ـ هذه الشمس الحانقة ، الجبارة .
بحاجبها المعقود ، بفكها القوى ،
بصدرها ذى الشعر الكثيف العارى من الكتفين حتى البحر ·

شهر · شهران · شهور ·
أحصيناهـم جميعا ، ظهور محملة بالحجر والفزع ·
اصـــبع محنى ينقر كتف الابريـق
ليسمع صوت الماء بالداخـل ،
مثلما تسمع صوت المرأة خلف البـاب ،
أو مثلما تســمع المرأة صوت أصغر نجمة ،
أو مثلما تسمع النجمة ثغـاء الغســق ·

ظهيرة مديـدة هنـــا ،
مديدة كيوم أحد فى الريف بلا أطفـال
ـ ظهيرة تدوم من الصـباح الى المساء ·

لو كنا أقل عطشا، لما فكرنا فيها ،
لو كانت هناك شجرة على منحدر فى قمة الجزيرة ،
لو كانت هناك حفنة ظل ، مرارة أقل ، ظلم أقـل ·

لا نتذكر شـكل الشجرة ـ أربما
تشبـبه رايـة هائلة من ماء ؟
أتشـبه « شكرا » سمعت منذ زمن بعيـد ؟
أتشـبه يـدى حبيبـة عثرت على يـدك ؟

بعـد غـد سـنغرس ألف شـجرة •

* اعتيـاد

شمس من حجـر ذهبت معنـا
حارقـة ريـح الصحراء والأشـجار الشوكيـة •
استرخى الأصـيل على حافـة البحر
مثـل بصلة صفراء عاريـة فى غابـة غامضـة بالذاكرة •

لم يكن لدينا وقت لهذه الأشياء ـ ومع ذلك
فبين الحين والآخر كنا نرفع أبصارنا ، وهناك على بطاطيننا
مع الأقـذار ، وبقـع الزيت ونوى الزيتـون
بقيت بضع أوراق من الصفصاف، وبضع أوراق من الصنوبر •

وحتى تلك التى كان لها وزنها ـ أنواع عادية من الأشياء ـ
ظل مذراة على الجدار نحو الغروب
وقع حوافر حصان فى منتصف الليـل
مسحة ورديـة تتلاشى فى الماء
فتترك الصمت أكثر وحدة فى يقظته ـ
وفى الأسفل وسط القصب والبط البرى ، الأوراق المتساقطة
من القمر •

لا ، لا وقت لدينـا ـ ما من شيء نحتفظ به ،
عندما تتخذ الأبواب هيئة الأيـدى المعقودة
والطريق هيئة رجل يقول « لا أدرى شيئا » •

ومع ذلك ، عرفنا أن فى البعيد عند المفترقات العظيمة
كانت هناك مدينة يضيئها ألف نور ملون
حيث يحيى الرجال بعضهم بايماءة رأس بسيطة ـ
نتعرف عليهم من أيـــديهم
من الطريقة التى يقطعون بها الخبز
من الظلال التى يرمونها على مائـــدة الغداء
عندما يزداد كل صوت نعاســا فى عيونهم
وترسم نجمة وجيـــدة صليبا على وسادتهم •

نعرفهم من الكفاح الذى يجعد جبينهم
بل الأكثر من ذلك ـ عندما تعمق سماء الليل فى الأعالى ،
نعرفهم بطريقتهم المتآمرة ، الرصينـــة
وهم يفتحون قلبهم كمنشور سرى
تحت البـــاب الموصـــد للعـــالم •

* غرفـــة الشـــاعر

الطاولة السوداء المنقوشة ، والشمعدانان الفضيان ، وغليونه الأحمر •
يجلس ، غير مرئى تقريبا ، فى مقعـــده الوثير ،
وظهره دائما الى النافـــذة •
من وراء نظارة ضخمة يراقب ـ فى حذر ـ كل زائـــر
يسقط عليه الضوء الكامل ، وهو ـ نفسه ـ مختبىء وسط كلماتـــه ،
خلف أقنعته فى التاريـــخ ، بعيدا ، منيعـــا ،
وهو يشد الانتباه الى شرك الوهج الرهيف لخاتم من ياقوت فى اصبعـــه :
انه على أهبة تذوق عباراتهم ، مثل مراهقين ساذجين
يبللون شفاههم فى تبـــاه ـ بلســـانهم •

ويجلس هناك ، شرهـا ، شبقا ، ماكرا ،
امرؤ بـــلا اثـــم ،
متأرجحا ، بوجوده كله كدفتى ميزان فى يـد الله
متأرجحا بين نعم ولا ، بين الرغبـة والنـدم ،
فيما الضوء من النافـذة وراء رأسـه
يتوجه بتـاج المغفرة والطهارة ·
« لو لم يكن الشـعر غفرانا » ـ يهمس لنفسـه ـ
فلا انتظار ـ اذن ـ لرحمة فى أى مكان » ·

* لا ، لا

هذه الأشياء البطولية ، الفاتنة (ربما الساذجة ـ الفاتنة ، مع ذلك) ـ
الأحجار البيضاء الضخمة ، المطارق ، وهؤلاء العرايـا
فى الورشات (معظمهم مصارعون ، وملاكمون أشـداء)
وساقان انفرجتا فى توازن زائد ، لا ، لا ،
ذلك ليس شيئا مضحكا ـ يقول ، انه يتجاوز الأسى ، ـ
ذلك الكلب المهزول ، المغطى بالقراد والقروح ،
الذى يشرب ماء قذرا من دلو الغسـيل
المتروك بجوار التماثيـل شبه العارية للأبطال الموتى ·

* آنئـذ والآن

كانت الآلهة دائما ما تتدخل فى اللحظة الأخيرة
لتمنع ما هو أسـوأ من الوقـوع ·
فقبل أن ينهى الرسول الكلام ،
أو قبل أن يكتمل تشكيل صورة دمار السفينة فى ذهن الملك.
كانت أثينا تظهر على سطح المعبد ،
فتخاطب الملك البربرى واليونانيين الذين جذفوا بعيدا

فى زورقهم ذى الخمسين مجذافا : « المصير » ، أعلنت ،
« هو واحـد لكل من الآلهة والمخلوقـات •
ولهذا فغضبك يا « ثاءوس » ، ليس مناسـبا •
أما أنتم أيها الأخرون ـ أتمنى لكم ابحارا صحوا » •
لكن الآن لم تعد هناك آلهة ، ونخاف الأسوأ ـ
ذلك الغضب المناسب ـ حتى ولو كانت سفينة أوريست
قد تحطمت بالفعل على الصخور في الأسـفل ، حتى ولو لم
يبـق منها
سوى لوح‌خشب وحيد طافيا ، منقوشـا بكلمة
الصـــمت •

* المدينــة الأخـــرى

هناك قفار كثيرة تتداخل ـ يقول ـ صعودا وهبوطا
وأخرى فى الوســط ، قفار مختلفـة أو متشابهة ، بعضها
اجبــارى ، ضرورى ،
وبعضها كأنه اختيارى ، كأنه حر ـ لكنها دائما متداخلة •
مع ذلك ، ففى العمق السحيق ، عند المركز ، هناك قفر وحيد
ـ يقول ،
مدينـــة جوفاء ، كرويـــة تقريبـــا ،
بلا اعلانـــات اليكترونيـــة متعـددة الألوان ، بلا بقـالات
أو موتوســيكلات ،
وحده الضوء الأبيض الفـارغ للضـباب ،
تكسره ومضـات اشـارات غير مألوفـــة •
فى هذه المدينة ، عاش الشعراء لزمن طويل ، طويل •
يمشون بلا صوت ، أيديهم معقودة ،
يتذكرون مشـاهد وكلمات وأشياء منسية ، غامضـة ،
هم ـ الذين يمنحون العزاء للعالم ـ دائما بلا عزاء ،
فريســة للكلاب والناس ، والعثة والفئران والنجوم •

فريسة أيضا لكلماتهم ــ هم أنفسهم ــ التى نطقوهـا أو لم ينطقوهـا ٠

✻ حفـلة تنكريـة

وسط الأقنعة الكثيرة فقد وجهه ، ينظر ــ
القناع الأحمر ، الأزرق ، الأسود ، الأصفر ، وذلك القناع .
البنفسجى مع الترتر حول الفم والعينيـن ،
أو هذا الآخر باللحية المتعجرفة الطويلة ــ انه أول ما ارتدى
عندما كان فى العاشرة ــ كان يناسبه تماما
(وثبت أنه كان حقيقيا بشكل كامل تقريبا بعد حوالى خمسين عامـا) ،
والقناع الأبيض ، الجبسى ، بعينيه الخاويتين وبلا أنف ، كأنه يمثـل موتـه ، ــ
كان يريحه ، ارتداه كثيرا ، ولم يكن سوى
رطوبة الجبس وذلك الغبـار الدقيـق ،
كان خائفا من أن يلتصق بجلده (آه ! هذا القناع كان وجهه حقـا) ،
هناك على الجدار ــ انه هناك ، معلق ،
يدس غليون بحار بين أسنانه ، يضـع نظارات شمسية على عينيـه ــ
عينين غائرتين ، عمياوين ، تحدقان فيه ،
تدفعـانه الى اختيـار جديد ــ مرة أخرى ، القناع الأحمر ، الأصفر ، الأزرق ٠

✻ ركـود

تلك هى الكيفيـة التى اعتدت بها على كل شىء ــ قال ،
حتى تلك الأشياء التى ربما أدهشتنا ذات يوم ،
هى الآن عاديـة وباليـة ٠

وليست المسألة فحسب أن الأشياء تذوى
فعيوننا أيضا تذوى — الآن يتجنبون النوافذ الملونة ،
والأضواء الصناعية القوية — يفضلون الآن الممرات المعتمة
أو الطرق السرية المتماثلة — تماثلها يشبه الأبد .
ولم تعد تراها غريبة أن تبدأ السماء فى الهطول عند الفجر ،
أو أن تدق ساعة مبنى البلدية الثانية عشرة فى الظهيرة ،
والساعات المتروكة بالخارج لا مبالية ، وحيدة ،
مكشوفة فى العراء ، غير مشبعة أبدا .
امرأة مجهولة تتجول فى المنزل ، شعثاء ،
وجواربها النايلون ترتخى راكدة .

* التناقضات المعتادة

الكلمات — قال — الكلمات التى لم تنطق ، رفقتنا الوحيدة ،
ندرسها ، نقيمها ، تقيمنا — يتعمق المشهد الطبيعى ،
لا تعثر فحسب على عظام ، بل أيضا على أجنحة وأجساد
جميلة —
تلائمك ، تلائمها ، تتلاشى ، ها قد رحلت .
يعثرون علينا خلف الأبواب ، الجدران العالية ، متحفتين —
تعرف ذلك — انها الوسائل الوحيدة للتواصل .
الحوائط الخشبية بين الغرف تتحول الى زجاج .
ترى الكلمات وهى تسقط على منضدة الطابق التحتى العارية
بصوت أجوف
مع حشرات الليل حول المصباح الخارج على القانون .

* ازدهار غير طبيعى

أراد أن يصرخ — لم يعد يستطيع الاحتمال .
ما من أحد كان هناك ليسمع ،

ما من احد اراد ان يسمع

هو أيضا كان خائفا من صوته ، فأغرقه بداخله ٠

لا بد لصمته أن ينفجر ٠

ولسوف تتناثر شظايا جسده فى الهواء ٠

سوف يلملمها بعناية ، بهدوء ،

يعيدها الى أماكنها ليسد الفجوات

واذا ما عثر بالصدفة على خشخاشة ، أو سوسنة صفراء تحيلة ،

فسيلمها أيضا ، ويضعها فى جسده ،

كأنها كانت جزءا منه —

هكذا كان ، مع امتلائه بالفجوات ، مزدهرا ً غرابة ٠

٭ حفريات ١

٢٢٠٠ ق٠م ، ١٩٦٥ ق٠م ، ٨٢ م — زهريات فاتنة ،

معبد أبوللو ، الساحة العامة، أبعد فى الأسفل النبع المقدس،

عملات ذهبية ، وفضية ، وبرونزية ، محفور على أحد وجهيها « بيرين »

و « بيجاسوس » على الآخر ،

المنصة حيث وقف « بول » ليدافع عن نفسه أمام القنصل « جاليو » ،

أجزاء من مبنى ، وأساسات ، وجدران ، وأجساد ساكنة من حجر ،

سلالم بلا حصر ، سلالم بيضاء الى أعماق الأرض ٠

« أنا ، عزيزتى أنا » ، تمتمت المرأة العجوز ٠

« ما فائدة كل هذه السلالم ؟ ،

نصف خطوة الى أسفل فلا يمكننى العثور عليك فى أى مكان» ٠

واصل السيد « ويليامز » حفرياته الرائعة ٠

وعلى أحد الأجناب بالخارج، كان جورج المراكبى يزرر بنطلونه٠

ومض مشبك حزامه في الشمس ـ
تماما مثل حزام بوسيدون الكورنثي ٠

٭حفريـــات ٢

عليك بالمواصلة ، الى الأسفل أكثر ، أعمق ـ
ينقصك اصـبع ، يد ، ينقصك ضـلع ، والسيف ، والعنب الذابـل ـ فلتواصـل ٠
القديم يكملنا ٠ ما الذى يمكن أن يأخذوه فى الحاضر منك ٠
لكننا نحتفظ بالآخر ـ رفيقا سريـا ، مفيـدا فى التمشيات المنفردة
عنـد النزول الى الموانىء القـديمة فى ليشـايى وكينشيراى وكورنثـة
أو هنـا على شواطىء سـاموس ٠
فى أصـائل الصيف الحار يرتشف أهل سـيكيون الصودا المثلجة فى مقهى كياتو ،
الآخرون يصطادون السمك فى المرفأ بالصنارة ٠
نساء صامتات يحملن ماء الخلود فى جرار ملونـة رائعـة
تحت أشـجار الحور والليلك ٠
دع قمـة كورنثـة الى السيد « سترونجـا » ،
دعـه ينقب عن كنوز « كياميك » بك ٠
وستشعل محرقة الموتى ، فترمى بضوئها
على موكب التماثيل العارية التى نخبىء أنفسنا بينها ،
وبمفتاح ، كاعلان ، تندس قصيدة فى ابطنا ٠

٭ مشـــهد

فى الرواق ، وقفت المرأة الحزينة ، والمحامى ، والحارس ٠
فى المكتب المجاور للبـاب يرن التليفون ٠ « فى الرابعة » .
قالوا « القـارب » ٠

« فى الرابعة » ، قالوا ، « تماما » ·
قرقعت البوابــة الحديــد من جديــد ·
كانوا يجيئون بمزيد من الناس الى الســاحة ·
« سأرسل لك سجائر » ، قالت المرأة ·
« حان الوقت » ، قال الحارس ·
على الجدار كان عنكبوت كبير يزحــف ·
انفتح الباب الثانى فجأة ـ انكفأ الرجل الميت على وجهه ·
والآخر اختطف العنكبوت ، ودسه فى فمه ،
وهو يضحك وأســنانه منطبقــة ·
« تكلم » ، صرخوا فيه · « تكلم » ·
« تكلم » ، هددوه · لم ينطق بكلمة · كان يضحك ·
جلست المرأة على البطاطين وأخفت وجهها فى يديها ·

❋ أحجــــار

تأتى الأيام ، وتمضى ، بلا مجهود ، بلا دهشــة ·
والأحجـــــار تغوص فى الضوء والذاكرة ·
واحــد يجعــل من حجــر وســادة ·
آخر يضع حجرا فوق ملابسه قبل السباحة حتى لا تطير مع الريــــح ·
وآخر يستخدم حجرا مقعدا له ،
أو ليحدد شيئا ما فى حقله ، فى المقبرة ، فى الحائــط ، فى الغابـــات ·

فيما بعد ، بعد الغروب ، عندما تعود الى البيت ،
فان أيــة حصاة من الشاطئ تضعها على منضدتك
هى تمثــال صغير ـ « تــايكى » صغيرة أو كلب « أرتميس » صــغير ·

وتلك الأخرى ، التى وقف عليها شـاب بأقدامه المبتلة فى
الظهيرة ،
هى « باتروكلوس » ذو رموش طويلة مسـدلة ٠

❋ متتـالية الاحســاس

غاصت الشمس أرجوانيـة ، فبرتقاليـة
والبحر معتـم ، أخضر لازوردى ٠
وبعيـدا ، هنـاك قـارب ــ
علامـة سوداء متأرجحـة ٠
شخص ما نهض وصاح : « قارب ، قارب » ٠
ترك الآخرون ــ فى المقهى ــ مقاعدهم ، ونظروا ٠
كان هنـاك ــ بالتـأكيد ــ قـارب ٠
لكن الرجـل الذى صـاح ،
كما لو كان ــ الآن ــ مذ
نظر الى أسـفل ، وقال :
« لقـد كذبت عليـكم » ٠

❋ لحظـة خشـوع

كانوا ينخلون الرمل على الشاطىء ، وحملوا :
فى الشمس الحارقـة كانوا يقطرون عرقـا
بعد الظهر ، خلعوا ثيابهم ، امتطوا جيادهم ومضوا الى البحر،
مذهبين سمرا من الشمس الحارقة ومن شعر أجسامهم ٠
أطلق شاب صرخة وأسقط يده الى مفترق ساقيه ٠
أسرع الآخرون اليه ، حملوه ، أرقدوه على الرمـل ،
وهـم ينظرون اليه صامتين ، عاجزين عن الفهم ،
الى أن أبعد أحدهم اليد ــ فى خشوع ــ عن مفترق الفخذين ،
آنئذ، رسموا جميعا ــ وهم يتحلقون حوله ــ شارة الصليب٠

والجيـاد ، بليلـة ، ذهبية ، تنشـقت ،
ورؤوسها تشير بعيـدا الى الأفــق ٠

٭ ذنــب

أخـذ قبعتـــه وخــرج ٠
ظلت عند المنضدة بالقرب من المصباح ٠
عندما أصبح وقــع خطواته بعيـدا ،
نظرت الى يـدها فى الضــوء ٠
« انها جميـــلة » ، قالت ٠
بعد ذلك ، كما لو كانت تبرىء نفسها أمام شخص ما هناك ،
أخذت الخبز الى المطبخ وأطفأت النور ٠
فى الخارج مرت عربـــات الكارو والقمر ٠

٭ اذعــان

فتحـــت النافـــذة ٠
أطلقت الريح ، فى هبـة مفاجئـة ، شعرهــا ،
كطائرين كبيرين ، على كتفيها ٠
أغلقت النافـــذة ٠
كان الطائران على المنضـدة ينظران اليها ٠
أحنت رأسها بينهما
وبكت فى هـــدوء ٠

٭ رحيــل

تلاشى فى نهايـــة الطريـــق ٠
كان القمـر عاليـــا ٠

صرخ طائـر على الشـجرة ·
انها قصـــة عادية ، بسـيطة ·
لم ينتبـــه أحـــد ·
بين عمودى اضــاءة الشــارع
بقعـــة دم كبيرة ·

✻ سـباق الظـلال

عند انقلاب الصيف ، حينما كان شديد الحرارة ،
كنا نتمشى لساعات فى الطريق المقدس خارج جدران المدينة ·
تراب لا ينتهى ، وعـرق ، وشمس تعمى ·
المظلة البيضاء مرفوعة فوق رأسى اثنين من الكهنة
بيـد اثنين من ذريـة « اتيوبوتـادى » ،
وهم ينزون عرقا ، فى حالة يرثى لها ، متمسكين بعجرفتهم ·
كان يبدو كأن الشمس كلها قد تركزت
على هذه الخيمة البيضاء البـاهرة المتحركـة ·
عندما وصلنا ، فى النهاية ، والصخور العارية تعمينـا ،
غطينا الأيقونـــة بالتراب ·
آنئـذ ، توقف العرق فى الحـــال ·
نـدى عـذب رطـب المظـلة ·
ظهرت غيوم خفيفة فوق قمم التلال· سقط ظل على الرموش·
ربما كان من انهاك هذا المسير · لكن لا ·
كان الشبان يخلعون ثيابهم ·
والمباريـات الرياضـية كانت تبـدأ ·

✻ بعـد الهزيمـة

بعد تدمير الأثينيين فى « أيجوسبوتامى » ، بعده بقليل ،
بعد هزيمتنـا النهائية · تلاشت المناقشات الحرة ، والمجـد
البريكليسي ،

وازدهار الفنون ، والملاعب ، ومنتديات فلاسفتنا ٠
الآن الكآبة ، صمت ثقيل في الأسواق ،
وقذارة الطغاة الثلاثين ٠
كل شيء (حتى أخص ما يخصنا) يحدث باهمال
دون فرصة لشكوى ، أو دفاع ، أو تبرير ، أو حتى احتجاج شكلي ٠
أوراقنا وكتبنا أحرقت ، وشرف وطننا يبلى ٠
حتى اذا ما سمح لصديق قديم أن يمثل كشاهد ،
فسوف يرفض مخافة أن يقع في نفس المتاعب ـ
وسيكون محقا بالطبع ٠
لهذا ، فمن الأفضل أن نكون هنا ـ من يدرى ،
فربما يمكننا أن نحظى بتواصل حي مع الطبيعة ،
ونحن ننظر الى جزء من البحر ، والصخور ، والغابات
أو الى غيمة عند الغروب ، نائية ، بنفسجية ، ترحل ، خلف السلك الشائك ٠
وربما يصل ذات يوم « كيمون » آخر ، يقوده في السر نفس النسر ،
وسيحفر ويعثر على رأس حربتنا الحديدية ،
صدئة ، متهالكة ،
فيمضي الى أثينا ، ويرفعها في موكب للعويل أو الانتصار
مع الموسيقى وأكاليل الغار ٠

* ونحكي عنهم ٠٠٠

بالطريقة التي انحدرنا بها مع كلماتنا وأفكارنا ،
لا يمكن أن تربكنا الأمجاد القديمة أو اللاحقة ،
ولاكتب السيرة لأرستيديس ـ
وعندما يبدأ أحدنا ـ أحيانا ـ في تذكر احداث الثلاثمائة أو المائتي عام ،

يقــاطعه الآخرون على الفور بــازدراء ، أو ــ في الحــد الأدنى ــ بريبة •

لكن أحيانا ــ مثل الآن ــ عندما يصفو الطقس ذات يوم أحد ،

ونحن نجلس تحت شــجر الأوكالبتــوس ، في هذا الضــوء العنيــد ،

يطغى الحنين الى الأمجاد القديمة على أحدنــا

ــ لا يهم ان كنا نصــفها بأنها رخيصــة ــ

عندما بدأ الموكب في الفجر ، نافخ البوق في المقدمة ، خلفه المركبات المحملة بأغصان الغار والآس ،

ثم الثور الأسود وفتيان يحملون جرار اللبن والنبيــذ

من أجل القرابين وقوارير زيت وعطر جميلة ــ

لكن أكثر ما كان يبهرنا ، في نهاية الموكب ،

حاكم « بلاتيآى » بكل ما يرتديه من أرجوان ،

وهو الذى لم يكن مسموحا له بقيــة العام بلمس الحديد

وعليه بالتزام الأبيض في كل ثيابــه ،

الآن يرتدى الأرجوان ويحمل سيفا طويلا ،

عابرا المدينة في مهابة ، نحو مقابر الأبطال ،

حاملا جرة من جرار الدولــة •

وبعد غسل شاهد المقبرة ، بعد الأضحيات السخية ،

يرفع كأس النبيذ ، يعلن وهو يريقه على المقــابر

« انني أقدم هذا الكأس الى أشجع الرجال

الذين ســقطوا من أجــل حريــة اليونــانيين » ، ــ

وتمرق رعشة خــلال غابــات الغار القريبــة ،

رعشــة تظــل ترفرف خــلال أوراق هذه الأوكاليبتوس

وخــلال هذه الثيــاب المرقعــة من كل الألوان

المعلقة كي تجف في الشمس •

* الرقصـــة الجديـــدة

ليست أعذارا فحسب ، بل دوافع أصيلة ، نتائج هامة ـ
أهواء، ومصالح ، ومخاطر، ومخاوف ـ باسيفاى، والمينوتور،
والمتاهة ، وأرياذنى ، وخيطها الشبقى الجميل
الذى لا يرتخى ، فيقوده فى الظلام الحجرى .
ثم عودة « ثيسيوس » الظافرة .
توقف فى ديلوس وهناك رقص « ثيسيوس » حول الكيراتون
(المذبح الشهير المصنوع بكامله من قرون الحيوانات)
مع فتيان أثينا الذين رافقوه ، رقصة جديدة خارقـة
بخطوات متقاطعة ترددت ـ ربما ـ فى ضوء الظهيرة القوى ،
وفى المنعطفات المظلمة للمتاهـــة ،
وربما من يدرى ـ صنعت الطيور وزيز الحصاد هذا الصخب العظـيم
فى غابـة الصنوبر الصغيرة القريبـة ـ
ما الذى لم تستطع اكتشافـه ، وكنت مشـدوها
من الشمس والانعكاسات الصـادرة من البحر ،
زجاج دقيق مسحوق ، والحركات الباهرة للأجساد العارية ـ
رقصـــة خارقـــة .
وفيما بعد نسينا كل ما يتعلق بالمينوتورات والباسيفايـات والمتاهـــات
وحتى أريـاذنى البائســة التى تموت وحيـدة مهجورة فى ناكســوس .
لكن الرقصة سرعان ما انتشرت فى البلد وما نزال نرقصها .
منذ ذلك الحين ، واكليل السعف مقضى بأن يكون
رمزا تذكاريـا للمباريـات الرياضيـة فى « ديـلى » .

* أفـــول الأرجـــو

الليلة ونحن نتحدث عن كيف تمر الأشياء وتشيخ ، تصبح رخيصـــة ـ

النساء الجميلات ، والمآثر البطوليـة ، والقصائـد ـ
تذكرنا السفينة الأسطورية عندما جاءت الى كورنثة ذات ليلة ربيعيـــة ،

وقد نخرها السوس ، متهالكة ، ومساند المجاذيف محطمة ، مليئة بالترميمات ، والثقوب ، والذكريـــات .
الموكب الطويل عبر الغابة ، بالمشاعل ، والاكاليل ، والنايات ، ومباريات الفتيـــان .
كانت الأرجو القديمة هبة فاتنة الى معبد بوسيدون .
ليلة جميلة ، ترتيل الكهنة ، بومة تنعب من قوصرة المعبد ، الراقصون يقفزون ــ بخفـــة ــ على السـفينة
يقلدون الفعل العنيف بتكشيرة غير مهذبـــة ،
حركة المجاذيف غير الموجودة ، والعرق ، والدم .
آنئذ ، بصق بحار عجوز عند قدميه ومضى الى الغابة الصغيرة ليبـــول .

* يـــأس بنيـــلوب

لم تكن المسألة أنها لم تستطع التعرف عليـه
فى الضوء الكابى للنيران ،
لم تكن أسمال المتسول ، وتنـــكره .
لا .
كانت هناك علامات واضحـــة :
النـــدبة فى مقدمـة الركبـــة ،
جسده المفتول العضلات ، ونظرته الماكرة .
حاولت ــ فى رعبها ، وهى تستند على الجدار ــ
أن تجد تبريرا ما ، مهلة ما ، كى تتفادى الرد ،
حتى لا تخـــون أفكارهـــا .
أكان من أجله أن ضيعت عشرين عامـــا ،
عشرين عامـــا من الانتظـــار والحلـــم

من أجل هذا البائس ، الغارق فى الدماء ، بلحيته البيضاء ؟
انهارت على المقعد بلا كلمة ،
أمعنت النظر فى الثياب الذبيحة على الأرض ،
كما لو كانت ترى رغباتها القتيلة ·
قالت : « أهلا » ،
فتسمع صوتها كأنه يجىء من بعيد ،
كأنه صوت شخص غريب ·
والنول — فى الركن — يرمى بظله كقفص على السقف ،
والطيور التى نسجتها بخيوط حمراء زاهية وسط الأخضر
تتحول الآن الى الرمادى والأسود
وترحل مرفرفة خفيضة فى السماء الفاترة
لمحنتها الأخيرة ·

❋ أثينا ١٩٧٠

فى هذه الشوارع
يمشى النـاس ،
يهرع النـاس ، يتعجلون
أن يبتعدوا ، أن يفروا (ممن ؟) ،
أن يذهبوا (أين ؟) — لا أعرف — لا وجوه —
منظفات للفراغ ، أحذية ، صناديق —
يهرعون ·

فى هذه الشوارع ، فى زمن آخر —
مروا بأعلام كبيرة ،
وكان لهم صوت (أذكر ، سمعته) ،
صوت مسموع ·

الآن ،

يمشون ، يهرعون ، يجـرون ،
سـاكنين فى هـرولتهم ـ
يأتى القطـار ، يركبون ، يتدافعون ،
ضـوء أخضر ، أحمـر ،
البواب خلف الفاصـل الزجـاجى ،
البغى ، الجنـدى ، الجزار ،
الحائـط رمـادى ،
أعلى من الزمـن ٠

حتى التماثيـل لا تستطيع أن تـرى ٠

* تحذيـرات

ربما سـيكون عليـك أن تظـل متمالكا لصوتـك ، ـ
غـدا ، بعـد غـد ، بعض الوقت ،
وعنـدما يهتف الآخرون تحت الأعـلام ،
سيكون عليك ـ أنت أيضـا ـ أن تهتف ،
لكن تأكد أنك تسـدل قبعتـك على عينيـك ،
الى أسـفل ، أسـفل تمامـا ،
حتى لا يروا الى أين تنظر عينـاك ،
ولا يهم ان كنت تعرف أن هؤلاء الذين يهتفون
ينظرون الى اللامـكان ٠

* ذنب سرى

الاثم والبراءة ـ قلنا ـ شىء واحد فى نفس الليـلة ٠
الآخر أقسم ألا يقول ٠ لكن من يـدرى ـ

فأنت لا تستطيع أبدا أن تتأكد ما اذا كان وكم من الوقت
سيظل صامتا ، وستظل صامتا ، ـ
وربما ستندفع بحماقة لتسبق الآخر ،
وأنت تنظر الى المطر يقطر
أسفل الزجاج المضاء للمطعم ،
حينما يسمع المقعد وهو يسقط فى الزحام ،
والكوب يتهشم ،
وهو ، والطعنة فى جنبه ، دامى العينين ،
يمد ذراعه الكبيرة ، المفتولة
ويشير اليك ٠

❋ وظيفة الشاعر

فى الممر ، المظلة ، والحذاء المطاطى ، والمرآة ،
فى المرآة ، النافذة أقل سكونا ،
فى النافذة ، بوابة المستشفى عبر الشارع ،
هناك ، طابور طويل من المتبرعين بالدم
المألوفين ، ذوى الصبر النافد ـ
أوائلهم شمروا أكمامهم
بينما المصابون الخمسة فى الغرف الداخلية ميتون ٠

❋ رسام تجريدى

رسام ـ ذات أصيل ـ رسم قطارا ٠
هربت العربة الأخيرة من الورقة ٠
عادت الى المخزن بنفسها ٠

فى هذه العربة ـ بالذات ـ كان يجلس الرسام ٠

* ايضــاح ضرورى

هناك مقطوعات معينة ــ وأحيانا قصائد بكاملها ــ
لا أعرف معناهـــا ٠
انه ما لا أعرف هو الذى يحملنى على الصمت ٠
فأنت محــق فى أن تســألنى ٠
لكن لا تســـألنى ٠
فأنا لا أدرى ، أقول لك :
ضوءان متوازيان يأتيــان من نفس المركز ٠
صــوت الماء المتســاقط فى الشــتاء
من ماسورة صرف المياه الزائــدة ،
أو صوت قطرات الماء وهى تســاقط
من زهرة فى حديقـــة مرويـــة ،
بطيئـــة ، بطيئـــة على مســـاء ربيـــعى
كنشـــيج طائـر ٠
لا أعرف ما يعنيـه هذا الصـــوت ،
ومع ذلك ، فــانتى أقبـــل بــه ٠
فأيا ما كان ما أعرف ، فقــد أوضحتــه لك ٠
لســت متجاهـــلا ٠
لكن هذه ــ أيضــا ــ تضيف الى حياتنــا ٠
فاننى ألاحظ ــ عنــدما نامت ــ
كيف شــكلت ركبتاهــا زاويــة على الملاءة ــ
لم تكن ــ فحسب ــ مسألــة حب ٠
فقــد كان هذا الركن ملتقى العذوبــة ،
وشــذى الملاءة ، والنظافـــة ،
والربيــع المكمل لذلك الشىء المستعصى على التفسير
الذى حاولت ــ دون جــدوى مرة أخرى ــ
أن أفسره لك ٠

* لحظـــة

حى بحـارة منبـوذ · الأضـواء ناعسـنـة ·
حانات البيرة البائسـة مصفوفة فى طابور كنساء معدمات ،
ينتظرن بلا أمـل أمام المستشفى القروى ·
الشـارع مظلم · الجميع قرروا النوم مبـكرا ·
لكن فجـأة
تضـاء الحانـات حتى مقاعدهـا الأخيرة
بالضحكة البيضاء الناصعة لأحـد الشبان ·
وبعدهـا مبـاشرة
جاء صوت البحر اللانهائى ، المنتظم ، الذى لا يقهر ·

* تطـابق

هذا التمثال البرونزى اتخذ وضـعا وفق هواه فى منتصف الشـتاء ،
تلك الخطوة العملاقـة للحصـان
كأنه يقفز على الرياح العكسية الجبـارة ،
حتى لو كانت سيماء الفارس المتكبرة ، المتعاليـة
قد تعادلت مع الهطول والغيوم والعواصف المرعـدة
عندما حولت ومضات البرق العنان الى شعلتين نحيلتين ثابتتين
حتى أنك لا تستطيع أن تقول ما اذا كان العواء
قد صـدر من الريـح على طول الشوارع العـارية
أم من الفـم المفتـوح للتمثـال ·
لكن الآن ·
مع هذا الربيـع ، المسترخى ، المتساهل ، المتسامـح ،
مع هذا الضوء الناسى ، هذا الضوء ذى المزاج الطيب
(ربما بسبب الجبن ، أو منهكا من الحـر)
الذى تربط به أشعة الشمس المتاحة ورقة الشجر بالأخرى ،

الشـجرة بالأخرى أو بالبيوت ،
النظرة بالأخرى أو بالشـفاه ـ
مزاج التمثال أصبح الآن فوق الاحتمال، مستفزا ، غير لائق ،
الى حد أن الفارس البرونزى ـ نفسه ـ قد ترجل عنه ،
نادى ثلاثة عاطلين كانوا ينتظرون فى الحديقة العامة بالمعاول،
وبدأ ـ وهو ينز عرقا ، راضيا ـ فى تحطيم تمثالـه ٠

* مدرج مسرحى قديـم

عندما وقف شـاب يونانى ـ حوالى الظهيرة ـ
فى مركز مدرج مسرحى قديـم دون أن يرتـاب ،
ووسـيما مثلما كانـوا ،
أطلق صيحة (لا من الاعجاب ، فلم يحس أبدا بالاعجـاب
وحتى اذا كأن قد أحسه ، فلم يكن ـ بالتأكيد ـ ليظهره) ،
صيحة بسـيطة ، ربما من فرح لم يروض بشـبابه
أو ببسـاطة ـ ليجرب خصائص السماع بالمكان ٠
فى الجهة المقابلة ، عاليـا فوق الجبل المندفع ، رد الصدى ـ
الصـدى اليونانى ، الذى لا يقلد ولا يكرر
لكنه يتواصـل ـ ببسـاطة ـ الى ارتفـاع بلا حدود
الصيحـة الخالـدة للقصـيدة الحماسـية ٠

* شـجرة

تجذرت هذه الشجرة فى الجانب الأقصى من الحديقة ،
طويـلة ، نحيـلة ، وحيـدة ـ
ربما خان ارتفاعها فكرة سرية عن الاقتحـام ٠
لم تنتـج ثمرة ولا زهـرة ،
بل ظلا طويلا ـ فحسب ـ يقسـم الحديقة الى اثنتين ،
وقياسا على التعارض مع الأشجار المحنية ، المحملة ٠

كل مســاء ، بعد ما يتــلاشى الغروب المجيــد ،
يجثم طائر برتقالى اللون ، غريب ، صامتــا وسط أوراقها
كأنــه ثمرتها الوحيـــدة ــ
مثل جرس ذهبى صغير فى برج هائل ، أخضر ٠
عندما قطعت الشجرة، رفرف الطائر حولها بصرخات وحشية،
قصــيرة ،
وهو يرســم دوائر فى الهواء ، يرســم فى الغروب
شكل الشجرة الذى لا ينفد ، وذلك الجرس الصغير
دق فى الأعلى دون أن يرى ،
بل وأعلى من ارتفــاع الشــجرة الأصــــلى ٠

❋ صعــــود

جلس طوال أيــام فى حقــل أحــد الغربــــاء ،
وهو يخطط دائما لتسلق شــجرة التين الجرداء ذات يوم فى
السر
كى ينظر الى العالم من أعلى ، باحساس ورقــة شجر
أو باحســـاس طائــر ،
لكن دائما ما كان يمر شــخص ما ،
فاستمر بذلك ــ دائما ــ فى التأجيـــــل ٠
ذات غسق ، تلفت فى حذر حوله ــ ما من مخلوق ــ
وتســلق بمشــقة الى أعلى غصن ٠
آنئذ ، سمع أصواتــا وسط الأدغـــــال :
« ما الذى تفعله عاليــــا هناك ؟ »
أصوات عالية ، ورد : « تينــة ، كانت هنــا تينيــة أخيرة » ٠
انكسر الغصن ٠
أنهضـــوه ٠
أطبقوا باحكام على يــده اليمنى :
عندما أجبروه على فتــح أصابعــه ، لم يجدوا شيئا ٠

* اعـــادة تشـكيل

ذلك الذى تسميه سكينة أو انضباطا ، رحمة أو لا مبالاة ،
ذلك الذى تصـفه بأنه فم مغلق على أسـنان مطبقـة ،
يكشف الصمت العذب للفم ، يخفى الأسـنان المطبقـة ،
هو ـ فحسب ـ تحمل المعدن تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبـة ـ ذلك ما تعرف :
أنك تعبر من اللاشـكل الى الشـكل ٠

* أرضنـا

تسـلقنا التـل لنلقى نظرة على أرضـنا :
حقول قليـلة وفقيرة ، صخور ، أشجار زيتون ٠
مزارع كروم تمتد الى البحر ٠
بجوار المحراث نار صغيرة ترسـل الدخـان ٠
صنعنا من ثياب الرجل العجوز خيال مآتة لمواجهة الغربان ٠
وأيامنا تتقدم نحو خبز قليـل وشمس كبيرة ٠
تحت أشجار الحور تلتمع قبعـة من قش ٠
الديك فوق السـياج ٠
البقرة صفراء ٠
كيف توصلنـا الى تنظيم بيتنا وحياتنـا
بيـد من حجـر ؟
وثمة سـناج ـ حتى عتبـة النافـذة ـ
من شموع عيـد الفصـح ، عاما بعـد عـام :
صلبـان صغيرة سوداء رسمها هنـاك
الموتى العائـدون من صـلاة النشور ٠
هذه الأرض مفتونـة بالصبر والكرامة ٠
كل ليـلة ،
تشرئب التماثيل من البئر الجاف فى حذر ،
وتتسـلق الأشـجار ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* العــودة

فى البدايــة ، رحلت التماثيــل ٠
وبعد قليــل ، الأشــجار والناس والحيوانات ٠
أصبحت الأرض ــ بكاملها ــ مهجورة ٠
هبت الريــح ٠
تجمعت الجرائد والأشواك فى الشوارع ٠
فى الغسق ، انطفأت الأنوار من تلقــاء نفسها ٠
عاد رجــل وحــده ، نظر حواليــه ،
أخرج مفتاحــه ، وغرســه فى الأرض
كأنه يســلمه الى يــد تحت الأرض
أو كأنــه يزرع شــجرة ٠
ثم صــعد الســلالم الرخاميــة
وحــدق أســفله فى المدينــة ٠
فى حذر ، واحدا وراء الآخر ، عادت التماثيــل



أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠

١٩٣٤ : تراكتورات
١٩٣٥ : أهرامات
١٩٣٦ : ابيتافيوس
١٩٣٧ : أغنية أختي
١٩٣٨ : سيمفونية الربيع
١٩٤٠ : مسيرة المحيط
١٩٤٢ : مازوركا قديمة على ايقاع المطر
١٩٤٣ : محاولة
١٩٤٥ : رفيقتنا
١٩٥٢ : الرجل ذو القرنفلة (نيقوس بيلويانيس)
١٩٥٤ : سهر
١٩٥٥ : نجمة الصباح
١٩٥٦ : سوناتا ضوء القمر
١٩٥٧ : تأريخ
وداع
الجرة
شفافية الشتاء
وقت حجرى
(ماكرونيسيوتيكا)
جيران العالم
١٩٥٨ : عندما يأتى الغريب
مدينة بلا خضوع
معمار الأشجار
فيما وراء ظل أشجار السرو

١٩٥٩ : العجوز والبحر
امرأة بجوار البحر
١٩٦٠ : النافذة
١٩٦١ : القديس الأسود
(باتريس لومومبا)
قصائد ، الجزء الأول
قصائد ، الجزء الثانى
١٩٦٢ : البيت الميت
تحت ظل الجبل
١٩٦٣ : شجرة السجن والمرأة
شهادات ـ ١
١٢ قصيدة الى كافافى
١٩٦٤ : قصائد ، الجزء الثالث
ألعاب مرحة للسماء والماء
١٩٦٥ : فيلوكتيت
١٩٦٦ : روميوسينى
أوريست
شهادات ـ ٢
١٩٦٧ : أوسترافا
١٩٧٢ : أحجار وتكرارات وقضبان
هيلين
ايماءات
البعد الرابع
عودة ايفيجينى
كريسوثيميس
ايسمين

١٩٧٣ : ١٨ أغنية قصيرة الى الوطن
المرينـــو
الممـر والسـلالم
جراجـاندا
١٩٧٤ : وعـاء السـخام
بـرج الكنيسـة
الحائـط فى المرآة
ورقيـات
محـاولات
١٩٧٥ : سـيدة الكروم
القرن الأخير قبل الانسانية
أشتغار ظرفيـة
ملحق المجـد
(آريس فيلوشيوتيس)
يوميـات المنفى
النسوة المبعوثات
قصائد . الجزء الرابع
١٩٧٦ : الحراسـة
١٩٧٧ : البعيـد
ملائـم
١٩٧٨ : عسـكرى المرور
البوابـة
الجسـد والدم
امرأة مونيمفاسـيا
الرائعـة الرهيبـة
فيـدرا
اذن ؟
مطرقـة البـاب
١٩٧٩ : كتابـة الأعمى
١٩٨٠ : شـفافيـة
آلات ذات وتر واحـد
ايروتيـكا
محاكاة تهكمية

* * *

المراجـــــع

رفعت سلام ، يانيس ريتسوس : قصائد من دم وحجر ، مقدمة (يانيس ريتسوس : اللـــذة الأولى ، ترجمة وتقديـم ، الملحقيـة الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢) .

ريتســـوس ، القصيدة فعـل جمالى متكامل (حوار) ، ترجمة ضـياء نافع ، مجلة الأقلام (بغداد) ، يونيو ١٩٨٧ .

Edmund Keely, Ritsos in Parentheses, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, U.S.A.

Gérard PIERRAT, La Longue Marche d'un Poéte, in : Yannis Ritsos, AVANT L'Homme, Flammarion, Paris, 1975.

Peter BIEN, Introduction, in : Yannis Ritsos, Selected Poems, Efstathiadis Group S.A. Athins, 1993.

C. CAPRI-KARKA, Doorman's Booth ;

Peter BIEN, ORESTES, Cow ;

William SPANOS, Yannis Ritsos' Romiosini, Style as Historical Memory ;

Yannis RITSOS, By way of Introduction to the Testimonies ; Upon Reading Again the Collections The Wall In The Mirror and Doorman's Booth ;

in

The CHARIOTEER, Speciel Double Issue (20-30), 1987-1988. Pella Publishing Company, New York.

تعريف بالمترجم

★ شاعر ومترجم

★ تخرج من كلية الآداب / قسم الصحافة ، بجامعة القاهرة ١٩٧٣ ٠

★ صدر له خمسة دواوين شعرية ، وكتابان فى الدراسات ، وخمسة كتب فى الترجمة ٠

★ منح شهادة تقدير من « لجنة كفافيس الدولية » عن ترجمته لقصائد ريتسوس التى صدرت عام ١٩٩٢ ، بعنوان « اللذة الأولى » ٠

★ ترجمت أشعاره الى الفرنسية الانجليزية والايطالية واليونانية والكرواتية ٠

★ منح جائزة « كفافيس » الدولية فى الشعر ، عام ١٩٩٣ ، عن دوره المتميز فى الشعر المصرى والعربى ٠

★ صدر – عن تجربته الشعرية – كتابان نقديان ، للدكتور محمد عبد المطلب أستاذ النقد الأدبى بجامعة عين شمس ، والدكتور على البطل رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة المنيا ، بالاضافة الى عشرات الدراسات النقدية ، وفصول فى بعض رسائل الماجستير الدكتوراه ٠

★ شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية ٠

للمترجم

شعر : وردة الفوضى الجميلة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧ ٠

اشراقات رفعت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ ٠

انها تومىء لى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٣ ٠
سلسلة (نوافذ) ، القاهرة ١٩٩٦ ٠

هكذا قلت للهاوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ ٠

كرغوة على جسدى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ ٠

دراسات : المسرح الشعرى العربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ٠

بحثا عن التراث العربى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠٠
دار الفارابى ، بيروت ١٩٩٠ ٠

ترجمة : الفجر ٠٠ وقصائد أخرى ، بوشكين ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٨٢ ٠

غيمة فى بنطلون ٠٠ وقصائد أخرى ، ماياكوفسكى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٥ ،
المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ ٠

الابداع القصصى عند يوسف ادريس ، كربرشويك ، دار شهدى ، القاهرة ١٩٨٧ ٠
دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٣ ٠

الشيطان ٠٠ وقصائد أخرى ، ليرمونتوف ، اتحاد أدباء وكتاب الامارت ، الشارقة ١٩٩١ ٠

اللذة الأولى ٠٠ وقصائد أخرى ، يانيس ريتسوس ، الملحقية الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢ ٠
دار الينابيع ، دمشق ١٩٩٦ ٠



اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند رسل
احلام الأعلام وقصص اخرى

ى· رادو نكايارم جابوتنسكى
الالكترونيات والحياة الحديثة

آلدس هكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت· و فريمان
الجغرافيا فى مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج· فوربس و ا· ج· ديكستر هور
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسترديل راى
الأرض الغامضة

والتر آلن
الرواية الانجليزية

لويس فارجاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسو دوماس
آلهة مصر

د. قدرى حفنى وآخرون
الانسان المصرى على الشاشة

اولج فولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

هاشم النحاس
الهوية القومية فى السينما

ديفيد وليام ماكدوال
مجموعات النقود · صيانتها تصنيفها — عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

د· محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة · الانجليزية والفرنسية

د· عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر اصله وبدايته

انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والانسان

بيل شول وادبنيت
القوة النفسية للاهرام

د. صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ئى ماتلو
تولستوى

فكيتور برومبير
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل واحاديث من المنفى

فيرنر هيزنبرج
الجزء والكل « محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية »

سدنى هوك
التراث الغامض · ماركس والماركسيون

ف· ع· اديتكوف
فن الادب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
ادب الاطفال « فلسفته ، فنونه ، وسائطه »

د. نعمة رحيم العزاوى
أحمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

د. فاضل احمد الطائى
اعلام العرب فى الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجحيم

د. السيد عليوة
صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د· روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية الدواجن

ا· سبنسر
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة

د· ناعوم بيتروفيتش
النحل والطب

جوزيف داهموس
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى

د· ليونارد تشامبرزرايت
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر

د· جون شندلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة

بيير البير
الصحافة

د· غبريال وهبة
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى

د· رمسيس عوض
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها

د· محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير

فرانكلين ل· باومر
الفكر الأوربى الحديث ٤ ج

شوكت الربيعى
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى

د. محى الدين احمد حسين
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

ج· دادلى اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د· جوهان دورشنر
الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجى حرب الفضاء

د· السيد عليوة
ادارة الصراعات الدولية

د· مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين
مختارات من الأدب اليابانى
« الشعر — الدراما — الحكاية — القصة القصيرة »

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة

انطونى دى كرسبنى وكينيث مينوج
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زافيلسكى ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى بلايين السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوى
أجهزة تكييف الهواء

بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية

رونالد د. سميسون ونورمان د. اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. انور عبد الملك
الشارع المصرى والفكر

والت وتيمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد . س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية فى عهد محمد على

الان كاسبيار
التذوق السينمائى

سامى عبد المعطى
التخطيط السياحى فى مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمى المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسينما والتليفزيون
٢ ج

روى روبرتسون
الهيروين والايدز واثرهما فى المجتمع

دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية • نظرة على حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د. محمود سرى طه
الكومبيوتر فى مجالات الحياة

بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدروفيتش سيرجيف
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء

وليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية أسماك الزينة

أحمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى

جون • ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ ج

ارنولد توينبى
الفكر التاريخى عند الاغريق

د. صالح رضا
ملامح وقضايا فى الفن التشكيلى المعاصر

م. هـ كنج وآخرون
التغذية فى البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد أبو سديرة
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ ج

اريك موريس وآلان هو
الارهاب

سيريل الدريد
اخناتون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب. كوملان
الأساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسى — تحليل المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة ،
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافى
روائع الآداب العالمية ج ١

روى آرمز
لغة الصورة فى السينما المعاصرة

ناجاى ميتشيو
الثورة الاصلاحية فى اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل البى وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الأوركسترالى

ابو القاسم الفردوسى
الشاهنامة ٢ ج

بيتشون بورتر
الحياة الكريمة ٢ ج

جاك كرابس جونيور
كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلى
قيام الدولة العثمانية

تونى بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين يى بنج وآخرون
مختارات من الآداب الآسيوية

ناصر شعرى علوى
[illegible]

نادين جورديمر فيريس اوبيوت وآخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

أحمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى
٧ ج

جان لويس بورى وآخرون
فى النقد السينمائى الفرنسى

الفنانون فى أوروبا
بول كراز

موريس بير براير
صناع الخلود

زيجمونت هبز
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلى سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

الفريد ج· بتلر
الكنائس القبطية القديمة فى مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترانيم زرادشت
من كتاب الأفستا المقدس

الحاج يونس المصرى
رحلات فارتيما

هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكولز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
عن النقد السينمائى الأمريكى

نفتالى لويس
مصر الرومانية

ستيفن أوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ ج

دونى براخ وآخرون
السينما العربية من الخليج الى المحيط

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
ماستريخت

د· ابرار كريم الله
من هم التتار

ج· س· فريزر
الكاتب الحديث وعالمه ٢ ج

سوريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الآداب الهندية

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
أسرار السوبر نوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د· بيارد دودج
الأزهر فى ألف عام

ستيفن رانسيمان
الحملات الصليبية

هـ· ج· ولز
معالم تاريخ الانسانية ٤ ج

جوستاف جرونيباوم
حضارة الاسلام

د· عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيوتون الى مصر والحجاز ٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل وآخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة ٢ ج

بادى اونيمود
افريقيا - الطريق الآخر

د· محمد زينهم
فن الزجاج

برنيسلاو مالينوفسكى
السحر والعلم والدين

آدم متز
الحضارة الاسلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

د· عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو داجاما

ايفرى شاتزمان
كوننا المقيد

سونداري
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج· برجين
الاعلام التطبيقى

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على للسادات

ج· كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتوميم

ادوارد دوبونو
التفكير المتجدد

ويليام هـ· ماثيوز
ما هى الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو فى السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جورج ستاينر
بين تولستوى ودوستويفسكى ٢ ج

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسجيلى

جوزيف بتى
رحلة جوزيف بتس

ستانلى جيه سولومون
أنواع الفيلم الأمريكى

هارى ب· ناش
الحمر والبيض والسود

جوزيف م· بوجز
فن الفرجة على الأفلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

ت· ج· هـ· جيمز
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبرج
رحلة الأمير رودولف الى الشرق ٣ ج

مالكوم برادبرى
الرواية اليوم

وليم هارسين
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنرى بيرين
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى

ديفيد شنيدر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم أفضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتى

ممدوح عطية
البرنامج النووى الاسرائيلى والأمن القومى العربى)

د. ليوبوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
مجمل تاريخ الأدب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شراوة
مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة أيام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
أنطون بروكنر

ازرا ف. فوجل
المعجزة اليابانية

ونفرد هولز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الأخيرة

جوزيف وهارى فيلدمان
دينامية الفيلم

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرر
فى المعرفة التاريخية

كنت أ . كتشن
رمسيس الثانى

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمى

روزالند ، وجاك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس ماير
شرلوك هولمز

ميجيل دى ليبس
الفئران

جوسيبى دى لونا
موسولينى

الويز جرايتر
موتسارت

على عبد الرءوف اليمبى
مختارات من الشعر الاسبانى

روبرت سكولز وآخرون
آفاق أدب الخيال العلمى

ب. س ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س. هوارد
اشهر الرحلات الى غرب افريقيا

و. بارتولد
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى

فلاديمير تيمانيسانو
تاريخ أوروبا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال فى المتاهة

هنرى برجسون
الضحك

د. مصطفى محمود سليمان
الزلازل

م. و. ثرنج
ضمير المهندس

ا. ر. جرنى
الحيثيون

ستينو موسكاتى
الحضارات السامية

د. البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الأدب العربى المكتوب بالفرنسية



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٤٨٣٨

ISBN — 977 — 01 — 5171 — 8



أحس بأنى ما أزال طفلاً يافعاً، وأن عمرى يمتد إلى ملايين السنين. وكل عام يمر، أزداد فتوةً بما أكسب، أى بما أفقد. لقد عبرتُ ميتات كثيرة، وسأموت أخيراً وأنا أجمل بعض الأبدية. والنهار الذى يمر ليس نهاراً أخسره من حياتي، إنما هو جديد لا يشبه الذى مضى. إنه نهار غير مُعبر عنه يضاف إلى حياتى. فما أكتشفه اليوم كنت أجريه بالأمس. هكذا يغتنى شبابى الروحى. إننى أقيس الحياة بالمعرفة المدهشة للحياة. فالزمن الذى يمر هو إضافة لى: «إننى شِختُ شباباً لا يشيخ». أجل، أنا متفائل. لقد خرجتُ من أحلك الظلمات. خرجتُ حيًا من الأمراض، ومن جلسات التعذيب. ويمكننى القول أننى خرجتُ من أغوار الموت. والتفاؤل ليس سهلاً، وليس وسيلةً سهلةً لتجاوز الصعوبات أو تجاهلها. تفاؤلى لا يتزعزع، وهو راسخ لأنه ينجم - تحديدًا - عن اليأس.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب